

أكتوبر 2015

409

إبداعات نسائية



5.2.2016

مجموعة قصصية

تأليف: مجموعة من الكاتبات التركيات
ترجمة: صفوان عمر الشلبي
مراجعة: محمد حقي صوتشين

إبداعات نسائية مجموعة قصصية

العنوان الأصلي

TÜRK KADIN YAZARLAR ANTOLOJISI

الطبعة الأولى - الكويت

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2015م

إبداعات عالمية - العدد 409

صدر العدد الأول في أكتوبر 1969م
تحت اسم سلسلة من المسرح العالمي

أسسها أحمد مشاري العدواني

(1990 - 1923)

إبداعات نسائية



إبداعات نسائية

مجموعة قصصية

تأليف: مجموعة من الكاتبات التركيات

ترجمة: صفوان عمر الشلبي

مراجعة: محمد حقي صوتشين

إبداعات

تصدر كل شهرين من
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

المشرف العام:
م. علي حسين اليوحة

مستشار التحرير:
أ. وليد جاسم الرجيب

هيئة التحرير:
أ. د. سليمان علي الشطي
د. ليلى عثمان فضل
د. زبيدة علي أشكناني
د. علي عجيل العنزي
د. حنان عبدالمحسن مظفر

مديرة التحرير: لمياء خضر القبندي
سكرتير التحرير: جعفر حسين حيدر

التضيد والإخراج والتنفيذ: وحدة الإنتاج
في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
التدقيق اللغوي: وائل أحمد حمزة

www.nccal.gov.kw
ebdaat_alamia@nccal.gov.kw
ebdaat_alamia@yahoo.com

ISBN: 978-99906-0-464-1

رقم الإيداع: 2015/764

الفهرس

1	مقدمة
19	سعاد درویش
31	بريدة جلال
45	نزيهة مريتش
55	عدالت آغا أوغلو
85	فوروزان
95	سيغفي سويسال
101	آيلا کوتلو
113	أويا بايدار
125	نورسل دوروال
137	تومريس أويار
151	عائشة كولين
173	تزر أوزلو
179	بينار كور
207	نازلي إيراي
219	فيذا هيبتشيلينغيرلر
233	فريدة تشيشتك أوغلو
245	عائشة ساريساين
257	نالان بارباروس أوغلو
267	أصلي إردوغان
293	فريال تلماتش
307	شبنم إشيفوزال

المقدمة

المتابع لحركة ترجمة الأدب التركي إلى العربية لا بد أن يلاحظ تناميها نحو أعمال الكاتبات التركيات بعد أن كادت تكون مقتصرة على أدب الكتّاب الرجال، وبدأنا نشهد ولادة جيل جديد من الترجمات لأعمال كاتبات تركيات مثل آيفر تونتش وأصلي إردوغان وإيبك تشالشلار وأليف شَفَك. مع هذا فما زال العرب يجهلون الأدب التركي رغم غزارته ورغم علاقات الجوار بين الشعبين اللذين يعيشان في البيئة ذاتها، ولديهما عادات وتقاليد مماثلة، إذ إن التوجه التركي نحو الغرب لا بد أنه أسهم في أن يكون الابتعاد عن الشرق العربي متبادلاً، بالإضافة إلى التاريخ العدائي الناجم عن سيطرة العثمانيين على البلاد العربية لأربعمئة عام. بدورنا، يجب ألا نستغرب أن القارئ العربي لا يعرف من الأتراك سوى عزيز نسين ويشار كمال وناظم حكمت وأورهان باموك، وأن القراء الأتراك لا يعرفون من العرب سوى جبران خليل جبران وأدونيس وأمين معلوف الذي تُرجمت أعماله من الفرنسية. فالترجمة من التركية إلى العربية يغلب عليها النشاط الفردي والتطوعي ممن أجاد اللغة.

من خلال رصدي للحركة الأدبية في تركيا الجمهورية، تكشّف لي ليس الكم الكبير للأدبيات فحسب، بل الكيف المميّز في أعمالهن الأدبية ومشاركتهن الكتّاب الرجال، بل حتى التفوق عليهم بحصدهن العديد من الجوائز الأدبية في مجالات الأدب المختلفة لسنوات متتالية في القرن الماضي والحاضر.

المرأة الكاتبة في الأدب التركي

ما يقال عن دخول المرأة التركية حقل الأدب (الكتابة/ الشعر) من أنه تم في القرن العشرين غير دقيق، فإذا ما بحثنا في تراث الأدب الشعبي وأدب الديوان الذي دام لعدة قرون، فسنلاحظ أن مصدر تراث الأدب الشعبي في غالبية قد تم إنجازه من قبل النساء؛ مثل التهويدات والحكايات والزجل والرثائيات. كما أن هناك أسماء للعديد من النساء الشاعرات في مجال أدب «العاشق» قد ظهرن قبل القرن الخامس عشر.

أول كاتبة في الأدب التركي ظهرت بعد العام 1908، وبدأت النساء بإثبات أنفسهن في شتى المجالات في الخمسينيات، وفي السبعينيات تلاشى الفرق بين الكاتب والكاتبة سواء بالكم أم بالكيف. لكنّ عدم تأكيد المرأة الكاتبة حضورها إلا مع بدايات القرن العشرين له أسباب وظروف تاريخية، إذ كانت المرأة مسلوية الحقوق في عهد الدولة العثمانية ومحرومة من التعليم. ولكن بعد ظهور نظام جديد بدأ التحول رغم تأخره.

أوليات الكاتبات في ذلك العهد، إما درسن في بيوتهن بإشراف معلمين خاصين أو درسن في المعاهد التي أقامتها الدول الأجنبية على الأرض التركية، أي كنّ من عائلات ميسورة وغالبا متعلمة. لكن مع إعلان الجمهورية وتطورها، استفادت المرأة أكثر من الخدمات التعليمية وفي مجالات الحياة الاجتماعية الأخرى. من هنا، وجدت أنه لا بد من تعريف القارئ العربي بعدد من مبدعات الأدب النسائي التركي، وكان اختياري لمجال القصة القصيرة كي أتمكن من التعريف بأكثر عدد ممكن من تلك المبدعات، لكنه ليس من باب التصنيف الجنسي لذلك الأدب،

إذ لا يوجد في الأدب الإنساني أدب ذكوري وآخر أنثوي، بل للتأكيد على أن موهبة الكتابة ليست حكرا على الرجل، وأن هذه الموهبة لا تعرف التمييز بين الرجل والمرأة. أما إذا كان الرجل قد سبق المرأة بشكل عام والمرأة التركية بشكل خاص في الكتابة، فلأنه في الوقت الذي كان فيه خريجون رجال من معظم جامعات العالم، كانت المرأة في ذلك الوقت ليست محرومة من التعليم فحسب، بل حتى من الخروج من المنزل.

بعد أن نقل الإصلاح الكمالي (نسبة إلى مصطفى كمال أتاتورك) المرأة من وسط الحريم إلى الوسط الاجتماعي، إذ كان مصطفى كمال أتاتورك يؤمن أن تنمية البلاد الفتية لن تتم إذا لم يتحقق بساعد الرجال والنساء جنبا إلى جنب، وأن لديها نفس الحقوق للعب دور أكثر أهمية في تنمية البلاد، فنالت في عهد الجمهورية حقاها في التعليم وحريتها في اللبس والعمل وضمن حقاها في الخروج إلى الشارع من قبل الدولة، كما صدر قانون يُجرّم القتل من أجل الشرف.

في بدايات سنوات الجمهورية كان خيار المرأة لمهن معينة مثل التعليم والتمريض انعكاسا لدور الأمومة، أي أعطيت الدور الثاني في المجتمع، فدخولها مجال العمل كان من مصلحة المجتمع وليس تحقيقا لرغباتها وميولها. لكن عوامل عديدة ساهمت في تفعيل دور المرأة بشكل عام والكتابة بشكل خاص في المجتمع التركي، ومنها:

- نشاط الحركات النسائية في عهد الجمهورية:

مع مرور الوقت، ازدادت نسبة التعليم بين الفتيات ودخلن الجامعات، فنشطت الحركات النسائية، ودعت إلى دخول المرأة

جميع مجالات العمل من خلال منافسات كفاءة، ليس للجنس فيها اعتبار.

رغم ظهور جمود في الحركات النسائية ما بعد الحرب العالمية الثانية، لكن الحياة تجددت فيها بالتوازي مع أحداث الطلاب ابتداء من فرنسا عام 1968 وتأثيرها على العالم بأسره وعلى تركيا أيضا. المنحى الاشتراكي لهذه الأحداث وجد صدى في تركيا أيضا، وظهر على الحركات النسائية أيضا، فاكتملت الحركة النسائية الهوية الاشتراكية بنحو متزايد، وبدأت الدفاع عن حقوق المرأة العاملة في المصانع والمزارع والمستغلة بشكل ملحوظ في هذه الحقبة، فظهرت الجمعيات النسائية بالتوازي مع الأفكار السياسية مثل «جمعية المرأة التقدمية» و«جمعية المرأة الثورية»، وذلك لتوعية المرأة بحقوقها.

ستينيات القرن الماضي كانت مليئة بالتحديات بالنسبة للمرأة التركية الحديثة مع ما تحمله من قيم إسلامية من الماضي وما تحمله من مرحلة الجمهورية من الفكر الكمالي، وما ظهر من الحركات الاشتراكية بعد عام 1960. في تلك الفترة بدأت صورة المرأة الكمالية المعاصرة بحاجة إلى إعادة نظر، وفي تطور مواز للمرأة الكمالية المستتيرة انتشرت الاشتراكية في تركيا التي تؤمن هوية سياسية جديدة لها أصبحت واسعة الانتشار.

كاتبات الفترة ما بين 1970-1990 ساهمن بشكل فاعل في نهوض الحركات النسائية، إذ لم يتوقفن عند تلك الازدواجية بين الكمالية والاشتراكية وما أعطي لهن دون اختيارهن، فقممن باختيار دور آخر لأنفسهن.

وكما أفادت د. عائشة غول يارامان (جامعة مرمرة) فالحركات النسائية بدأت بالتشكل، وأخذت مفهومها خلال السبعينيات، واكتسبت أهمية بالتشكيك في القيم الاجتماعية القائمة.

الحركة النسائية في تركيا حسب عائشة غول أثمرت في الثمانينيات، وفي هذا السياق وجهت ممارسة الحياة من خلال منظمات نسائية معاصرة مختلفة، وبخاصة في أعقاب الانقلاب العسكري في 12 سبتمبر 1980 من خلال إعادة النظر في الأخطاء التي ارتكبت في عملية تطوير الأفراد ونقاش المجتمع المدني، بالإضافة إلى المؤتمر العالمي الثاني للمرأة في كوبنهاجن عام 1980 والقرارات التي اتخذت في إطار اتفاقية «القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة»، والتي دخلت حيز التنفيذ في تركيا في 14 أكتوبر 1985 والتي تشكل بداية المشهد الثاني من الحركة النسائية المدنية. كما أن منشورات مجموعة يازكو الأدبية والفلسفية (أسسها في الثمانينيات عدد من الكتّاب والكاتبات) وما نظّمته من ندوات أمّن انتشار الحركة النسائية المدنية.

من ناحية أخرى، أفردت مجلة «يازكو سوموت» صفحة للتحديث عن «المساواة بين الجنسين»، وأنشطة «شيرين لكلي» وفريقها في الدفاع عن حقوق المرأة، ونشاط الترجمة لنادي الكتاب وصدر مجلة «فمينيست» عام 1987 في تركيا، كل ذلك مجتمعا ساهم في تطوير الخطاب النسوي.

كما أخذ تأسيس مكتبة لإبداعات المرأة ومركز معلومات المرأة بعدا جديدا لقضايا المرأة، على اعتبار أن معركتها باتجاه

التحرر لا يمكن أن تُحقق الانتصار إلا بخوض الصراع إلى جانب الرجل ضد كل أشكال التخلف التاريخي والاجتماعي والثقافي.

- القصة والوسط الأدبي لعقد السبعينيات:

عاش المجتمع التركي في عقد السبعينيات الفترة الزمنية الأكثر اضطراباً، بما شهده من اعتصامات وإضرابات واغتيالات سياسية، وانتشرت مظاهر العنف والإرهاب على نطاق واسع في جميع المجالات. كما شهد الانقسام السياسي الحاد، وانقطاع جسور التواصل بين اليمين واليسار وانقطاع الحوار. لا يمكن قطعياً التفكير بأن الحياة الأدبية لم تتأثر بهذا الوسط الفوضوي، وهذا ما حصل، فقد قصرت المسافة بين السياسة والفن بكافة مجالاته، بل حتى تماثلاً.

في هذه المرحلة ابتعد الفنانون عن الاهتمامات الجمالية، وأصبحوا جزءاً من الصراع، فاستسلموا للأفكار والشعارات في ظل تلك المشكلات السياسية.

في الواقع، يكفيننا استعراض أسماء المجالات ليتضح لنا جو تلك الحقبة: «رفاق الشعب»، «الفن المنشود»، «المناضل»، «إلى الغد».. كانت هيمنة العقيدة/ الأيديولوجية سائدة على الفن. هيمنة واضحة للغاية وبلا منازع من الأيديولوجية الاشتراكية كانت تحكم الأدب. تحت هذه المظلة، كانت الغالبية العظمى من الأدباء تكتب حول مفهوم الواقعية الاشتراكية، وتركز على توقعات الصراع الطبقي. لقد تعاون كل الفنانين على هذه الرؤية، كما يمكن رؤية نهج مماثل في كتابات كتاب القصة في تلك الحقبة. أحداث حزيران 1968، انقلاب 12 مارس 1971، الإضرابات،

قمع الدولة، وأحداث الطلاب هي المواضيع الرئيسية في معظم القصص. كما كانت لغة قصة الحقبة حادة وأليمة وغازبية.

في ظل العيش في هذا المجال السياسي، نرى الاستقطاب الأيديولوجي الحاد في الأدب، ونرى أن الكاتبات كما الكتاب قد تأثرن بذلك، وبينما كانت عدالت آغا أوغلو وتومريس أويار وفوروزان يكتبن قصصا بالمفهوم اليساري/ الاشتراكي إلى جانب سليم إيري ونديم غورسيل وخلقى أكتونتش، بالمقابل، كتبت سيفينتش تشوكوم قصصا محافظة ومرتبطة بالماضي إلى جانب مصطفى كوتلو.

- المرأة الكاتبة:

تقول د.إنجي إنجينون (جامعة مرمره): «لا يوجد فصل بالأدب استنادا إلى الجنس، فالمكان المناسب في المقدمة لمن يحصل على النجاح بغض النظر عن جنسه. مثال ذلك خالدة أديب أضيفار (1884-1964) التي تفوقت على الرجل، إذ كانت على الجبهة في حرب التحرير إلى جانب أتاتورك، ورائدة أدب مرحلة التنظيمات، ورائدة الأدب النسائي، وأستاذة الأدب الإنجليزي في جامعة إستانبول وعضو في مجلس الأمة.

لكن مع ازدياد عدد الأديبات في عقد السبعينيات بدرجة لا يستهان بها ومع ارتفاع وتيرة المساواة بين الجنسين سياسيا واقتصاديا واجتماعيا رؤي التركيز على تحديد جنس الكاتب/ الكاتبة لأسباب مختلفة:

الحجة الأولى: المرأة أكثر رومانسية وأكثر شاعرية، بالإضافة إلى انتقال الراوي من أنا/ هو أو هي، ليصبح أنا/ هو وأنا/ هي. الحجة الثانية: تبرير وجود إبداعي أصيل للمرأة في فن

الرواية، على اعتبار أن التراث كان يُنقل عبر الجدّات أكثر منه عبر الرجال.

الحجة الثالثة: ظهور الرجل الكاتب كان مردّه إلى ارتفاع سوية التعليم بين الذكور وحرمان المرأة منه، وبعد أن تساوى الجنسان بنفس فرص التعليم، تتفوق المرأة بقدرتها على الحكم وتقييم الأمور بما تحمله من صفة الأم والزوجة والأخت.

رغم ذلك لا يمكن التمييز بين الجنسين في كتابة الأدب بالمعنى الحرفي فالأدب خلاصة تجربة إنسانية لا تخص الذكر دون الأنثى ولا الأنثى دون الذكر، مع الأخذ بعين الاعتبار ما يلي: - المرأة الكاتبة قادرة على تمثيل المرأة بشكل مباشر، باعتبارها من نفس الجنس، بينما الرجل الكاتب، فهو وإن كان يمثلها ولكن بصفته من جنس معاكس.

- المرأة بالنسبة للكاتبة أساس فاعل، بينما هي بالنسبة للكاتب هدف كامن.

- الكاتبة شاهد مباشر لسيكولوجية المرأة، بينما هي ظاهرة تحتاج من الرجل إلى الاكتشاف والاختراق.

- المرأة بالنسبة للكاتبة نسخة مماثلة عنها، بينما المرأة بالنسبة للكاتب شكل من أشكال التجلي.

- المرأة بالنسبة للكاتبة فرد استثنائي في المجتمع، بينما يرى الرجل أنها، رغم اختلاف أدوارها كأُم وزوجة ومعشوقة، امتداد طبيعي للمجتمع.

- دور المرأة الاجتماعي بالنسبة للكاتبة خيار فردي، بينما دورها بالنسبة للكاتب مجموعة خيارات.

- نقل الكاتبة لحياة المرأة الجنسية تجربة حياتية، بينما هي

بالنسبة للكاتب أمر يحتاج إلى تعلّم وخبرة خارجية تحتاج إلى فك شيفرتها.

مما سبق نرى أن أدبيا ما، سواء أكان رجلا أم امرأة سيكون أكثر قدرة من غيره على كشف جوانب معينة من الحياة عبر معرفته الحميمة أو الخاصة بها، مثل قدرة أورهان باموك على تصوير حواري إستانبول وأزقتها الداخلية، وهاليكارناس باليكتشيبي على تصوير تقلبات البحر وعوالم البحارة فيه، وكذا عوالم المهمشين والمهووسين لدى سعيد فائق أباسي يانك وغريبة ناظم حكمت.. الخ. إن المرأة الكاتبة ستكون بالتالي أكثر قدرة على تصوير عوالم المرأة وحواريها الداخلية، وتقلّب أنوائها وعواصفها ومعاناتها التاريخية.. ولكن هذا لا يعني للحظة، بالنسبة للإبداع، فلو نظرنا إلى أعمال الكاتبات مثل نزيهة ميريتش، ليلي أربيل، سيفغي سويسال، عفت إل غاز، سيفيم بوراك، فوروزان، تومريس أويار، سيفينتش تشوكوم، نازلي إيراي.. ومن جاء بعدهن، سنجد آفاقا جديدة تفتّحت في أعمالهن بالإضافة إلى البعد الأدبي، ويمكن أن نرى أنهن عكسن سيكولوجية المرأة بالإضافة إلى السلوك والأحاسيس وترابط الأفكار، وقدّمن تصوّرا لعالم جديد بمختلف توجهاته. أعطين الأولوية لقضايا المرأة بوصفها مشكلة اجتماعية، ومثّلن المنطق في التجديد وعرضن التناقضات والتباين في الحياة الاجتماعية إلى جانب العشق والمعاناة في حياة المرأة.

المرأة القاصة:

خلال الفترة ما بين (1910-1990) ظهرت 81 كاتبة قصة من أصل 750 كاتبا وكاتبة، ونشرن 278 مجموعة قصصية من أصل 2760 كتاب قصة، كان أولها عام 1910 عندما نشرت خالدة أديب أضيفار أول مجموعة قصصية لها بعنوان «المعابد المتهدمة»، وكان آخر مجموعة قصصية لتلك الفترة للكاتبة جالى سانجاك بعنوان «نفي الملائكة»، مع الأخذ بعين الاعتبار أن معظم تلك الكاتبات الأوليات في الفترة ما بين 1910-1990 ما زلن يكتبن في المجلات، ويُصدرن الكتب بنشاط، وتُعاد طباعة كتبهن، قد استطعن أن يثبتن أنفسهن في الوسط الأدبي بهويتهم الخاصة، وحصلن على مستوى تفوقن فيه على الكاتب الرجل، وذلك بفضل مساهماتهن الكبيرة في سبر أغوار ما كان للرجل أن يكتشفها. فمنذ صدور جائزة سعيد فائق للقصة القصيرة عام 1956 وحتى عام 2013 حصلت كاتبات القصة على 17 جائزة سنوية من أصل 52 جائزة، ومنذ صدور جائزة خلدون تانر للقصة القصيرة عام 1978 وحتى عام 2013 حصلت كاتبات القصة على 8 جوائز سنوية من أصل 25 جائزة، ومنذ صدور جائزة يونس نادي للقصة القصيرة عام 1946 وحتى 2013 حصلت كاتبات القصة على 13 جائزة سنوية من أصل 20 جائزة. بالإضافة إلى الجوائز في مختلف المجالات الأدبية الأخرى الممنوحة من المجمع اللغوي التركي وجوائز يونس نادي للرواية والشعر والعلوم الاجتماعية والسيناريو وجائزة أورهان كمال للرواية وغيرها من الجوائز الأدبية الأخرى.

باستعراض أدب الكاتبات في تلك المرحلة نرى أن عدالت
 آغا أوغلو (1929) قد احتلت مركز الصدارة بين أهم الكتّاب
 والكاتبات، فمجموعاتها القصصية الأولى تعكس مفهوم
 الاشتراكية والثورية، وتمثل وجهة نظر العالم الاشتراكي في
 الأدب، كما عرضت تأثير العملية السياسية وما أفرزته على
 شخصية الفرد من ناحية الانحلال الاجتماعي والاضطراب
 المعيشي، وبخاصة علاقة الفرد بالعائلة. بينما يمكن تقسيم
 نشاط بريدة جلال (1915-2013) الأدبي إلى مرحلتين؛
 الأولى كانت فيها معظم أعمالها روايات رومانسية ووجدانية
 عاطفية، وركزت في النصف الثاني على الحياة الملتوية والفسادة
 للبرجوازية التركية. في حين يمكن تقسيم قصة نزيهة ميريتش
 (1925-2009) إلى ثلاث مراحل؛ المرحلة الأولى كانت العلاقة
 بين الرجل والمرأة موضوع قصصها الرئيسي، بينما المرحلة
 الثانية كان الثقل السياسي في المقام الأول، بينما عكست
 المرحلة الأخيرة المواجهة والصراع الداخلي للفرد، بالإضافة إلى
 اهتمامها بمشكلات المرأة والطفل فقد كتبت أيضا عن الفوضى
 والضياع السياسي في سنوات السبعينيات حين عانت تركيا من
 الصراع الدامي والاغتيالات السياسية بين اليمين واليسار.
 أما ليلي أربيل (1931-2013) فقد أسست قصة تحمل صفة
 الكونية، فقصصها تركز على الجنس والأيدولوجية الاشتراكية،
 والفرد المحاصر من قبل البيئة والمجتمع، وانعدام الشخصية
 الذاتية، وعجزه عن تحقيق طموحاته، كما عرضت أحاسيس المرأة
 بالنسبة لمؤسسة الأسرة ومفهوم المجتمع حول الشرف والمجتمع
 الذكوري، ورفضت بعنف ضعف المرأة. ونرى أن آيهان بوزفرات

(1932-1981) اعتمدت الرمزية والإيحاء بنقد النظام الاجتماعي والصراع بلا أمل للفرد المسحوق من أجل لقمة العيش وهروبه إلى الأحلام لتحقيق ذاته. بينما فوروزان (1935) تحمل دينامية جديدة، لكنها لا تتعد عن حياة الفقراء والمسحوقين، كما أنها تركز على معاناة النساء اللواتي وقعن في الرذيلة والفتيات اللواتي يغرن بهن وانحلال العائلات البرجوازية والمعاناة من شروط الحياة الحديثة القاسية وصراع البقاء في ظل الفاقة وتفرض -بهدوء وبصيرة- جور العالم الذي شيده الرجال على حساب حقوق المرأة والرجل معا على حد سواء. وركزت سيفي سويسال (-1976) (1936) على شخصية المرأة العاملة وعلى نضالها من أجل تحقيق ذاتها من خلال الكوميديا السوداء بالسخرية من الواقع ونقد المجتمع والعملية السياسية وعلاقة الفرد بالمجتمع، ولم تتردد في نقد أحداث 12 مارس بعد تولي الجيش للسلطة عام 1971. كما أن آيلا كوتلو (1938) عرضت قضايا المرأة والقضايا المشتركة للمرأة في العصور القديمة والمعاصرة، كما عرضت حياة الفرد وبخاصة حياة المرأة الخاصة وعالمها الخفي بنظرية شمولية للحقب القريبة بمنظور تاريخي، واستعرضت حياة المرأة من مختلف الأزمنة والأماكن والطبقات على مر العصور والمصير المفروض.

وكتبت أوبا بايدار (1940) عن المرأة، وركزت على انتقاد سير العملية السياسية والهجرة السياسية القسرية، وعن سقوط المنظومة الاشتراكية، وكانت أكثر عالمية في كتاباتها. تومريس أوبار (1941-2003) أيضا عرضت في قصصها مواقفها الأيدولوجية، وتناولت حياة المهجرين والفقراء، ولم تتردد بطرح قضايا التناقضات الطبقية، ولم تتردد باستخدام مصطلحات

مثل الأجير والاعتصام والحزب والنظام. وعرضت نورسل دوروال (1941) عدم استقرار حياة المرأة وعلاقة الفرد وحياته الداخلية والخارجية. وتناولت بينار كور (1945) في قصصها صراع الفرد النفسي المطوق بالوحدة والقنوط وخيبة الأمل وتمرده على الواقع. أما نازلي إيراي (1945) فرغم نشاطها السياسي فإن أدها يحمل سمات النزعة نحو السريالية. بينما فيزا هيبتشيلينغيرلر (1948) ركزت على علاقة الفرد بالمدينة وبخاصة إستانبول والتناقضات الاقتصادية والاجتماعية، واهتمت بعملية الصراعات والأعمال الوحشية والإرهاب الدولية. فريدة تشيتشك أوغلو (1951) التي نشطت في المجال السياسي، ناقشت نزعات الإنسان داخل الحياة الاجتماعية وعدم تحالفه مع ما هو ليس جزءاً منه.

ودخلت نالان بارباروس أوغلو (1961) في تصفية للحسابات مع العادات ونمط أشكال الحياة المفروضة. كما عرضت دور الأنوثة والبيئة الأسرية والشعور بالوحدة. وأما إقامة أصلي إردوغان (1967) خارج تركيا لفترات طويلة فقد جعلتها تناقش عالمية حياة المرأة.

أما شبنم إشيغوزال (1973) فلم تتجنب السلوك السيئ في الأدب وطرحه في الحالات الأكثر غرابة. تقوم بتعرية الواقع في تركيا وتشريحه، وتكتب عن التناقضات بين العلمانيين والمتدينين وعن الهوة التي تفصل بين المناطق الريفية والمدن الكبرى بلغة مستفزة أثارت الرأي العام وواجهت المحاكمة.

بعد العام 1990 عادت القصة إلى نهج المسار الذي وضعه سعيد فائق وأورهان كمال بالحديث عن الأفراد المهمشين الذين

لا نشعر بوجودهم في حياتنا، والذين أبعدوا جانباً كالمشردين في الشوارع والمهوسين ومدمني الكحول، وعن فقدان الغنى الروحي والصراع بين الأجيال وتأثير الحداثة المدمر على الفرد والأسرة والطفولة. وبات الحديث عن الشعور بالوحدة والمواجهة والانطواء من الموضوعات الأساسية، بالإضافة إلى تغيير أفكار الشباب، وأن الحياة بالنسبة لهم امتحان وتوجههم لإعطاء منحى لحياتهم.

مع ازدياد عدد الأدبيات الشهيرات تُطرح أسئلة أمامها علامات استفهام كبيرة: «هل هناك أدب نسائي وأدب رجالي، أم أن الأدب هو أدب إنساني لا رجولية فيه ولا نسوية؟»، «ألا يفضي تصنيف الأدب النسوي والأدب الذكوري إلى ثنائية ضدية بين كتابة الرجال وكتابة النساء وكأن لكل من هاتين الكتابتين بنية خاصة؟».

مختصر القول، الأدب له أصوله ومفرداته وأدواته الفنية التي تختلف في تميزها من أديب إلى آخر، ولا يمكن أن يختلف عند الرجل أو المرأة، والمرأة إنسان ذو موقع اجتماعي واقتصادي وذو علاقات إنسانية بالمجتمع الذي نعيش فيه، ومن هذا الأساس تعبّر عن مبادئها وعن رؤيتها إلى الحياة، وهي في ذلك تتفق مع بعض الكتاب وتختلف مع بعضهم، لذلك لا نستطيع أن نطلق اصطلاح «الأدب النسائي» نجمع فيه كاتبات مختلفات تماماً في الأسلوب والاتجاه والرؤية الفكرية. إذن فالأدب يتجاوز تلك الحواجز والفروقات البيولوجية بين الكاتبة والكاتب، لأنه خلاصة تجربة إنسانية لا تخص الذكر دون الأنثى ولا الأنثى دون الذكر، والنص

الأدبي بنية بلا هوية جنسية لها، حتى لو كان هناك من يرى عكس ذلك.

في الختام، فقد سعيت أن أنقل معظم مراحل الحركة الأدبية النسوية في مجال القصة القصيرة التركية منذ بزوغها حتى يومنا هذا، فوق اختياري على نماذج من أعمال إحدى وعشرين قاصّة نلن معظمهن جائزة سعيد فائق للقصة القصيرة حسب سنوات صدورها.

أرجو أن أكون قد وُفقت في اختياري بإمتاع القارئ وإثراء الباحث بهذا العمل المتواضع، دون إغفال لتلطف الكاتب والناقد الأستاذ نزيه أبو نضال بتزويدي بأعماله المتميزة حول الأدب النسائي، وللملاحظات القيّمة للكاتب والناقد الدكتور سليمان الأزرجي الذي تلطف بمراجعة مقدمة هذا الكتاب، وللعناية الحانية لزميلي على مقعد الدراسة الكاتب والشاعر الأستاذ حسن ناجي بتقنية المخطوطة من هفوات إملائية ونحوية، فلهم جزيل الشكر والعرفان.

كما أجد لزاماً عليّ أن أتقدم بالشكر والتقدير إلى كل من الكاتبتين الرائعتين عائشة كولين ونالان بارباروس أوغلو والفاضلة بهار كييك / منشورات جان، والسيد فادات بايراك / المدير العام لمجموعة منشورات ألفا لما قدموه لي من دعم ومساعدة، والدكتور محمد حقي صوتشين على عنايته المخلصة بالمراجعة، وإلى كل العاملين في سلسلة «إبداعات عالمية» لما كان لمساهماتهم وجهودهم الدور الرئيسي في إخراج هذا العمل إلى حيز النور.

صفوان الشلبي

المصادر والمراجع

- Karataş. Evren. Türkiye’de Kadın Hareketleri ve Edebiyatımızda Kadın sesleri. Turkish Studies- International Periodical for The Languages, Literature and History of Turkish or Turic. Volume 4/8 Fall 2009.

-Asan. Nuray. 1950 Sonrası Türk Edebiyatında 1925-1950 Yılları Arasında Doğmuş Kadın Hikaye Yazarları. Hacettepe Üniversitesi Edebiyat Fakültesi Türk Dili ve Edebiyatı Bölümü. 2004.

-Altınova. Banu. Modern Türk’ün Hikayesi. Hece Öykü Dergisi. Sayı: 45.

- Güneş. Zeliha. Milli Edebiyatta Roman ve Öykü. Anadolu Üniversitesi Açıköğretim Fakültesi.

-Tosun. Necip. 1970’ten Günümüze Türk Öykücülüğü. Türk Edebiyatı Dergisi. Mart 2007. Sayı: 401. Mart 2007.

-Lekesiz. Ömer. Kadın Öykücüler (1910-1990). edebistan.com- (15/4/2005).

-19.20. yy Kadın Edebiyatına Ulusöteci Bakışlar Çalıştayı. 22 Eylül 2012. Özyeğin Üniversitesi.

-Kadın Öykücülerimiz Üstüne- Yağmur Dergisi-69- Kasım-Aralık 2013.

- نزيه أبو نضال، حدائق الأنثى، دراسات نظرية وتطبيقية في الإبداع النسوي، 2009.

- نزيه أبو نضال، تمرد الأنثى في الإبداع النسوي العربي، 2004.

- أ. أحلام معمرى، إشكالية الأدب النسوي بين المصطلح واللغة، جامعة قاصدي مرياح/ ورقلة- الجزائر.

- أ. علي دغمان، الكتابة النسوية بين التوقيع الجنسي والبحث عن هوية، جامعة محمد خيضر/ بسكرة - الجزائر، 2010

- مفيد نجم، الكتابة النسوية: إشكالية المصطلح التأسيس المفهومي لنظرية الأدب النسوي، مجلة نزوى الإلكترونية، العدد الثاني والأربعون، يوليو 2009.
- مهدي ممتحن، شمسي واقف زاده، الأدب النسائي مصطلح يتأرجح بين مؤيد ومعارض، التراث الأدبي، السنة الثانية، العدد السابع.
- د. نهى القاطرجي، الأثر التغريبي في الفن الروائي النسائي، الملتقى الدولي الثاني للأدبيات الإسلاميات، عمان، 6/7/2013.

سعاد درويش

SUAT DERVIŞ
1972-1905

ولدت في إستانبول من عائلة برجوازية عثمانية، وتلقت تعليمها في البيت، وأجادت الفرنسية والألمانية. بعثها والدها إلى المعهد العالي للموسيقى في برلين، لكنها التحقت خفية بكلية الآداب في جامعة برلين. بعد عودتها إلى تركيا عملت في الصحافة ونشرت العديد من التحقيقات الصحافية والروايات في صحف مثل «آخر بريد» و«الوطن» و«الجمهورية» و«بريد المساء». دخلت معترك السياسة بسن مبكرة، واعتقلت وسجنت مرات عديدة مثل كل أصحاب الفكر اليساري في تلك الفترة. عملها بالصحافة وبخاصة اليسارية منها اضطرها إلى الكتابة بأسماء مستعارة بسبب آرائها السياسية. شاركت بتأسيس رابطة «الكيان النسائي» عام 1930، كما شاركت بإصدار مجلة «الأدب الحديث والواقع الاشتراكي» عام 1940 إلى أن أغلقت المجلة عام 1941 بسبب ميولها اليسارية، واعتقل جميع أفراد أسرة تحريرها بمن فيهم سعاد درويش. كتبت من خلال تلك المجلة العديد من المقالات والقصص والنقد والشعر. أصدرت عام 1944 كتيباً بعنوان «لماذا

أنا صديقة للاتحاد السوفييتي» فأعيد اعتقالها وسجنها أكثر من مرة بتهمة الانتماء للحزب الشيوعي التركي وحتى انتهاء محاكمتها عام 1953، فسافرت إلى فرنسا في نفس العام وظلت تتابع نشاطها السياسي والأدبي من هناك حتى عودتها عام 1963 إلى تركيا، لتشارك بتأسيس «اتحاد النساء الثوريات». اعتقلت عام 1971 أي قبل وفاتها بعام واحد لإيوائها شبابا يساريين مطلوبين في منزلها. توفيت عام 1972 بعد أن نالت شهرة واسعة في الوسط الأدبي باعتبارها من رائدات الأدب الاجتماعي الواقعي، بعد أن كتبت العديد من المقالات والقصص وحكايات الأطفال والتمثيلات الإذاعية والمسرحيات والترجمات وأربع عشرة رواية، كما بقي بعض من أعمالها موزعا في الصحف لإحجام دور النشر عن نشر كل أعمالها في حينه، خشية من التعرض للمساءلة. كما حُوِّل العديد من أعمالها للسينما والتلفزيون.

من أعمالها: الكتاب الأسود (1921)، لا صوت ولا نفس (1923)، فكرة (1923)، أحمد الإنسان (1923)، طالبو الزواج من بهيرة (1923)، ذنْب فاطمة (1924)، هل أنا (1924)، ليلة الأزمة (1924)، مثل القلب (1928)، أمينة (1931)، كالمسوس (1934)، لا شيء (1939)، جفيرة المبهرجة (1968)، سجين أنقرا (1968-) نشرت أولا في باريس عام 1957 بالفرنسية).

عودة

تنحّت جانبا بعيدا عن التدافع والإزعاج، وأسندت ظهرها إلى صناديق متراكمة فوق بعضها. نقاب من التول الفضي الشفاف يتدلى من قبعتها ويغطي عينيها، وقفازان من نفس اللون يدثران يديها، وياقة من فراء السنجاب تكاد تغطي معظم وجهها.

قبل قليل، سألت رجلا مسنا عن موعد اقتراب الباخرة من الميناء؟

«بعد نصف ساعة»، تلقت جوابا.

رغم أنه قد مر أكثر من نصف ساعة، لكن الباخرة مازالت تقف في مكانها تحيط بها مراكب وزوارق بخارية صغيرة. اصفرّ وجهها عندما قرأت البرقية.. حاولت تمالك نفسها كي لا تبدي شيئا لزوجها، مع أن يديه كانتا ترتعشان بشدة عندما ناولته البرقية. نظر عوني مليا بعينين مليئتين بالغيرة والضعفينة إلى ما بيديه المرتعشتين. كان هذا التوتر واضحا إلى الحد الذي لاحظته، ثم..

«هل سيقوم عندنا؟» سألت.

«بالتأكيد، أليس كذلك؟» أجابت. «لا أقرء له هنا سوانا!».

«آآ...»

لم يقل زوجها سوى «آآ»، وماذا يعني بهذه الـ «آآ»؟ لم تفهم صبيحة ما يعنيه ولم تحاول أن تفهم.

وعندما قال: «إذن سأذهب غدا لاستقباله»، عاجلته بالرد: «أنا سأذهب لاستقباله يا عوني». وبينما كانت تحاول إخفاء انفعالها..

«لا يعرفك أنت»، أضافت قائلة: «حتى لو كان يعرفك، ألسنت مرتبطا غدا باستشارة طبية؟ لا أريدك أن تهمل مرضاك بسبب أقاربي».

اندفع زوجها يذرع الغرفة ذهابا وإيابا، وقد وضع يديه في جيبه. كان يذرع الغرفة بتلك العصبية نفسها، عندما لا يريد إظهار غيرته على صبيحة.

دفعها الحمّال بشدة وهو يحاول حمل أحد الصناديق التي استندت عليها.. رغم ذلك، لم تظهر صبيحة انزعاجها، بل نظرت إلى الرجل مبتسمة.. كم هي سعيدة اليوم.. لو وقعت هذه الحركة غير اللائقة، والتي تسبب تلف زينتها، في غير هذا اليوم، لجعلتها أشد غضبا. لكنها اليوم، لم تعر للأمر أية أهمية. ما كان هناك شيء يعينها. لم تكن قادرة على تمييز حشد الناس من حولها. ما كانت عينا ترى شيئا.

«إنه قادم!» هذا ما كانت تفكر به.. نعم إنه قادم. يعود أخيرا بعد ستة عشر عاما.

هو أيضا الآن هناك على سطح الباخرة، لا شك كان ينظر إلى رصيف الميناء. ألم يكتب في رسائله الأخيرة، كم يعطي أهمية لهذا اليوم؟ وصبيحة ألم تخبره أيضا في الرسائل كم تنتظر هذا اليوم بفارغ الصبر؟

ألم يتراسلا بأحداث غير ذات أهمية، كاتمين ما في قلوبهما
من مشاعر سرية؟ وصبيحة ألم ترتكب إثما وعزاؤها وسلوانها
عشقها له منذ أحد عشر عاما؟

عندما سافر، كانت صبيحة صبية صغيرة بعمر ذاك الصبي
في الزاوية المعتمة..

لقد سافر في يوم شتوي، ملبّد بالغيوم، لكن بلا ثلوج كهذا
اليوم. لقد بكت صبيحة كثيرا وهي تراقب من نافذة البيت المطلّة
على البحر، الباخرة التي أقلته. كانت ترتعش كلما تذكرت يوم
سفره.. كان ذلك اليوم، الذكرى الأشد حزنًا في حياتها، ولا
تتساها أبدا.

كانت صبيحة تفكر بجدوى هذا الكم من المعاملات الرسمية
لدخول سفينة إلى الميناء. هذه الباخرة التي تقف بعيدا، ما المانع
لورست تلك الباخرة الراسية بعيدا، مباشرة على رصيف الميناء؟
ما الجدوى من هذه المراكب والزوارق البخارية المندفعة بفوضى
وضجيج؟

لورست الباخرة مباشرة على رصيف الميناء، لكانت قد رآته
الآن بعد أن تافت لرؤيته منذ ست عشرة سنة بقامته المهيبه
ونظراته الساحرة. لكانت قد صافحت كفيه الضخمتين يداها
صغيرتا الحجم إلى الدرجة التي لا تبدوان فيها حقيقيتين.

هل كان سيتعرف عليها؟ دون شك ما كان ليتعرف عليها من
الوهلة الأولى.. لأنها تغيرت. عندما سافر، كانت في السادسة
عشرة من عمرها. كانت طفلة تركض مؤرجحة جدائلها، مشاكسة،
صغيرة الحجم وجاهلة لا تجيد إلقاء التحية.. بينما هي الآن، قد
أصبحت سيدة رقيقة واسعة الاطلاع، متزوجة وسيدة مجتمع.

صبيحة اكتملت، تبدلت وتغيرت. على أمل اللقاء به في ذلك اليوم، لتثير إعجابه بمحاسنها الجديدة وسعة اطلاعها. لا شك، فدانيال كان سيجدها امرأة في قمة الكمال. كان سيعجب بها كثيرا. بل يجب أن يعجب بها. كانت تظن نفسها على صواب بما ترغب.

سنة عشر عاما، وهي تنتظر هذا اليوم، تعاني العذاب والحزن، لكن دون شكوى..

مازالت السفينة واقفة في مكانها. انتشرت من حولها بواخر صغيرة، كأنها فزعت من شيء ما.. قاطرة قادمة من بعيد تقترب من الباخرة.

كانت تشعر بانفعال شديد.. وهل كان يراقب هذه القاطرة بنفس الانفعال ونفس المتعة، يا ترى؟

لا شك في ذلك، فهو أيضا كان منفعلا. لقد وصف في رسالته، كيف سيكون شعوره في هذه الدقيقة بشكل جميل.. لقد استعادت في ذاكرتها، ليست الرسالة فحسب، بل كل ذلك الماضي البعيد. كان دانيال في ذلك الوقت، ما بين الخامسة والثلاثين والأربعين من عمره، تُعجب به كل النساء ويملن إليه.. أما هي، فقد كانت صبية شقية في السادسة عشرة من عمرها، بشعر أشعث كعش العصافير، ووجه دقيق حرقتة الشمس.. رغم أنها كانت تدرك حالها هذه، لكنها كانت تدرك أنها تشغل ركنها مهما في حياته.

في الواقع، مودة دانيال نحو البنت الصغيرة، أصبحت موضوع نائمة واسعة بين كل النساء اللواتي لا يملن إلى صبيحة. لأن دانيال كان يتجاهل كل النساء الجميلات بل وحتى رائعات الجمال

منهن، ولا يفارق هذه البنت الصغيرة. كان يقضي جل وقته معها. لقد أصبح صديقا مقربا منها، بحيث يمضيان الوقت سويا، رغم أنه لم يفصح عن عشقه لها، أخذا بعين الاعتبار صغر سنها. كان يورجح في الحديقة طيش صبيحة في أرجوحتها، وفي البيت، يقرأ كتب الحكايات للفتاة الصغيرة. وفي المساء، يصطحب البنت إلى غرفتها لكي تنام باكرا، ثم يترك كل النساء ومجالس المرح تلك ليقوم بنزهات في يخته حتى ساعة متأخرة من الليل. وهكذا، فكل النساء الجميلات والخبيثات منهن اللواتي يغرن من حاله هذه، يشرعن بنقل عشقه هذا باستهزاء.

كانت تتابع القاطرة بفارغ الصبر، بينما الحشد يزداد باضطراب.

اتجهت أنظار صبيحة إلى حيث يتطلع الجميع بانفعال. كانت ترتعش قليلا رغم تدثرها بمعطفها الفرائي.

كان آتيا، لا ريب.. الآن، سيأتي.. وسيغدو كل هذا الماضي، وكل تلك الأيام الحزينة في غياهب النسيان.

صبيحة:

«إذا أراد!» فكرت في سرها.

أجل، إذا أراد لكنت ستريه أن صبيحة أصبحت قادرة على فعل أشياء كثيرة. لقد أحبته بحرارة قلب شاب معطاء.

في السنوات الأولى لسفره، كانت تنتظر أن يبادلها نفس الحرارة والوجد في رسائله.

لكنه بعد سفره، كانت رسائله كرسائل أحد الأقارب. بعد عدة سنوات، مع مضي الأيام، تباعدت الرسائل، تباعدت حتى انقطعت، انقضت سنتان مذ لم يصلها منه أي خبر.

عزت صبيحة ذلك إلى علاقة بنساء أنسته إياها، فشعرت بالضعف والإهانة، إلى حين أن تعرفت على عوني وهي تمر بحالة من الغيرة والفؤاد الكسير. أحب عوني صبيحة ورغب بها، فتزوجته.

لو.. لو لم تتلق رسالة تهنئته بزواجها، تلك التي تحمل مشاعر حزن، ربما كانت ستتسى كل شيء مع مرور الوقت. كلا، ما كانت لتتسى، ولكانت ستقابل مشاعر زوجها بمثلها، وتولي حبه شأنًا أكبر، لمجرد الشعور باليأس من دانيال والسخط عليه. لكن تسلمها بعد شهرين من زواجها رسالة من دانيال بالتهنئة، وما كتبه عن دهشته لبلوغها عمرا يؤهلها الزواج وتبرمه من تعاسة حياته:

«حياتي فارغة، فارغة جدا، وأشعر أنني قد أضعت سعادة كبيرة، كبيرة جدا».

ظنت صبيحة أنها هي هذه السعادة الكبيرة الضائعة، أو هذا ما أرادت تصديقه.

أخيرا، سحبت القاطرة السفينة حتى رصيف الميناء.. زحام شديد على الرصيف.

كانت صبيحة تنظر إلى السفينة وكل جسدها يرتعش. ستنتهي أخيرا، كل الآلام وكل المعاناة. لقد عاد، وهما متفاهمان. منذ أحد عشر عاما، كانا متفاهمين، رغم عدم مكاشفتها بعضهما في الرسائل التي تبادلها.. وعندما كتب «سأعود» في رسالته، أرادت صبيحة أن يضيف جملة «سنكون سعيدين».

لم يكن هناك أية أهمية لهذه الرسائل البريئة المضمون. شعر عوني طوال حياته، بتعلق زوجته بشخص آخر، وأدرك جيدا أن

هذا الشخص قريب يكتب رسائل من بلاد بعيدة، ورغم أنه كان يطلع على كل تلك الرسائل، لكنه لم يحاول التعمق بما قد تعنيه من تصرف مشين. لم يكن يمنع زوجته من قراءتها، ورغم غيرته طوال أحد عشر عاما، لكن الغيرة من رجل غائب منذ ستة عشر عاما أمر مضحك. ظلت صبيحة غير مبالية بأسى وكرب زوجها، ولم تحاول التعايش مع واقع حياتها وزواجها.

كلما اقتربت السفينة، كان حبا يتأجج بجنون. لقد أحبته منذ ستة عشر عاما.. أحبته طوال ستة عشر عاما من عمرها، بهيام وقلب لجوج. ما كان سواه من أمل، إذ وهبت شبابها وحياتها لهذا الحلم.. هكذا أحببت دانيال، ولم تحب سوى دانيال.

أين هو؟ كانت صبيحة تنظر إلى سطح السفينة. الحمالون يتدافعون حولها.. حشد من الناس يركضون بصبر نافذ ومزاج حاد. تجد صبيحة بالبحث، لكنها ما كانت قادرة على رؤية دانيال وسط هذا الحشد.. أين يمكن أن يكون؟ الركاب يلوحون بأيديهم لأقربائهم وأصدقائهم القادمين لاستقبالهم، وهم بدورهم فرحون بلقاء المسافرين العائدين، يتضاحكون ويتصايحون وينادون. الحمالون المتسلقون على الجبال.. يتدافعون ويشقون طريقهم بصعوبة. كانت صبيحة تنظر وهي واقفة في حالة ذهول وانفعال.

كان جميع من على السفينة في هرج ومرج، إلا رجلا بدينا ومسنا من بين الركاب ينظر بحيرة، وقد أمال قبعته إلى الخلف قليلا كاشفا عن رأسه الأصلع. عيناه كانتا تبحثان عن أحد ما.. وبينما كانت تبحث عنه بنظراتها، وقعت عينها على ذلك الرجل المسن. تلاقت نظراتها مع نظرات ذلك الرجل المسن.

وكان قلب صبيحة توقف لثانية عن الخفقان. كانت هاتان العينان تشبهان عينيه إلى حد بعيد، لكن من المستحيل أن يكون هو. لا شك أنه قد تغير وهرم أكثر، وازدادت تجاعيد وجهه عمقا.

اقتربت صبيحة أكثر نحو السفينة، تركت يداها المرتعشتان ياقعة معطفها. الرجل البدين الضخم ذو المعطف المطري قام بحركة آنية ولوّح بيده لصبيحة.. ضيقت صبيحة عينها وأمعدت النظر.. هذا الرجل العجوز، الذي تطفح الحيوية من وجنتيه البدينتين اللامعتين، ابتسم لصبيحة.. تعرّفت صبيحة على هذه الضحكة باندهاش.

يناول الرجل السمين الحمّال حقائبه باهتياج، ويندفع باضطراب نحو السلالم. ينزل، وبينما هو ينزل كان ينظر بوجه ضحوك نحو صبيحة..

فكرت صبيحة بكل شيء، لكنها تتذكر ما للسنين من قدرات عبثية غدارة وهدامة. كانت تنظر إليه وتجيب على أسئلته متلعثمة، وقد شعرت بقشعريرة، جعلتها ترتعش حتى النخاع. كانت مشوشة الذهن، كأنها تلقت ضربة قوية على رأسها، وركبتها ترتعدان كأنها منهكة. كل شبابها، وكل أحلامها، كل ماضيها انهدم وانهار.. هل هذا الرجل هو الذي أحبته منذ سنوات؟.. غير ممكن، فكرت في سرها، لكنه أصبح ذلك. لقد حرمت نفسها منذ سنوات، من كل متعة وكل سعادة من أجل هذا الرجل الأصلع ذي الكرش الكبير. لقد أصبح زوجها مكتئبا حاد الطباع لغيرته من هذا الرجل. قضت على حياتها من أجل ذلك؛ كل عمرها..

يا للسخرية.. شعرت صبيحة برغبة بالضحك وبالبعاء في
آن معا..

عندما جلس في العربة، كان يمسح قطرات العرق المتجمعة
على جبينه.. لقد عانى كثيرا ليصعد العربة دون أن يثني قدمه
المصابة بالرتية.. قال ساعيا إبداء الأعذار للمرأة الشابة التي
أحبها في الماضي بجنون وأحبته كثيرا:
«أنا مصاب بالروماتيزم...».

وبينما كانت تنظر إلى حلمها الذي انتهى وانطفأ في عينيها،
أضاف قائلاً باستسلام حزين:

«الكبر يا صبيحة! لقد مضى ستة عشر عاما كاملا لم نلتق...».
ردت صبيحة بابتسامة ماكرة، ابتسامة شبابية متبججة خبأتها
ببياقتها الفرائية، ثم قالت بصوت قطع كل علاقته بالماضي:
«دع عوني يعالجك! لقد عالج العم شكري أيضا».
عمها شكري.. أرخى الرجل العجوز قبعته حتى عينيه.. نظر
بعينيه العجوزتين إلى باب صالة الجمارك وإلى الازدحام.
شعر بالندم لمجيئه.. انطلقت العربة..

بريدة جلال
PERIDE CELAL
1915-2013

ولدت في إستانبول، وبدأت تعليمها في مدارس سامسون، ثم عادت إلى إستانبول لتكمل تعليمها الثانوي في المدرسة الفرنسية، بعد أن أمضت معظم طفولتها في الأناضول. عام 1944 سافرت إلى سويسرا لتعمل مساعدة في المكتب الصحفي في السفارة التركية في بيرن. وبعد عودتها إلى تركيا عملت في الصحافة الحكومية والخاصة ودور النشر.

بدأت الكتابة في سن مبكرة، ونشرت أولى قصصها «البنيت البيضاء» عام 1935 في أسبوعية «يدي غون». تابعت نشر قصصها وتحقيقاتها الصحافية ورواياتها في الصحف مثل «آخر بريد» و«الجمهورية» و«تان» و«ميليت».

يمكن تقسيم نشاطها الأدبي إلى مرحلتين: المرحلة الأولى ما نشرته في الصحف والمجلات في بداية حياتها الأدبية، ولم يكن سوى روايات غرام وقصص رومانسية، المرحلة الثانية ما كتبه في النصف الثاني من حياتها الأدبية، وقد امتازت أعمالها في هذه المرحلة بالتركيز على الحياة الملثوية

والفاسدة للبورجوازية التركية بأسلوب عالي الرقة والمشاعر والواقعية.

من أعمالها في مجال الرواية: الشعلة المنطفئة (1938)، مطر الصيف (1940)، الفتاة الأم (1941)، أنا لم أقتل (1941)، الباشق (1944)، ولادة عشق (1944)، القمة الأربعون (1945)، الطريق الضيق (1949)، قصة ثلاث نساء (1954)، الغرفة الأربعون (1958)، نور في طرف الليل (1963)، أغنية الخريف (1966)، من يوميات امرأة متزوجة (1971)، الذئب (1990)، العشق المجنون (2002).

ومن أعمالها في مجال القصة القصيرة: جاكوار (1978)، موت سيدة (1981)، صراع الحصص (1985).

أصدر الكاتب سليم إيري عام 1996 بمشاركة ستة عشر كاتباً، كتاباً بعنوان «جائزة لبريدة جلال» تقديراً لها ولدورها المهم في الأدب التركي الحديث.

نالَت عام 1977 جائزة سدات سماوي الأدبية عن روايتها «أربع وعشرون ساعة».

ونالت عام 1991 جائزة أورهان كمال عن روايتها «الذئب».

الهاربة

البنّت تقف أمام النافذة.. في الخارج، الهواء كان بلون رمادي خانق، يجثم فوق المدينة. الساحة، حيث يلعب الأطفال الكرة في الأيام غير المطيرة، أصبحت مستتقعا وحليا. على الطريق الإسفلتي المتشقّق والهابط في أنحاء متفرقة منه، أعقاب سجاائر رميت من العربات، أوراق قذرة وأكياس من النايلون المتسخة كانت تتطاير بفعل الريح. قطة سوداء هزيلة، متمددة عند آخر عتبة من درج البيت الحجري، تريض هناك دائما، تأكل بقايا الطعام الذي تضعه أمها أمامها كل مساء، تعلق وتلعق، ثم تتسحب وتذهب. «لعنك الله!» قالت البنّت، دون أن تُسمع أمها. كانت تنفر من القطة السوداء والشارع القذر والساحة مستتقع الوحل.

أمها، في الخلف، كانت تخطط الملابس التي سترتديها في رحلة المدرسة، الأسبوع القادم، وقد وضعت ماكينة الخياطة فوق طاولة الطعام. بانّت على شفيتها ضحكة شريرة. «إذا ما كنت هنا الأسبوع القادم!» قالت. وثب قلبها فرحا، ولفّت كل جنباتها رعشة ممتعة تشبه رعدة الخوف. خلفها صوت طرطقة الماكينة. «هيا!.. هيا!.. هيا!» كانت تقول. أمس في الصف قالت بصياح: «لقد سئمت من وجوه المعلمين المقطبة، والعلامات السيئة،

ورائحة المراحيض!». «ألسيت أنتِ من لا تعرفين الخوف، ألسيت أنتِ من إذا ما هب على عقلك أي شيء تدوسين على أكثر ما تحبين وتمضين!.. هيا» كانت تحدث نفسها، «اجمعي جرأتك وامضي من الغرفة. اليوم هو هذا اليوم!». وخرجت البنت من الغرفة.

صعدت الدرجات بهدوء، دخلت غرفتها، سحبت درج خزانة الملابس؛ ملابس داخلية وجوارب ومشدّات صدر صغيرة متسخة، جميعها في حالة فوضى.. كانت أمها تغضب كثيرا من إهمالها. لكنها بعد الآن لن تغضب. فكّرت بحقد، سأجعلهم يندمون. أخذت حقيبة الكتف التي كانت ملقاة في الزاوية، وأفرغت كتب المدرسة، وضعت في داخلها بعضا من الملابس الداخلية، وبعضا من التيشيرتات، والأثير إلى قلبها بنطالها الأحمر القصير الذي يلتصق بعجزتها، وصندلها. أخرجت علبة شوكولاته كانت قد خبأتها بين الملابس الشتوية في الدرج الأسفل من خزانة الملابس. في داخلها، رزمة من النقود الورقية، وضعتها في محفظة نقودها. منذ أشهر لم تأكل ولم تشرب، جمعت مصروفها اليومي للمدرسة. كانت نقودها كافية للطريق وللأيام الأولى. ستبحث هناك عن عمل. قالت صديقتها إن ذلك سيكون سهلا. تمتلئ المرافق السياحية وتفيض بالطلاب صيفا. البنات المقبولات الجمال مع قليل من إجادة لغة أجنبية، حظهن أوفر. صديقتها، ذهبت مع مجموعة في بداية الصيف إلى الجنوب. روت في المدرسة، عن الأيام التي أمضوها في قرية الساحل، وعن ليالي بودروم. امتلأ قلب زميلاتها بالغيرة. «الدور الآن عندي!» قالت البنت متبسمة. علقت حقيبتها على كتفها،

خرجت من البيت بهدوء، نزلت الدرج متسللة كقطعة، بهدوء رددت الباب واندفعت إلى الشارع.

كانت تعلم جيدا من أين ستحصل على التذكرة، ومن أين ستصعد الحافلة الصغيرة. ستفعل كما أوصتها صديقتها: يجب الذهاب أولا إلى مكتب الخدمات في كاديكوي. ستأخذ التذكرة من هناك، ستخرج إلى الشارع عبر الأزقة الخلفية كي لا تلتقي بأحد يعرفها. فكّرت بذلك منذ أيام وخططت له. كانت تعلم جيدا ماذا ستفعل، من أين وإلى أين ستذهب. سيصابون بالحيرة، هذا ما فكرت به. أمها، أكثر من سيصاب بالحزن لأجلها. «فتاة صبية مفقودة»، «هل اختُطفَت؟ هل قُتلت؟» لم تكن تريد أن تنشر الصحف مثل تلك الإشاعات؛ ذلك سيكون فضيحة. كانت ستهاجم أمها فور وصولها، لعل من الأنسب إرسال برفية. «ماذا أقول؟» فكّرت قائلة: «أنا بخير، أعمل، لا تقلقوا من أجلي، هنا مكان رائع». أقوال من هذا القبيل.. أبوها ما كان يعنيه أي شيء، عصبي مثل كل الآباء، رجل منهك، يصيح لأتفه الأسباب..

قررت ركوب حافلة صغيرة تقلّها أولا إلى هارم. «تأخذين تذكرتك من محطة الحافلات. يبدأ المنادي بالنداء، تجدين الحافلة بكل يسر وتصعدين» قالت صديقتها. توجد قمرات على جانبي الحافلة، يضعون الحقائب داخلها. لكن حقيبتها كانت خفيفة إلى الحد الذي يمكن إبقاؤها إلى جانبها.

صعدت الحافلة وهي تأرجح حقيبتها على كتفها. قررت أن تجلس إلى جانب النافذة. قلبها كان يخفق بسعادة.. لم تكن خائفة، كانت تعلم بأنها ستتجح وأن كل شيء سيتم كما خططت له. عندما تتطلق الحافلة، سيقدمون الكولونيا للركاب،

«يا لها من كولونيا!» قالت صديقتها. «لن أمدّ يدي، سينتهي الأمر» فكرت قائلة. المنادي فتى يعاكس البنات، سيبتسم وينظر إلى وجهي. كانت معتادة. الفتيان في الصف كانوا ينظرون بنفس الطريقة أيضا. كانت تعلم أنها جميلة. «أنا أريد أن أعيش!» قالت في سرها. لا تعلم جيدا لماذا قالت ذلك. «بعدها تنهين عملي، تستطيعين الدخول إلى البحر»، قالت صديقتها. البحر، آه البحر! لم تتسّر أن تحضر معها ملابس السباحة ذات القطعتين. كانت ستقابل هناك خليطا من الناس وعددا كبيرا من الفتيان.. أكثرهم من الأجانب. الجميع سعيدون، الجميع بوجوه بشوشة، ودودون.. العاملون في الفنادق، النادلون، أصحاب المحلات، الجميع.. صديقتها، لم تجامل أحدا لأنها لم ترغب بالابتعاد عن جماعتها. ومن خوفها قليلا. يُشاع أن هناك من يخطف البنات الوحيدات في السواحل، وفي الحقول، ويشاع أنه يتم بيعهن هنا وهناك.. كما في الأفلام، يباع هؤلاء الأطفال، وأولئك البنات في الشرق الأقصى.. ارتعدت. لم تخلع صديقتها الجزء العلوي من المايوه عندما نزلت إلى البحر. «لها ثديان ضخمان، من الطبيعي ألا تخلعه!» فكرت قائلة. هي أيضا ما كانت لتخلعه، يجب أن تكون حذرة جدا. كانت تعرف كيف تحمي نفسها، كل ما كانت تريده سماء زرقاء، وشمس، بحر وحرية. «تتوقف الحافلة من حين لآخر لاصطحاب ركاب جدد، مزعج قليلا»، قالت صديقتها. «ليكن!» تهز البنت كتفيها. «أنا في الحافلة! أمضي، وأبتعد»..

غبرة، طافشائلي.. في العتمة أنوار مشعة هنا وهناك.. على أطراف الطريق، بيوت مختبئة بين الأشجار.. «رائع!» تقول البنت

وهي تغمض عينيها بهدوء. أفضل من أزقة المدينة القذرة، ومكاب النفائات، والجدران السوداء المملخة بالسخام، وضوضاء حديقة المدرسة القذرة!.. والدها يثب من مكانه قائلاً «لعنكم الله، لعنكم الله!» بعد أن يقرأ العناوين السوداء في الصحف.. يفلق مفتاح التلفزيون عندما تُعرض جازات ملفوفة بالأعلام!.. أمها ذات الوجه الذي لا يضحك، تصغي للراديو باكية أثناء تسلسل أخبار الموت، بدلاً من سماع أغنية لسيزان أكسوا بيت الممنوعات! ستفعلين، لكن ليس ما تريدين، بل ما يريدونه هم: «كوني فتاة مجتهدة ومهذبة ومؤدبة. لا للأفلام الخليعة، لا لمغني البوب المجانين، لا لتلفزيون قبل إتمام وظائفك المدرسية..»، سأرد لكم الصاع صاعين. «حيوانات. حيوانات!» تلقَّ الاحترام الذي يليق بك! مولع بالشتائم. تقول في سرها: «لعنك الله!»، «لا أبالي»، «لا يعنيني»، «رائع». بعيدة عن أمها، وأبيها، والبيت التعيس المليء بالشجار.. «لا يعنيني، لا يعنيني!» تقول، تهز كتفيها، هكذا تهز كتفيها دائماً، وكأنها تقول «لا يعنيني، لا يعنيني!»، دون أن يراها أبوها. وحدي، حرة.. شعور بالخوف يغمرها أن تكون وحدها. تقول هذه هي السعادة، السعادة! وكأنها تريد أن تذهب خوفها. «تتوقف الحافلة من حين لآخر لاصطحاب ركاب جدد، مزعج قليلاً»، قالت صديقتها. «ليكن، ليكن».. تهز كتفيها. «أنا في الحافلة، أمضي، وابتعد!»..

إزميت من بعد غبزة.. «عندما تشد العتمة، تضاء مصابيح حمراء فوق المقاعد»، قالت صديقتها. «كل راكب يضع وسادة صغيرة خلفه، يتوسدها وينام». هم لم يناموا، ضحكوا وتحادثوا. «أنا أغمض عيني، وأتظاهر بالنوم» تقول البنت. عدم وجود

صديق أو رفيق إلى جانبها أمر يبعث على الكآبة قليلا. أليست وحيدة في المدرسة، وفي البيت أيضا؟ «هذه البنت منطوية على نفسها، لا تتحدث معنا أبدا، بعيدة عن العائلة..» ألا تقول الجدة والخالات ذلك دائما؟ ليذهب جميعهم إلى الجحيم.. عليهم اللعنة!.. تبا لهم! توبيخات أمها بلا توقف: «بدأت تتكلمين مثل كلام التلفزيون، انتبهى! تقضمين أظافرك، لا تدرسين كفاية»، «حسنا! ابحثي وحاولي أن تجديني الآن، كي توبخيني!».. متممة أمها تشكو وهي تتحدث على الهاتف: «يا للهول قتلوا أطفالا ثانية، آه اشتباكات مسلحة في الجبال ثانية، أزواج مقطعون، أطفال رضع في أقمطة ملطخة بالدماء...». وصوت أبيها المتذمر «مجتمع أضع طريقه في هذا الانحلال الاجتماعي والاقتصادي. العالم ينزلق نحو الهاوية تحت أقدام المحافظين والمستغلين!». عمها الذي أصبح غنيا بعد عمله في سوق الأوراق المالية، ليحصل في النهاية على سيارة أحلامه لسنوات، بصوته المستهزئ الصافر: «ما يقال عن المدينة وحش لم يبق له سوى سن واحدة!» ثم يجرع كأس العرق بضمه الممتلئ بالمآزة وشفثيه المبللتين، ويرفع عقيرته بمرارة: «لقد تأذينا يا شعبي، لا تستخفوا بنا...». وحيد القرن! تقول البنت، وحيد القرن!

علّق أبوها، في وسط حائط أجرد لغرفة الطعام ملصقا لمومجو. كانت تمر دون أن تنظر إلى ذلك الملصق، «لا يعنيني، لا يعنيني!» تقول. رغم ذلك كان داخلها يحترق، كلما رأت وجه مومجو الأشقر ووجهه الضحوك. لماذا علقه هناك؟ لذلك كانت غاضبة على أبيها. «كي لا ننسى!»، قال أبوها. ألكيلا ينسى يعبس وجهه دائما، ويحدق بالناس بعينيه السوداوين كالفحم؟

بيدو حانقا لأنه لم ينسَ، وساخطا دائما! أمها تقول إنه لم يبقَ
 للعنينا بهجة. لم يعد هناك محبة، وتقطعت أواصر الصداقة.
 أصبح الناس يخشى بعضهم بعضا. أنا لا أخشى! أنا أهرب، أنا
 أمضي!.. تتهدت بعمق. حتى لو لم يبق في الدنيا سوى البحر
 والشمس والأشجار!.. «لا يعني، لا يعني!» قالت وهي ترتجف
 قليلا. أغمضي عينيك، لا تفكري، لا تفكري أبدا بما مضى..
 «أخذنا معنا عددا من السندويشات وعلب الكولا وتدبرنا أمرنا
 بها طوال الرحلة»، قالت صديقتها. ذهبها بمفردها كان الأكثر
 إرباكا. فكري بالتصفيق حينما ينتشر الخبر في الصف! تتبسم
 قليلا باستهزاء، معتدة بنفسها ومتباهية.

محطة حافلات «إزميت» والمصاييح المضاءة ثانياة. «عندما تتوقف
 الحافلة ينهض بعض الركاب»، قالت صديقتها. «يذهب معظمهم
 إلى مراحيض ممتلئة بالغاائط. كم هي قدرة، كم هي قدرة!».
 «أنا، لن أتحرك من مكاني حتى نهاية الرحلة» تقول البنت.
 نساء قرويات يصعدن الحافلة بملابس ملونة. من خلفهن، عدد
 من الرجال، وهاهو فتى أحلامها بوجه «كيفن كوستتر»! طويل
 القامة، نظرات فطنة، شعره مبعثر على جبينه.. شخص «رائع»..
 ينظر نحوي، يتجه نحوي مباشرة! بل أكثر وسامة من «كوستتر».
 عيناه زرقاوان، يتبسم. «رائع!» تعال هنا، إلى جانبي. أنت من
 أنتظره.. أحبك! يدرك، يأتي ويجلس إلى جانبي. رائحة كولونيا
 الصنوبر المنعشة.. تغمر شعرها وإبطيها بغزارة من الكولونيا
 التي في الحمام، دون علم أبيها. أيام السبت، عند اصطحابه
 أبناءه إلى السينما.. كان لا يكف عن توبيخهم: «لقد استنفدت
 الكولونيا!». لعنك الله! ما كانت تحب الكولونيا الرخيصة ذات

الرائحة كرائحة الريح التي تجلبها أمها. أول عمل تقوم به، ما إن تترجل من الحافلة شراء كولونيا الخزامى ماركة ريبول.. يتلامس كتفها وكتف الشاب الفتى. شعره ناعم كالحرير، طويل ومتنوع يلامس مؤخر عنقه. ينحني وينظر إلى وجهها. كانت تعلم أنه سيفعل ذلك.

«مرحبا!» يقول الفتى.

كم هو فتى، وكم صوته رخيم!

«مرحبا!»، تقول البنت مع ضحكة خجولة.

يجب إخفاء ابتهاجها. يجب ألا تتهافت عليه على الفور.

«إلى بودروم؟»، يقول الفتى.

«نعم، إلى بودروم».

يشرعان بالحديث على الفور. كم لحديثه عن بودروم طلاوة.

هناك نُزل لوالده. يذهب لقضاء بضعة أيام.

«أين ستقيمين؟»، يسأل الفتى.

بماذا يجب أن تجيب؟ تقع الفتاة في حيرة. الفتى أكثر من رائع.

«تقيمين في نُزلنا»، يقول: «سيقدم والدي لك سعرا للطلاب

مخفضا، ستشعرين بالراحة».

هكذا مصادفات «رائعة» تحصل في الحياة. الأرواح ما تعارف منها ائتلف.

يصيح معاون السائق:

«استراحة لنصف ساعة».

«يتم التوقف من حين لآخر في محطات الوقود»، ذلك ما روته

صديقتها.

الفتى:

«هل نترجل؟»، يقول: «نقوم بجولة تنشط أرجلنا».

يُخرج علبة سجائر حال نزوله من الحافلة. هل يجب أن أقول له إنني في السادسة عشرة من عمري؟ أسرق من سجائر أبي وأخبئها تحت وسادتي، أدخنها خلسة، أثناء قراءتي القصص البوليسية ليلاً؟

فكرت بأنها أصبحت قادرة الآن على التدخين متى تشاء، وتستطيع الذهاب إلى المرقص ليلاً بصحبة فتى «رائع» شبيهه كوستنر أتاها بنفسه. يرتعش داخلها من الفرحة.

يمشيان على جانب الطريق. تماما مثلما روى أصدقاؤها: أشجار حور طويلة جدا، خضراء يانعة.. بيوت كالعلب في البعيد.. ألوان صفراء تلمع هنا وهناك.. أشجار مرة أخرى، بيوت مرة أخرى.. يمسك الفتى يدها، هل يجب أن تردّه؟ كلا، لن تُصدر أية ردة فعل. تمشي بأيد متشابكة مع رجل ضخم، أول مرة! امرأة صغيرة الحجم إلى جانب رجل طويل القامة! كلمة «امرأة»، تجلب أفكارا معيبة إلى عقلها.. يقشعر بدنها.

أمام باب المدرسة، معاكسات الفتيان البذيئة وحماقاتهم، وبعثرتهم لشعورهن. في الأزقة الخلفية، تلاصق الكتف بالكتف والضحكات المكتومة.. الهروب خلسة إلى السينما.. تدير ظهرها لكل ذلك. بين شفيتها كلمات باقية من عنوان رواية: الوداع لطفولتي! تتبسم بنعومة. هاهي مع الفتى جنبا إلى جنب. ما أجمل حديثه! كم صوته دافئ وحميم كصوت ممثل دوبلاج مشهور في التلفزيون، يعجب أمها كثيرا. ماذا كان اسمه؟ ليس مهما، لا يعنيها سوى الفتى. حبي الذي في أحلامي! كما يحدث

في الأفلام فجأة، على طريق نصف معتم ومحاط بأشجار حور يانعة الخضار، ويشع لمعان على الطريق أمامهم!.. يرتعش داخل البنت. ذلك الخوف المليء بالمتعة يغمر كل جوانحها من جديد، برعشة حزينة.

«تقف الحافلة في المواقف، تأخذ القرويين، تهزهز المرء وتهلكه»، قالت صديقتها. «ليكن.. ليكن.. من يُعر اهتماماً؟ أنا فتية! لا أتعب، أنا قوية!» الحافلة تهتز أثناء المرور على الطرق الممتلئة بالحفر، تتحرف عن مسارها، مرة في هذا الاتجاه، ومرة في ذاك الاتجاه.. «ليكن.. ليكن».. «بورصا»، ثم مضرق «بالوفا»، محطات الوقود. ينزل الفتى من الحافلة في أحد المواقف. يعود بعد قليل، بساندويشات وعلب الكولا. تضحك البنت، يا لها من مغامرة رائعة! روت صديقتها: «شرار أحمر ينطلق من مداخل منشآت تكرير البترول خلال الليل الحالك. أنوار في البعيد، كريات شمس صفراء صغيرة في وسط الظلام!» سخروا منها قائلين: «تكتبين شعرا». يصيح المنادي: «ركاب بليكاسير إلى العربية!». ثم تنطلق الحافلة، يصب المعاون الكولونيا على أكف الركاب الجدد الممتدة. «كولونيا من نوع رديء»، قالت صديقتها. «تقدمة من الشركة. يتهافتون عليها كأنها لبن العصفور. يا للناس الجشعين!».

الطريق السريع.. على جنبات الطريق أشجار، وأعمدة التلغراف، وشاحنات مارة تصدر أزيزاً. كتفها مسند على كتف الفتى. أنوار اختفت، تظهر من جديد. «عند وصولنا إلى مانيسا، كنا جميعاً نياماً»، قالت صديقتها. هي أيضاً، تسند رأسها على كتف الفتى.. تماماً كما يحدث في الأفلام!

تتفتح زرقة السماء الداكنة. تمر الحافلة بتسارع بين الغابات. متابعة الأشجار والبيوت والطرق الهاربة وهي على كتف الفتى! «رائع!» تتمم البنت «رائع!» في مانيسا كل شيء أشد اخضراراً، البيوت والحدائق اختبأت خلف الأشجار! الطريق المعبد يزداد اتساعاً، تزداد حركة العربات والشاحنات كثافة، فتتباطأ الحافلة. هذه بورنوفاً وتلك إزميراً!

أنفاس الفتى الساخنة، عطره الخزامي! يهمس بهدوء في أذنها: «نقترب!»، «ماذا؟ إلى أين؟ ليكن.. ليكن!».. تقول البنت. رحلة «رائعة!» تقول. «سيقبلني، فوق أذني مباشرة، من شعري! سيقبلني، سيقبلني!» تقول وهي ترتعش من الانفعال.

«تفرغ الحافلة في إزمير»، قالت صديقتها. هكذا أفضل. سنستطيع الاقتراب من بعضنا على راحتنا. بنت فتية، في حافلة نصف فارغة، إلى جانبها أجمل فتى في الدنيا.. يجب أن أكون حذرة، ذلك ما تفكر به البنت. هو أحد الغريباء، إذا ما لطفته، من يعلم ماذا سيظن.

«هل لك أن تصدقي أنهم يصفون كل فتاة بينطال قصير وساقين عاريتين بعاهرات إستانبول؟ ذلك ما سمعته من سائق شاحنة في محطة الحافلات» ذلك ما روته صديقتها. «رجل حقير! لأنني تحدثت قليلاً مع شاب فتى! لكن الرحلة بالحافلة تصبح مزعجة جداً، عندما تشتد حرارة الجو الخانقة». «حرارة الجو لا تهمني!» تقول البنت في سرها. الحافلة تسرع على الطريق الإسفلتي. الأشجار والجبال والسماء الزرقاء الصافية والطرق. أسعى ونسعى إلى الحرية.. سلجوق، سوكة، ميلاس.. نحلّق.. أحلّق! النوافذ مشرّعة. الريح، ريح بودروم الحارة،

بحرها، شمسها والحرية، هذه هي الحياة!..
يد أمها على كتفها، تعود الفتاة فجأة من رحلتها التي انطلقت.
عيناها مغرورقتان، أمام النافذة. تنظر إلى أمها بحدة. ماذا
تريد، ماذا تريد مني هذه المرأة ثانية! أكرهها! هي أمامها عقبة
لكل شيء جميل، بيدها قطعة قماش نصف مفضنة..
«انتهى»، تقول أمها. «غدا تستطيعين ارتدائه في الرحلة، لم
يبق سوى كيّه».

رحلة وثياب بأزهار وردية! ليذهب الجميع إلى الجحيم! هذا
البيت، هذه المرأة، كل شيء..
الأم تطوّق البنات من كتفها بهدوء. تضمها، وبصوت مليء
بالحزن:

«هربت ثانية!»، تقول.

تتهدّب بعمق.

«جميعنا في عمرك بكينا أمام النافذة. جميعنا أردنا الهرب!».
تبقيان بلا حراك إلى جانب بعضهما فترة من الوقت، تنظران
محدقتين إلى المياه الوحلية المنسابة إلى جانب الرصيف، إلى
الساحة الخالية، إلى الغيوم السوداء المحملة بالمطر والمتدافعة
في السماء. «يا للأسف، نسي أبوك مظلته في البيت!» تتمتم
أمها. البنات تتسحب من بين الأذرع التي تطوّقها، وتبتعد.. تخرج
من الغرفة راكضة.

الأم تصيح السمع إلى صوت الأقدام الغاضبة التي تهز الدرج.
ستدفن نفسها في سريرها وستبكي ثانية! تقول في سرها. تتهدّب
وتعود إلى ماكينتها!

أتيالر - إستانبول 1994/2/11

نزيهة مريتش
NEZİHÉ MERİÇ
1925-2009

ولدت في غمك التابعة لمدينة بورصا، وأمضت طفولتها في مدن مختلفة في الأناضول. أكملت تعليمها الإعدادي في العام 1943 في ثانوية إسكيشهير. التحقت في جامعة إستانبول - قسم اللغة التركية وآدابها، تركت الدراسة عام 1945. تعلمت العزف على البيانو أثناء رحلتها الدراسية، وعملت في تعليم الموسيقى في المدرسة الابتدائية لجزيرة هيبلي على مدى عشر سنوات في الفترة ما بين (1945-1956). عملت بإدارة مجلة «الرفيق» ودار الرفيق للنشر ما بين الأعوام 1952 و1972.

نشرت أولى كتاباتها في مجلة «أوميت» (الأمل) الأدبية منذ العام 1945. ركزت في قصصها على حياة الطبقة المتوسطة في مرحلة الجمهورية، وبخاصة البنات الشابات بلغة تحمل ذوقا شعريا بسيطا يميل إلى الرصد الداخلي، وأثارت المشكلات الاجتماعية والحياتية للفئة الشبابية الطموحة من العمال والمتعلمين. حرفيتها بتجسيد التفاصيل وإسقاطاتها النفسية والتعبير عن المشاعر أعطت لقصصها طابعا خاصا، فلاقت قصصها رواجا واسعا على

مستوى القراء، كما اهتمت بمشكلات المرأة والطفل، وكتبت عن الفوضى والضياع السياسي في سنوات السبعينيات حين عانت تركيا الصراع الدامي والاغتيالات السياسية بين اليمين واليسار، لتصبح أحد أهم أعلام الأدب التركي الحديث، فنشرت أعمالها في الولايات المتحدة وألمانيا وفرنسا وروسيا.

أعمالها في مجال القصة القصيرة: الغموض (1945)، الرخص الأعرج (1956)، الوعي البنفسجي (1965)، تحت الدخان (1979)، بئر عميقة سوداء (1989)، الحرق (1998)، صوت بلبل من داخل الوردية (2008).

وفي مجال الرواية: زقاق القرصان (1962)، الغزال الأرقط (2003)، الرذاذ (2005).

وفي المسرح: المياه كانت مضيئة (1969)، الحبيب (1984)، في الصباح الباكر (1984).

وكتب الأطفال: أطفال الظل (1976)، سلسلة أعرف بنتا صغيرة «7 كتب» ما بين (1991-1998)، توقف وانتظر أطفال العالم (1992)، طفل اسمه أحمد (1998).
وفي السيرة: صمت في الجندل (2004).

نالَت عام 1962 جائزة المجمع اللغوي عن روايتها «زقاق القراصنة».

ونالت عام 1990 جائزة سعيد فائق للقصة القصيرة عن مجموعتها القصصية (بئر عميقة سوداء).

ونالت عام 1998 جائزة سدات سماوي الأدبية عن مجموعتها القصصية الحرق.

ونالت عام 2007 جائزة مرسين الأدبية تقديرا لأعمالها الأدبية.

الأمّل خبز الفقير

امرأة نحيلة واهنة، كانت تمشي هائمة على جانب الطريق بلا هدف. غطاء مورّد على رأسها وقد بهت لونه، وترتدي معطفا أسود نسلت خيوط أطرافه وبهت لونه. تسقط أشعة شمس أغسّطس الحارقة على رأسها، وقدمها في حذائها البلاستيكي كانتا تخزينها بفعل العرق والتعب. لا أحلام تستسلم لها. على يمينها روض اصفرّ عشبه وجفّ وانتشرت فيه القمامة والنفايات، وأصبح مكبا لرماد الفحم، ويمتد على امتداد البصر حتى المقبرة، وفي وسط الروض لا يوجد سوى حصانين هزيلين يحاولان أكل ما تيسّر من أعشاب. شجرات سرو المقبرة بدت تحت أشعة شمس أغسّطس التي تخطف البصر بلمعانها ككتلة سوداء. الطريق المرصوفة بالحصباء لا نهاية لها، وتمتدّ وتطول نحو المجهول. كادت المرأة لوهلة أن يُغمى عليها. نظرت حولها وهي تحاول ترطيب شفيتها الجافتين بلسانها المتضخم في فمها، وبعد أن شاهدت بائع شراب متجوّلا اتخذ مكانا له تحت الشجرة الوحيدة على الطرف الآخر للطريق، اتجهت نحوه. توقفت بعدما مر بذهنها أمر ما، ثم تخلّت عن الفكرة وذهبت لتجلس القرفصاء جانبا. أسندت ظهرها على جدار ترابي، وقالت بصوت خفيض: «آه يا أمي!».

عربة مطلية باللون الأخضر، وأباريق نحاسية صفراء تلمع، وأكواب براققة، وبقعة أرض ظليلة رُشَّت بالماء، تُعش قلب الإنسان ولو قليلا. بائع الشراب رجلٌ كهلٌ، يجلس على كرسي منخفض بلا مسند، وقد عصب رأسه بمنديل ويستند على الشجرة غافيا. لم يُعر انتباها للمرأة. كانا يجلسان متقابلين، أحدهما مستندٌ على الجدار والآخر مستندٌ على الشجرة. حلَّت المرأة غطاء رأسها، واستخدمت طرفه كمروحة لتخفّف على نفسها وطأة الحر الشديد. كانت المرأة ما بين الثلاثين والخامسة والثلاثين من العمر، سمراء نحيلة، بعينين عسليتين غائرتين.

يُطبق على الجو سكون ثقيل حار. بضع ذبابات كانت تحوم حول إبريق الشراب، والعربات تمر مسرعة على الطريق الحصوي.

أغمضت المرأة عينيها لفترة من الوقت. بدا لها أنها تبتعد بحالة منهكة من شدة الحر عن كل شيء حولها من بائع الشراب الغافي، إلى الطريق البيضاء اللامعة، إلى الروض المقابل، والسكون. أسندت رأسها على الجدار وغفت.

بعد قليل، وبعدها فتحت عينيها جزئيا، تقابلت نظراتها بنظرات بائع الشراب. نامت ما يقرب من خمس دقائق إلى عشر. وبعدها مرّ بائع الشراب منديله على رأسه الأصلع، نظر نحوها وتأفّف:

«يبدو أنك مرهقة تماما».

«إيبيه!».

«هل تقيمين قريبا من هنا؟».

«هناك، غير بعيد من هنا، في كيبيكلي».

«يبدو أنك إستانبولية».

«أوسكودارية».

«ياااا! وأنا أيضا من أوسكودار».

«لقد مضى وقت طويل جدا على مفادرتي لأوسكودار. تغرّينا طويلا».

«وماذا يعمل زوجك؟».

«لست مع زوجي».

مرّت لحظة صمت، ثم تهتدت المرأة قائلة:

«كنت متبناة لعلمك».

صمتا لفترة وجيزة، ثم تابعت المرأة ثانية كمن يتحدث مع نفسه:

«كانوا أناسا طيبين. آه.. آآه.. بفضلهم لم يبقَ مكان لم أراه. ذهبنا بعيدا حتى كارس».

«وي! حسنا. يقال إن تلك النواحي موحشة جدا، أليس كذلك؟».

أشارت المرأة بيدها بحركة مبهمّة، وجفّفت عرقها بطرف غطاء رأسها. كانت تبدو مهمومة جدا، وتهز رأسها يمينا ويسارا. أشاح بائع الشراب وجهه وبصق، ثم مرّر منديله على رأسه. نظر طويلا خلف عربة مارة، وتأفّف ثانية:

«لو تتسم قليلا..».

لم تتبس المرأة ببنت شفة. تقابلت نظراتهما للحظة. وقال بائع الشراب:

«وجهك مألوف لدي، لكنني لا أستطع التذكر».

وأجابت المرأة بلا مبالاة:

«من يعلم. يخلق من الشبه أربعين».

«هل أنت متزوجة؟».

«متزوجة، منذ أربع عشرة سنة».

«يبدو أنك تعانين محنة ما، أليس كذلك؟».

اغرورقت عينا المرأة العسليتان، وكأنها تنتظر هذا الكلام، فشرعت من فورها بالبكاء. بعدئذ، بدا على وجنتيها الشاحبتين بعض من الحيوية، ومن حين لآخر تغطي وجهها بمنديلها وترتجف باكية، وهي تشكو همها لبائع الشراب.

على طرف الطريق الحصوي الممتد أمامهما، يقع المستشفى النموذجي، ويعيدا جدا على الطرف الآخر أطلال قصر. كان يقيم في المستشفى رجل توعك بعدما أجريت له عملية المراحة. زوج المرأة، حسن الكلاس، أصفر، بشعر جعدي، وعينين زرقاوين، على الرغم من ضخامة جثته، لكنه ببراءة الأطفال، رجل طيب القلب. من «غيفا». كانا يعيشان في سعادة ووثام قبل أن يسقط طريح الفراش. ما كانا بقادرين على الاهتمام بلباسهما، لكنهما كانا يدرسان ابنتهما، وينعمان بأكل جيد. كانت البنت كالجوهرة؛ جوهرة زرقاء، هادئة، رقيقة، ومجدة. كانت في الصف الثالث الابتدائي، كما أنها دائما الأولى على مجموعتها. لكنها الآن ومنذ يومين، تُهرق الدموع من أجل زوج من الأحذية البلاستيكية البيضاء. كانوا يقيمون في إحدى غرفتين بقيتا في حال جيدة في ذلك القصر المتهدم، وفي الغرفة الأخرى يقيم رجل عجوز وزوجته يعملان بحراسته. لم يستطيعوا دفع أجرة الغرفة منذ شهرين. كانوا أناسا طيبين، لم يسألوهم عن الأجرة، إذ إنهم متفهمون لحالهم. ذهبت المرأة اليوم لتساعد زوجها على المشي. لا يوجد معها الآن سوى خمسين قرشا. كانت ستشتري

خبزا وقلما أحمر لابنتها، بينما كانت معه. ما أجمل الرسومات التي كانت ترسمها! ما شاء الله، رسومات تثير الإعجاب. كتبوا العديد من الرسائل إلى أهل حسن لكن.. كان حسن يذوي ويهزل دون حراك. من جهة الغسيل وزراعة ركن في الحديقة بالخضار، الشكر الجزيل لله! لكن ما عادت تحتتمل.

سكتت المرأة وهي تجفف دموعها بشدة، وتتهددت:
«آه، آآه!».

صمتا ثانية لفترة من الوقت. ضجيج المدينة، يتردد صداه من بعيد، وما زالت ذبابتان لا تكفان عن الطنين. كان بائع الشراب ينظر أمامه بحزن وذهول. هبط عليه حال من طيبة القلب والمودة.. وأخيرا قال: «يا الله!» ونهض. وبعدها هس الذباب بمنديله، ملاً كاسا بعصير الليمون. صلصلت الكؤوس بمرح غير مكترثة بحرارة الجو. الرجل وبحركة معتادة مسح العصير المهروق على السطح الزنكي، وقدم الكأس للمرأة. جفلت المرأة على حين غرة، ورفعت ذراعها كمن يريد اتقاء شيء ما. فقال بائع الشراب:

«اشربي يا عزيزتي، ستنتعشين. ليس دائما مقابل الثمن. هذه ضيافة منا».

شربت المرأة وعيناها مغمضتان وقلبها يحترق، ثم مدت الكأس:

«أوه! ليرض الله عنك. ليوفق الله كل أفراد عائلتك».

فتحت كلمة «العائلة» المجال لبائع الشراب ليتحدث؛ زوّج ابنته الكبيرة لشاويش، تبين أنه كلب ونذل، فعادت البنت وفي بطنها طفل. تصنع الآن حشوات الأكتاف لخياطي الرجال في البيت.

الوسطى تعمل لدى خياط. الصغرى مازالت في الابتدائية. زوجته مدبرة، وبنّت أصل. وهكذا يعتاشون من هنا وهناك. وقال بائع الشراب بنبرة أبوية:

«ما العمل يا ابنتي، إن الله مع الصابرين. إيبه!.. الحمد لله. إن شاء الله سيتعافى زوجك. عندنا ابن خال، يكون صهر راسم الأوسكوداري. هو الآخر بعد أن أجريت له عملية المرارة، كأن شيئاً لم يكن. كم يوجد من أمراض أسوأ من ذلك بكثير. يجب أن نشكر الله، أليس كذلك؟».

«الشكر لك يا ربي!».

«ألم تجدي عملاً في المدارس كفراشة مثلاً؟».

«يا حسرة.. أنا لا أعرف أحداً».

فكّر بائع الشراب ملياً، ثم قال:

«يقيم في جوارنا المحامي عاصم بيه، لست أدري إن كان يستطيع فعل شيء ما».

انحنت المرأة إلى الأمام وقالت دون أمل ولكن بعينيها العسليتين بريق غريب:

«حقاً؟ هل تظن أنه سيفعل شيئاً؟».

«!!!.. كل شيء ممكن. تأتيك من حيث لا تحتسب. سأستشيرهُ بالأمر هذا المساء».

انتصبت المرأة بحماس:

«لوجه الله أرجوك، وأنت لديك عائلة. آه يا أخي، أسأله لئلا آه يا الله، أنت العالم بكل شيء..».

وشرعت بالبكاء ثانية. نهض بائع الشراب وغسل الكأس، ثم أعاده إلى مكانه. وبعد أن أشعل سيجارة قال:

«لا تبكي، لا تبكي، الله كبير. مرّي غدا إلى هنا، لنرى قد نستطيع فعل شيء ما. وفي حال لم نتمكن، تعلّمي عمل حشوات الأكتاف، مثل ابنتي الكبرى. أو...».

جلست المرأة أمام النافذة، تتابع في ضوء القمر، الطرق المؤدية إلى المقبرة البعيدة، كانت تبكي، وتلهج بالدعاء. تركت بائع الشراب والسعادة تغمرها، وفكت قطعة نقدية من فئة اثنين ونصف ليرة كانت قد خبأتها ليوم شديد السواد، واشترت فحما وأرزا وخضراوات نيئة وسمنا لابنتها الصغيرة سماحات ذات العينين الزرقاوين، التي لم يدخل معدتها طعام كما ينبغي منذ أيام.

وصلت إلى البيت مسرعة، ومسحت ونظفت أثاث الغرفة الخرب، ولّعت مرآة الطاولة الحائطية المشروخة، وكنست فناء الدار المغبر ودلقت عدة دلاء ماء وشطفته، ثم روت الحديقة. وبينما كان ماء الأرز يغلي فوق المنقل، وصوت قبقاب أمها يسمع من فناء الدار الرطب، شعرت سماحات أيضا بالحيوية والنشاط. غسلت يديها ووجهها وقدميها النحيلتين بالصابون، وأغدقت بغزارة من ماء البئر، ثم صعدت على كرسي أمام مرآة الطاولة الحائطية، ومشطت شعرها الأشقر. روت لها أمها الكثير: حالة أبيها جيدة.. سيخرج قريبا.. الأسبوع القادم، سيحصلون على مال وفير بإذن الله، سيستقلان التراموي ويذهبان سويا لرؤية أبيها. ستطبخ الأم الأرز دائما لسماحات. سيعدّون يوما شرائح اللحم مع الضلع. ستشتري لها أمها حذاء بلاستيكيًا أبيض، وجوارب بيضاء قصيرة. كما خطر ببال عقلها الطفولي فكانت تقول لنفسها: «لعلنا نشتري في العيد شريطًا من التفتة».

تنظر المرأة إلى ابنتها الصغيرة النائمة وقد أسندت وجنتها على كفها فوق الفراش الممدود على أخشاب رطبة، استحوذ عليها البكاء من جديد. فكّها كان يرتعش، ودموعها كانت تتهمر فتلمع في ضوء القمر، وهي تتأرجح يمينا ويسارا، تتوسل متضرعة: «أنت تعلم يا ربي، أنت تعلم يا ربي، يا الله، آمنت بك، وتوكلت عليك يا الله، أنت كبير يا الله». وكانت تفكر: لا بد أن المحامي عاصم بيه سيجد لي عملا يا عزيزتي. محام عظيم. إن لم يتمكن، فسأعمل في خياطة حشوات الأكتاف. أو.. كانت ترفع ذراعها النحيلين وتطل بوجهها باكية من النافذة إلى السماء ذات النجوم: «أنت أعلم بحالنا يا الله، أنت أعلم بحالنا يا الله..».

عدالت آغا أوغلو
ADALET AĖAOĖLU
1929

ولدت في نالي هان - أنقرا، حيث أكملت تعليمها الابتدائي ثم أكملت تعليمها الثانوي في أنقرا بعد انتقال عائلتها للعيش هناك. وفي عام 1950 أكملت دراسة اللغة الفرنسية وآدابها من جامعة أنقرا. بدأت حياتها العملية عام 1951 مترجمة وكاتبة دراما في راديو أنقرا الذي أصبح لاحقا ضمن جهاز مؤسسة الإذاعة والتلفزيون. تولت مناصب عدة في المؤسسة إلى أن أصبحت مديرة الدراما والمسرح الإذاعي في راديو أنقرا. استقالت من منصبها عام 1970 بعد تدخل الحزب الحاكم باستقلالية المؤسسة، وتفرغت للكتابة. أثناء عملها في المؤسسة شاركت بتأسيس أول مسرح خاص في أنقرا باسم مسرح الميدان، وشاركت بالتمثيل والإخراج المسرحي، وأصدرت مجلة «مسرح الميدان».

عام 1981 جمعت الطبعة الرابعة من روايتها «وردة أفكارى الرقيقة» وصودرت ورُفعت بحقها دعوى تحقير بحق الجيش. اضطرت خلال فترات الأحكام العرفية إلى الكتابة بأسماء

مستعارة. شاركت عام 1986 بتأسيس رابطة حقوق الإنسان، لكنها استقالت عام 2005 من الرابطة لعدم حياديتها. كما شاركت في حملة طلب الاعتذار من الأرمن، وتعرضت عام 2010 للاعتداء أثناء مشاركتها في حوار عام حول الاستفتاء الدستوري المطروح من الحزب الحاكم.

بدأت حياتها الأدبية أثناء المرحلة الثانوية بكتابة الشعر، وبعد أن اتجهت نحو كتابة المسرح، ونشرت أول دراسة نقدية حول المسرح في صحيفة «أولوس» عام 1946، تابعت كتابة الشعر في مجلة «كايناك» خلال الأعوام 1948-1950. وقد أذيعت لها أول تمثيلية إذاعية بعنوان «أغنية عشق» من راديو أنقرا عام 1951. نشرت أولى رواياتها «النوم حتى الموت» عام 1973.

تعتبر من أهم وأغزر أديبات وأدباء مرحلة الأدب الجمهوري الكلاسيكي الحديث، واحتلت موقع الريادة بين كتّاب المسرح بعد كتابتها كمًا كبيرًا في سنوات الستينيات والسبعينيات، كما كتبت في المسرح الإذاعي والرواية والقصة القصيرة والمقالة والدراسات الأدبية والتراجم العامة، ونُقل العديد من أعمالها إلى السينما.

تناولت في أعمالها، تأثير العملية السياسية وما أفرزته على شخصية الفرد من انحلال اجتماعي واضطراب معيشي، وعلى علاقة الفرد بالعائلة بتعايير مميزة وإبداعية خصوصية.

من أعمالها في مجال المسرح والتمثيلات الإذاعية: البقاء حيا (1955)، لعبة الزواج (1964)، عشق على الحدود (1965)، شقوق في السقف (1965)، تومبلا/ لعبة الحظ (1967)، شقوق في السقف (1967)، عشق وشتاء وسلام على الحدود

(1970)، ثلاثية: موت بطل، الخروج، الشرانق (1973)، الأغنية التي كتبت نفسها (1976)، بعيد جدا - قريب جدا (1991)، قصة جدار - مسرحية غنائية راقصة للصغار والكبار (1992)، سمسار عصرنا (2011).

الرواية: النوم حتى الموت (1973)، وردة أفكاري الرقيقة (1976)، ليلة فرح (1979)، نهاية صيف (1980)، بضعة أشخاص (1984)، كلا.. (1987)، برودة الروح (1991)، صيف رومانسي في فيينا (1993)، متخصص باستماع الهموم (2014).

الدراسات الأدبية: أثناء المرور (1986)، مكاشفات (1993)، مكاشفات أخرى (1996)، هكذا فوضى في هكذا مكاشفات (2002)، مكاشفات جديدة (2011).

اليوميات والسيرة: صفاء الرحيل (1985)، حياتي الليلية (1991)، مراسلات بالاشتراك مع محمد بايدور (2005)، أيام قطرة بقطرة (2004)، أيام قطرة بقطرة - 3 أجزاء (2007).

القصة القصيرة: التوتر العالي (1974)، أول صوت للصمت (1978)، هيا نذهب (1982)، أشكال الدفاع عن الحياة (1997). نالت عام 1974 جائزة المجمع اللغوي التركي للمسرح «ثلاث مسرحيات».

ونالت عام 1975 جائزة سعيد فائق للقصة القصيرة عن مجموعتها القصصية «التوتر العالي».

ونالت عام 1979 جائزة وقف سدات سماوي الأدبية عن روايتها ليلة فرح.

ونالت عام 1980 جائزة أورهان كمال للرواية عن روايتها ليلة فرح.

ونالت عام 1980 جائزة مدارالي للرواية عن روايتها ليلة فرح.

ونالت عام 1991 جائزة بنك العمل التركي عن المسرحية بعيد جدا - قريب جدا.

ونالت عام 1992 نادي لوبون للسينما الجائزة الأدبية عن برودة الروح قشعريرة.

ونالت عام 1997 جائزة آيدن دوغان للرواية عن روايتها «صيف رومانسي في فيينا».

ونالت عام 1995 الجائزة الأدبية الكبرى للثقافة والفن لرئاسة الجمهورية.

ومنحت عام 1994 لقب كاتبة شرف لمعرض الكتاب الشامل.

ومنحت عام 1998 دكتوراه فخرية من جامعة الأناضول في إسكيشهير.

ومنحت عام 1998 دكتوراه فخرية في الآداب من جامعة ولاية أوهايو في الولايات المتحدة الأمريكية.

التوتر العالي

انقطع المطر. مجاري المياه الترابية الممتدة عبر السهول ضعيفة الميل، صرّفت فائض المياه المتجمعة في الجرف إلى البحر، وتكاثر البعوض والضفادع على ضفافها. حفظت تلك الأبقية الرطوبية في الحقول والتربة، وساعدت على نمو القطن. في نهاية شهر مايو، بدأت الطائرات أحادية المراوح بالتحليق فوق السهول. حلقت مرارا فوق الحقول، ورشّت السهول بالمبيدات. رائحة السيولان تغلّغت في طعم الزهور الناضجة في حقل فراولة على جانب الطريق. ثم تغلّغت في مذاق الخبز، واللحم، والخضار. تغلّغت حتى عصارة كل النباتات من قرنفل الشاعر، والوستارية، وإبرة الراعي، إلى تروس مسنّات آليات المشاغل، في الإسمنت والحصمة، في البطانيات وأدوات الطعام، والأسرة المتقلّبة بين أماكن العمل، وفي ألحفة، وسراويل، وقمصان الباحثين عن العمل.

المبيد الذي ألقيه الطائرات أحادية المراوح، جفّ فوق غراس القطن. ترك خلفه بقعا بيضاء ذرور على أسطحها المعركة. في بداية الأمر، الأعشاب التي بين الأتلام التي تقسم السهل المنبسط إلى قطع، امتصت الماء الفائض الذي ملأ حقول القطن، فنمت وتكاثرت وكبرت. وكلما جرت المياه الفائضة في الأبقية

نحو البحر، تضاءلت حصة الأعشاب من الرطوبة. مع امتداد الصيف انخفضت هذه الحصة فجفت الأعشاب، وأصبحت هشيما. التقطت سيقان النباتات اليابسة، المبيد مع غبار الطريق، فتلطخت بلون رمادي مائل إلى البياض. بعض النباتات كالجواشير والخلنج والطرفاء، قاومت الجفاف بأزهارها الهزيلة الأرجوانية التي شحبت بين الركام الأبيض القدر، فطفى بياض المبيد على ألوانها الشاحبة.

في سبتمبر، شرع بجني القطن الجاف. قطن الغراس المروية نضجت وامتلات. انتظروا حلول موسم جنيها قبل هطول الأمطار. أوراقها كانت كبيرة، لكن لطخات المبيد مازالت متراكمة فوقها. الشمس، جعلت سطح البحر يغلي، غلته وبخّرتة، ثم جلبته من أمكنة بعيدة ونشرته فوق السهول. تشرّبت طبقة البخار جزءا من المبيدات التي رشتها الطائرات. وشكّلت سحابة كثيفة من الضباب. عند عودة الطائرات ثانية لرش المبيدات حلّقت فوق السهول على ارتفاع أخفض. كلما حلّقت تحت السحاب، انخفضت أكثر حتى آخر طلعة رشّة مبيد، حلّقت في الممر الضيق المتبقي بين طبقة البخار الكثيف والغطاء النباتي الملطخ. المياه المنسابة من الأقنية ذات الميل الخفيف غطى سطحها بشوائب دقيقة بنية اللون بلا حراك تشبه التبن. تجر هذه الأقنية الماء الفائض بما يحمله من بعوض ميت وتصبه في البحر. لكن الضفادع كانت تواصل العيش في عمق تلك الأقنية الرطبة. ولاذت داخل الأقنية محتمية من السيولان وتكاثرت وكبرت. ليلا، عندما يخترق نور القمر طبقة البخار الكثيفة ويضيء الحقول، تهتاج ويرتفع نقيقتها عاليا.

في الأعلى، في الشمال، كان السد يجمع ماء النهر. يحجزه ليسقطه من أعلى فيدير توربينات عملاقة. يصبه محولا هذا الشلال إلى طاقة كهربائية ثم ينقلها إلى خط التوتر العالي. ينقلها بلا توقف.

امتد خط التوتر العالي، على أعمدة منتصبة فوق السهول، وفي الحقول، وعلى جانبي الطريق، متجاوزا أقينية الري والأقينية الفرعية، وتفرعت منه خطوط تغذية، هنا وهناك إلى الجنوب، وامتد إلى أماكن التجمعات السكانية المزدحمة. امتد وجلب معه إلى تلك الأماكن، حمولته من الطاقة التي تحيي وتميت. يترك بصماته الجبارة في كل مكان يمر منه أو ما يتقاطع معه من حي أو جماد، ويواصل التقدم. لكن خط التوتر العالي، وهو يمتد إلى تلك الأصقاع، لا يسمح لأي جسم بالاقتراب منه لأقل من خمسين سنتيمترا. في الأجواء الماطرة يوسّع حدوده، ويعزز هيمنته في دائرة قطرها مئة وخمسون سنتيمترا. يمضي حاميا حماه، بطاقة تتجاوز المليار، ليفرغ جزءا ضئيلا منها في مصباح كهربائي من خمس وعشرين شمعة متدل من السقف القشي لبيت سائق الرافعة قادر تشيتشك.

توهج المصباح الكهربائي المعلق في سقف بيت قادر تشيتشك ساعة من الزمن. أرقدت زوجته الأطفال، وغسلت الأطباق، ثم غطت جيدا ما تبقى من اللبن الرائب بغطاء سلكي، ووضعت أمام النافذة. أسدلت ستارة من النايلون الرقيق على النافذة التي بلا روح، وخرجت إلى فناء الدار.

سحب قادر تشيتشك وعاء الماء المالح أمامه في ضوء المصباح ذي الخمس والعشرين شمعة الساقط أمام الباب. غمر يديه

المتوزمتين في الماء المالح:

«يجب الذهاب باكرا إلى موقع العمل. يجب تشحيم بكرة الرافعة. يجب قيادتها حتى الأقتية المسبقة الصنع. يجب أن نبذل جهدنا لنثبت أكبر عدد منها على القواعد، قبل حلول الظلام».

أخرج يديه من الماء المالح، ومسحها بالفانيلة الرياضية التي يرتديها. نظر إلى يديه في الضوء الباهت المنسل من الباب:
«اللعة على الرافعة!» قال. ثم ضحك.

انحنت زوجته بجسدها نحو الوعاء الممتلئ بالماء المالح:
«هل اكتفيت؟» قالت.

«اكتفيت، اكتفيت» قال قادر تشيتشك «خذيه وادلقيه».

أخذت سكينة تشيتشك الوعاء، وغابت في عتمة الفناء. أشعل زوجها سيجارة. نظر إلى أخيه حسن المتمد على المصطبة جوار الحائط: «مرحى يا فتى» قال بصوت مرتفع قليلا: «طفل أمس.. بدأ كمزحة، أتقنت جيدا هذا العمل.. تعلمت سريعا عمل مساعد حبل الوسط...».

تمتم حسن في منامه. ثم صاح وانتفضت قدمه اليسرى المدلاة من المصطبة. رفع قدمه إلى أعلى. استدار جانبا. كان ينام بعمق.

سفر أخوه الأصغر من حسن وابنه الكبير كمال ينامان على السطح. كانت أصواتهما المسموعة تعلن أنهما لم يناما بعد، يتدافعان ويتقارعان تحت الناموسية. كان كمال يضحك ضحكة مكتومة لسبب ما. سفر:

«اسكت، هيا نم!» صاح.

رفع قادر تشيتشك رأسه إلى أعلى. نظر وكأنه يرى سفر
وكمال. مع أن السطح أعلى من رأسه.

«ناد عليه، ليتركه بحاله. كل ليلة يجد دعابة. اللثيم، لا يدع
عمه الصغير لينام.»

صعدت زوجته السلم الموصل إلى السطح. نادت من فوق:

«كمال! حذار، أبوك قادم إليك!».

رغم أن كمال كان يحاول كتم ضحكته بصعوبة لكن دمدمته
كانت تُسمع.

«إذا أنهيت أشغالك أطفئي النور» قال قادر تشيتشك لزوجته.

«إذا كنت تريد النوم هل أحضرك الفراش؟».

سكينة تشيتشك اتجهت إلى الداخل ثانية.

«لا تحضريه بعد. الجو حار جدا. يبدو أنه لا مجال للنوم.

أطفئي النور. كي لا تمتلئ الغرفة بالبعوض.».

انقطع النور الأصفر المتسرب من الباب إلى الخارج فجأة،

فبدا قادر تشيتشك كبقعة بيضاء أمام الباب.

الضفادع تتق من بعيد، بلا توقف. يرتفع هذا النقيق من

كل الأقنية، والجداول، وتجمعات المياه، وينعكس في فناء قادر

تشيتشك، فيطفئ على ضحكات كمال.

خرجت سكينة من الداخل بهدوء، وتكلمت بصوت خافت:

«ما عاد البعوض كثيرا كالسابق. قل.».

«هل نامت البنات؟».

«نمن. بعد أن يستغرق الصبي بالنوم، سأخذه إلى جانبي.».

سحبت صندوقا إلى يسار زوجها. جلست فوقه. حاولت تمييز

وجهه في الظلام. لم يتجاوز عمر زوجها الثلاثين، لكن وجهه

مليئاً بالتجاعيد، متغضن كلاء سميك لشجرة معمرة؛ يعمل طوال اليوم فوق الرافعة، بلا توقف. شمس السهل أهرمته خلال ثلاث سنوات.

تتهدت:

«كيف حال يديك؟».

حك قادر تشيتشك كفيه بركبتيه. لم ينبس ببنت شفة.

«لا تقلق يا قادر. بماذا تفكر يا تاج رأسي؟ ديوننا على وشك السداد. انتبه لعملك. سنركب زجاجا لنوافذنا مع حلول الشتاء». أدار زوجها رأسه ونظر إليها. «يا للشمس العظيمة. أججت عيني قادر طوال الصيف، والآن أيضا، جاءت، في وسط الليل لتشع من عينيه». مر ذلك بذهن سكينه تشيتشك. أحنث رأسها ولعا بلمعان عيني زوجها.

حدثت حركة على المصطبة. استيقظ حسن واعتدل.

«لا يمكن النوم يا زوجة أخي. الجو حار جدا...».

انتصب الشاب بجسده الضخم أمام المصطبة، وذهب بحكم العادة، ورشق الماء على وجهه من صفيحة ذات حنفية في زاوية الفناء. بلل ذراعيه جيدا. رافعا بنطال منامته المخطط وطاف في وسط الفناء. أشعل أخوه الكبير عود ثقاب، وأشعل سيجارة أخرى:

«حسنا..» قال ثم تابع «قبل قليل كنت تتكلم أثناء نومك

يا مغفل...».

اندهش حسن منزعجا:

«حقا يا أخي؟.. ماذا كنت أقول؟».

استعاد سائق الرافعة في ذاكرته، مشهد حسن واقفا فوق

المقطورة. لم يغب عن عينيه طوال اليوم. مساعدون آخرون فوق المقطورة، يشبكون خطافات حبال الأطراف في مرابط بلاطة القناة الإسمنتية المسبقة الصنع، وما إن يشبكون الخطافات حتى يعطي حسن لأخيه إشارة «أنزل ذراع الرافعة»، ثم يدير سريعا حبل الوسط الفولاذي، ويشبكه بذراع الرافعة، ليعاود النظر إلى أخيه، ويعطيه إشارة «ارفع» في الوقت المناسب.

في بداية الأمر، كان يعطي إشارات بالصوت. مع مرور الوقت، أصبح الأخوان يتفاهمان بعيونهما. عمل حسن يحتاج إلى دقة شديدة. بدأ يظهر مهارته العالية بإدارته الحبل الأوسط، وإعطاء إشارة «أنزل» أو «ارفع» في اللحظة المناسبة.

دائما، كانت نظراتهما تحمل جدية وحذرا طفوليين. كان يدغدغ مشاعر قلب قادر، بذل حسن جهدا لا يكل، بعضلات ذراعيه المفتولة كمن يشارك بمباراة مصارعة، وتوتر رقبتة الدائم كرقبة البلشون.

«هل أقول؟» قال، ناظرا في عيني حسن الجزعة.
«قل...»

«بحضور زوجة أخيك؟»

تردد حسن. إذا ما تقوه بعبارات غير لائقة، فسيشعره ذلك بالخجل من زوجة أخيه، أشد منه تجاه أخيه الكبير.

«على أية حال، ما قيل قد قيل. لقد سمعتك»، قال.

رفع بنطال منامته أكثر قليلا. مشى وقرفص ثانية أمام الصفيحة ذات الحنفية. أخذ جرعة ماء وتمضمض، بصق. ودون أن يستدير، قال مكابرا من حيث قرفص:

«لتسمع زوجة أخي أيضا، وماذا سيحصل؟»

«هيا انطق يا قادر...»
 «آه يا بني، لو بُحِتَ باسم البنت لكان أفضل...»
 «ماذا قلتُ إذن؟»
 «ارفع، ارررفع!.. أنزل، أنززل!..»
 ضحك الجميع. أخذ حسن نفسا عميقا. جاء وقرفص عند
 ركبة أخيه الكبير:
 «وماذا غير ذلك؟»
 «وماذا سيكون سواه؟»
 «كأنك أحببت كثيرا هذا العمل يا حسن.. أحببته كثيرا.. ليتنا
 لم نفعل.. لو ذهبت إلى العسكرية لكان أفضل، بدلا من ادعائكما
 الباطل بذلك...»
 لم تكمل سكينه كلامها. توقف الضحك. صمتوا طويلا.
 تعكر الجو، فدخلت سكينه الحديث من منحى آخر:
 «هذا ما رغبت به، وهذا ما حصل! ماذا أقول؟...»
 «بريك يا زوجة أخي! دائما تقولين نفس الشيء. أكملت
 دراستي الإعدادية بفضل أخي الكبير. قريبا سينهي سفر أيضا
 الإعدادية بمساعدتي.. وبعدئذ كمال، ومن بعده غولتان، ثم آيتان
 ثم يأتي الدور على أورهان.. ألم نقل إننا سنساعد بعضنا؟»
 «ليتك أنهيت عسكريتك أولا...»
 أدركت تأثر وانقباض قلب زوجها، صممت تماما. لم تكتفِ،
 وضعت أصابعها على شفيتها، وكأنها قفلت فمها بمفتاح. رمى
 قادر تشيتشك سيجارته التي وصلت إلى نهايتها على الأرض،
 وداسها بحفايته.
 «كم مترا أكملنا هذا الشهر؟»

تجاوز حسن خوفا شبيها بخوف الرسوب في المدرسة. مرت سريعا في مخيلته، عينا المعلم، واختفت. الوقت الحالي لا يعنيه. الأمور على ما يرام في الوقت الحالي.

«اليوم، تجاوزنا مئة وسبعين مترا يا أخي.. طبعا، مع آخر بلاطة ركبناها على قاعدتها.. وإذا ما أنجزنا غدا خمسمئة متر إضافية، فستصل مكافأتنا إلى ثلاثة آلاف ليرة. أليس كذلك؟»
«إذا ما أنجزنا ذلك»، قال قادر تشيتشك.

«وإذا ما وُزعت الثلاثة آلاف على أربعتنا..»
أجرى حسابه في ذهنه.

«يا معلم قادر..» ثم قال «يا معلم.. مع ساعتَي عمل إضافي علاوة على مياوماتي، هل تعلم ما سأحصل عليه وحدي هذا الشهر؟ ألف وأربعمئة وخمسون ليرة بالتمام والكمال. هل تعلم أني أحصل أول مرة على هذا المبلغ؟ أعلى ما حصلت عليه حتى الآن كان تسعمئة وخمسون.. أول مرة أربعمئة وخمسون ليرة. هذا مبلغ كبير!.. سأذهب على الفور وأشتري لنا ثلاجة.. بالتقسيط.. سأضعها في الفناء.. سأمد خطا كهربائيا إلى هنا من الخط الداخل إلى المصباح.. عندئذ، نشرب ماء باردا كالثلج.. وسنبرد لبننا..»

غمز بعينه لأخيه الكبير:

«سنبرد مشروبك من العرق. عرق الثلاجة على حسابي! كُتِب الأولاد، وأقلامهم، ودفاترهم.. دائما على حسابي.. دائما..»
حاول أخوه الكبير إظهار سروره، لكن قلبه ظل منقبضا.
سكينة، وكي لا تطفئ جذوة بهجة حسن، فكّت أصابعها عن شفيتها، وضحكت:

«بريكم انظروا إليه.. لقد كبر وأصبح رجلاً...».

لم تفلح في محاولتها. لا ردة فعل مناسبة. متى فُتح هذا الموضوع، يبقُ الحديث معلقاً.

«لتسلم يا حسن.. لتسلم على كل شيء...».

«كان أخي يريد الذهاب إلى ألمانيا. كنا سنتشقت هنا وهناك.. لكن الآن، أليس وضعنا في تحسن؟».

«والله كبرت وصرت تغرّد يا مشرّد!»، قال قادر.

قفز قلب سكيّنة. لكنها رأت عيني زوجها تشعان في العتمة بوهج جميل، ودودة وحنونة. حسن رأى ذلك أيضاً. لا سخرية في عيني أخيه الكبير. لا غضب، ولا استخفاف. احتضنه:

«بابا قادر.. معلم قادر.. بابا قادر أخي الكبير المعلم..» قال، وقد خلط هذه الأسماء والألقاب بعضها ببعض.

انعطف خط التوتر العالي من الأعلى ونزل إلى الأسفل. عاد ثانية، وانعطف منتظراً، في وسط الليل، بأسلاكه النحاسية المسوّدة لنقل جزء أقل من واحد بالمليار من طاقته، بل ربما دون ذلك بكثير. كان يعد لنقله، ذات يوم، إلى فناء دار قادر تشيتشك حيث سيضع الثلجة. تقدمت المقطورة المحملة بست وعشرين بلاطة، بضعة أمتار، والتي ستخف حمولتها قبيل المساء. وقفت على نحو مستعرض مع خط القناة الإسمنتية المسبقة الصنع، وانتظرت.

حل سائق الرافعة قادر تشيتشك المنديل البرتقالي اللون والمربوط حول عنقه، وتحرك في مكانه فوق الرافعة. جفف عرق جبينه، فرد أصابعه، وحرك ذراع القيادة، وتقدم إلى حيث توقفت المقطورة لتثبيت البلاطة الرابعة والعشرين في مكانها. أرخى خطاف الرافعة وانتظر.

هرع، قبل قليل، مساعدا الجانب الاثنان إلى جانب القاعدة، وبأيديهما الفتيل المقطرن، وثبتا البلاطة الثالثة والعشرين. ثم حلاً خطافات حبال الرافعة المرخية، وصعدا ثانية على ظهر المقطورة، ليشبكا البلاطة الرابعة والعشرين. وبعد أن تأكد حسن تشيتشك من أن الفتيل المقطرن قد وُضع في مكانه بشكل صحيح، أعطى إشارة «مضبوط» إلى أخيه الكبير. وبعد أن تم تثبيت البلاطة الثالثة والعشرين، في مكانها فوق القاعدة، صعد فوق المقطورة، ووقف متوسطا البلاطة الرابعة والعشرين. ثم أمسك الحبل الفولاذي المتدلي من رأس الرافعة وانتظر.

اتخذ مساعد اليمين بلال، ومساعد اليسار عثمان، مكانيهما عند طرفي البلاطة الرابعة والعشرين، وانتظرا. نَحَى حَسَنُ حبل الوسط، ودفع حبلي الطرفين المتدليين، واحدا باتجاه عثمان والآخر باتجاه بلال. ابتسم لأخيه الكبير، الذي كان لا يرفع عينيه عنه متابعا كل حركاته، من فوق الرافعة، بصرامة المعلم. صاح بصوت يطفى على ضجيج محرك الرافعة العالي:

«بلغنا الرابعة والعشرين!».

رفع صوته أكثر:

«نجحنا! لقد تخطينا الآن، التسعة كيلومترات بأربعمئة وتسعين مترا بالتمام والكمال!».

قادر تشيتشك، انحنى قليلا على الذراع التي أمامه. سحب الذراع. تعاضمت الدبذبة.

«توقف عن الحسبة! لئنهُ العمل!..» زعق على أخيه. ارتعش فكه. عندئذ، أشاح حَسَنُ بصره نحو طبقة الضباب الكثيفة كستارة تحجب البحر البعيد عن السهل، كي لا يرى أخوه نظراته

التي تحمل عميق خجل واحترام نحوه. مالت الشمس كثيرا نحو الأفق، خفّ وهجها إلى حد بعيد، بدت وكأنها تعكس صورتها من خلف زجاج مغشّى. كانت تتشر بخارا عديم اللون كأنه أوراق هندباء سُلفت حتى تفسخت على شكل شرابات عديمة اللون كجذورها. تغير من حالها وهي تمشط السهل. هل كان السهل هو ما يطلق البخار، أم الشعاع المنعكس من خلف الزجاج المغشّى يعاني شيئا فشيئا من الظهور. بعيدا، في حي ناء، مشّت الأطراف، يطل على جنوب المدينة الكبيرة، صرير منشار أخشاب، كان يضرس أسنان سكيينة تشيتشك، طوال اليوم. بعد أن اعتادت أذناها على الضجيج، انتقلت حساسيتها إلى فمها، وإلى لثتها. أخرجت موقد غاز البوتان الصغير إلى الفناء. أدارت مفتاح أسطوانة الغاز، وأشعلت عود ثقاب. تيقنت من اشتعال الموقد، بعد سماعها نشيشا شديدا. وهج اشتعال الغاز، ما كان ليطنى على وهج أشعة الشمس الذي يغمر السهل رغم انحسار شدته.

قالت سكيينة تشيتشك لكمال الذي يحاول قيادة دراجة قديمة في الفناء، رغم تكرار وقوعه:

«انطلق يا بني، قل لأخيك الكبير سفر، ليحضر، عند عودته، قطعة سانا⁽¹⁾».

وضعت وعاء ماء على موقد غاز البوتان. ظل كمال يتمايل بالدراجة داخل الفناء، وكأنه لم يسمع ما قالته أمه. مر بموقد الغاز، حتى كاد يلامسه. شيء ما جثم على صدر سكيينة فجأة. تناسست صوت المنشار الذي يتردد في الفناء، ونادت ثانية:

(1) اسم تجاري لنوع من المارجرين (المترجم).

«هل أنت أطرش يا كمال؟ أتكلم معك!».

«سمعت» قال، كمال. لامس إطار الدراجة الحائط. صكت
سكينة بشدة أكثر على أسنانها. مرّرت لسانها فوق لثتها. بلعت
ريقها.

«ما دمت قد سمعت هيا اركض سريعا. إنهم على وشك
القدوم. لنعد لهم طعامهم...»
«ما زال مبكرا...»

«مبكرا.. باكرا عليك. كل شيء متأخر بالنسبة لي، هيا.. هيا
اركض!».

سند كمال الدراجة على الحائط بامتعاض. رفع الإبريق
البلاستيكي، الموضوع أمام نافذة من دون زجاج، نحو فمه،
وشرب.

«فاترة. مثل الدم»، قال.

«سيشتري عمك حسن ثلاجة. ذلك ما قاله مساء أمس.
سيعاون مع أبيك...»
«متي؟»

«في بداية هذا الشهر...»

«أي بعد غد؟»

«ربما بعد غد. وربما في الأيام المقبلة.. بعد أن ينهيا
حساباتها.. وتسديد ما بقي من الديون، ثم يتشاوران..»
«لنضع فيها فروكو⁽²⁾ أيضا يا أمي. لنضع قنينة من كل طعام.»
«سنفعل. ربما. ربما نحضر يوما ما.»
«ليتنا اشتريناها في بداية الصيف يا أمي!».

(2) اسم تجاري لنوع من المشروبات الغازية (المترجم).

«الكلام سهل بالنسبة لك. هيا اذهب سريعاً!.. يلزمني سمن. اركض على الفور قبل عودة أخيك الكبير سفر..».

كان أورهان فوق المصطبة يلعب بكوز ذرة. يضع الكوز على فمه، ويحك أسنانه التي تنمو، ولعابه يسيل. كانت آيتان وغولتان، عند الصفيحة ذات الحنفية تغسلان حفاضات الأطفال. خرج كمال من باب الفناء. هرعت سكيئة تشيتشك نحو البنات، وأبعدتهن.

«هدرتن كل المياه من جديد!.. لم يبقَ عندي ماء..».

أقنية الري الإسمنتية كانت جافة. الينابيع جفت منذ فترة طويلة. تشكلت طبقات رقيقة خيطية بيضاء تشبه هباء الطباشير، على حواف الأقنية الترايبية ذات الميل، بعدما أسالت المياه الفائضة عن حقول القطن إلى البحر، مع بداية الصيف. تكررت الخطوط غير المنتظمة، مع تكرار هبوط منسوب المياه، على الجدران المقعرة، التي ظهرت عليها شقوق رفيعة.

مشروع إنشاء أقنية لري أعلى كفاءة لقطن السهل، خرج من الورق، وبدأ يتمدد ويتوسع مع مرور الأيام ليغطي كامل السهل. شاهد طيارو طائرات رش المبيدات الصغيرة، طوال الصيف، مسارات الأقنية العريضة ذات اللون الرمادي الباهت، التي تقسم السهل إلى قطع منتظمة وهي تتقدم على الأرض.

أنتج مصنع الأقنية الإسمنتية المسبقة الصنع، الواقع على الطريق الإسفلتي الذي يوصل بين مدينتين كبيرتين في الجنوب، أعداداً من البلاطات يتزايد كل يوم. في ورشة التصنيع أمام المصنع، مهندس يفرز، كل مساء، على خارطة السهل المعلقة على الجدار، عدداً من الدبابيس الملونة بازدياد. يربط بنظره المسافة بين الدبابيس، ويضرب كل سنتيمتر واحد بألفين، ويحول محاسب

موقع العمل، حاصل هذا الضرب من أمتار وكيلومترات إلى نقود ويقسمها على الأجور. يشرف مهندس الشركة، كل مساء، على البلاطات حتى آخر ما رُكِّبَ منها، ويتحقق من عدد البلاطات التي ثبَّتْها العمال على قواعدها. يعاين مهندس الإشراف التابع للدولة، في نهاية كل شهر، وقيس أطوال البلاطات التي تم إنجاز تركيبها، بقدمه، ثم يعود إلى مكتبه ويحسب قيمة الدفعة المستحقة من الدولة بما قاسه بقدمه. في المساء، يكرم مهندسو الشركة مهندسي الدولة، في مطاعم مكيفة تقدّم المشروبات الكحولية. في الأوقات التي لا تتم فيها استضافتهم، يتأخر تسديد الدفعة الشهرية المستحقة للشركة من الدولة، ولا تُدفع إلا بعد طول انتظار. عندئذ، تتضاعف فوائد البنوك، وتتراكم ديون العمال، في محلات البقالة والمخابز.

لكن كل ما يجري، في هذا المحيط الواسع الذي يدير ما يضم من أعداد كبيرة من البشر، بسرعة تزداد كل يوم، لخدمة عدد محدود من مالكي أراضي السهل، والعمل على رفع إنتاجه من القطن لصالح مالكيه. أحد مهندسي المشروع، قال «كل ذلك لصالح البنوك». وقال أحد مهندسي الإشراف «ذلك لصالح مالكي الأراضي». شكك كل منهما بأقوال الآخر، وتخاصما ثم أعطيا صوتيهما لحزبين مختلفين. ترقبا بانتظار نتائج الانتخابات.

سطعت الشمس ونشرت ضوءها قليلا.

خلف ذراع تطويل الرافعة، جلس سائق الرافعة قادر تشيتشك، ينتظر ويده على ذراع القيادة. كان ظله يسقط خلفه. نظر مساعد حبل الوسط حسن تشيتشك إلى يمينه مساعد حبل اليمين

بلال، بينما كان يشبك الحبل بالطرف الأيمن للبلاطة الخامسة والعشرين، ثم استدار سريعا نحو اليسار. شاهد مساعد حبل اليسار عثمان يشبك الحبل بالطرف الأيسر للبلاطة. تلقت ثانية حواليه، منتظرا استكمال شبك حبلي الطرفين بمكانيهما. وازن حبل الوسط المتدلي من خطاف الرافعة بيده. شعر بالتوازن في كفيه. لوى الحبل الفولاذي ليؤمن حركة سليمة لخطاف الرافعة. تابع قادر تشيئتشك حركاته، ثم ركز نظراته على عيني أخيه. تقاسمت عيونهما دائما هذه اللحظة، باعتبارها المرحلة الأكثر أهمية في العمل، بما تحتاج إليه من حذر شديد. بريق لمع في عين حسن، يدرك قادرُ معناه جيدا: «ارفع!».

ما إن التقط قادر بريق الإشارة، حتى شغلّ الرافعة. رفع ذراع تطويل الرافعة ببطء وشرع بالدوران. نزل بلال وعثمان من فوق المقطورة بقفزة واحدة. انطلقا في السهل، يحملان الحبال المقترنة بأيديهما، نحو القواعد المنتصبة المتباعدة عدة أمتار عن بعضها على امتداد السهل، والتي تشبه شوكة برأسين مزدوجين. وقف كل منهما، عند أقرب قاعدتين لطرفي البلاطة الإسمنتية، ومدّدا الحبال المقترنة على حافتي القاعدتين. كان حسنُ يوجه أخاه بالإشارات، أثناء قيام المساعدين بتمديد الحبال المقترنة. البلاطة الإسمنتية الثقيلة، أخذت وضعية التركيب على قاعدتيها، تنتظر معلقة بطرف ذراع تطويل الرافعة.

قفز حسن على الأرض من فوق المقطورة. انطلق نحو بلال وعثمان. تأكد إذا ما كانت الحبال المقترنة قد مُدّت بشكل سليم فوق القواعد. الحبال مُدّت بشكل سليم. رفع رأسه، ونظر إلى أخيه الكبير:

«أنزل!» قال. كان إعطاؤه الإشارة، هذه المرة، بالصوت. سحب قادر تشيتشك الذراع. نزل ذراع تطويل الرافعة ببطء إلى أسفل، فوق الحبال المقطرنة التي على القواعد. ظل حسن يعطي الإشارات لأخيه حتى تم ركوب طرفي البلاطة بشكل سليم على القاعدتين. في تلك الأثناء، تقدمت المقطورة إلى حيث ستوضع البلاطة التالية. صاح حسن: «تم!».

حل مساعدا اليمين واليسار، خطافات الحبال المرخية بسرعة عالية، وتركا الرافعة حرة. صعدا مع حسن على ظهر المقطورة ثانية. ساق قادر تشيتشك الرافعة إلى حيث تقف المقطورة، لرفع وتركيب البلاطة التالية والأخيرة. توقّف منتظرا.

كان خط التوتر العالي يهبط من أعلى ويتقاطع مع مسار مشروع القناة الإسمنتية، حيث يعمل فريق العمل. آخر بلاطة باقية في المقطورة، ستصب، بعد قليل، على الأرض ليقطعها ظل خط التوتر العالي كالمنشار. سيقطعها ويكمل مساره بعيدا. كل متر إضافي، يتم تمديده من هذه القناة الإسمنتية، هو بمثابة وجبة طعام لكل فرد من فريق العمل.

سقت سكينة تشيتشك، نباتات إبرة الراعي والعطرية النامية أسفل الجدار، وقرنفل الشاعر المتطاولة بأزهارها الأرجوانية تحت النافذة التي من دون زجاج، حتى أنعشت جذورها. رشقت سريعا، ما تبقى من ماء في الإبريق البلاستيكي، داخل الفناء. حلقات وخطوط ملتوية قائمة اللون بدت على حجارة الفناء، ثم اختفت سريعا. أضفت تلك الخطوط، رغم ضآلتها، انتعاشة.

خفيفة على الفناء، ثم مضت.

حملت سكينه طاولة قابلة للطي إلى جوار العطرية. فتحتها، ووضعت اللبن المخلوّط بمبشور الخيار فوق مشمع الطاولة الأخضر والأبيض. لاحظت بوادر ظهور فقاعات على سطح اللبن.

وقفت سكينه تشيتشك جوار موقد غاز البوتان. وضعت معكرونة بيتية في الماء المغلي. رفعت رأسها ونظرت إلى السماء ثانية. حاولت معرفة الوقت. طلع القمر. بدأ صراع بين ضياء بلون القيق يسطع من خلف زجاج مغشّى، مع ضياء أزرق مائل إلى البياض. «حان وقت عودتهم»، قالت سكينه تشيتشك. قامت لإطعام أورهان المنبطح فوق المصطبة شاكيا. انقطع صوت المنشار.

تدلّى خطاف ذراع الرافعة. شاحنة صغيرة بلون أخضر باهت قادمة من الجنوب. أبطأت سرعتها. ركن مهندس المشروع نظيف شاحنته الصغيرة على جانب الطريق، وترجّل. قفز عن خندق، حتى وصل إلى جوار الفريق. أعطى إشارة بيده «توقفوا». انزعج قادر تشيتشك. أرخى حسن تشيتشك حبل الوسط في يده، دون أن يتركه. حرّر قادر تشيتشك ذراع التشغيل، نهض، وأطل برأسه نحو نظيف.

«ترى خط الكهرباء، أليس كذلك يا معلم؟»

«أعرف»، قال قادر تشيتشك.

«يجب توخي الحذر. أبقِ ذراع الرافعة بعيداً. لا تقربه.»

«نعم، نعم»، قال المعلم قادر.

«الوقت معتم. تأخر. الآن، الأبعاد تغالط...»

اندفع حسن تشييتشك:

«بقيت بلاطة واحدة!»، قال.

«ليكن. من الأفضل أن تتوقفوا عن العمل. تركبونها في

الصباح...».

«لا داعي لتأخير الرفاعة من أجل بلاطة واحدة»، قال المعلم

قادر.

«غدا صباحا، نباشر العمل بالخط ي 12».

تنفّس حسنُ الصعداء. نظر إلى أخيه باعتزاز.

مضى ستة أشهر، منذ أن أبرز لأخيه الكبير، هوية مزورة،

تظهر أن عمره تجاوز الثمانية عشرة، وأنهى خدمته العسكرية.

طارده أخوه الكبير ذلك الصباح، وضربه مساء في البيت. جابهه

حسن بالقول: «أتعلم كم شخصا التحق بالعمل بهذه الطريقة؟

لن يعلموا. حتى لو عرفوا سيتجاهلون الأمر. هذا بلال! أتدري

كيف يعمل معهم؟». أخوه الكبير لم يلن. «أنت في ضائقة مالية..

ضائقة شديدة جدا. أتظن أنني لا أعلم؟»، قال حسن. نال عندئذ

صفعتين من أخيه الكبير. «ويحك، وما شأنك أنت؟ هذا شأني

أنا! ستذهب إلى المدرسة. ما عندي سوى هذا الكلام!..».

كان هذا، أول شجار كبير مع أخيه الكبير. ارتعد الأطفال.

خافوا جميعهم، وبكوا. نهض قادر تشييتشك، وذهب إلى المقهى.

عاد في ساعة متأخرة من الليل. لم يفتح الموضوع ثانية. لم يتكلم

مع حسن. أملى حساب دين خشب البيت على كمال. في اليوم

الثالث، بعث سفرا لاقتراض مال إضافي من ابن بلده عوني.

عاد سفر خالي الوفاض. في اليوم الرابع، حمل سرير عثمان

الهزاز. المهذ لم يُسترجع ثانية، لكن قادر بعث مساء مع سفر

ثلاثة أرغفة ومعلق خروف. هو لم يأت. اليوم الخامس، كان يوم توزيع المياومات. سكينه تشيتشك، لم تبعد عينها عن باب الفناء. انتظرت عودة زوجها لتشعل موقد غاز البوتان: «إذا أحضر لحما مفروما فسأطهوه مع البطاطا على الموقد...».

لم يتوقف هطول الأمطار. لم تستطع الرافعة والمقطورة دخول الأراضي الزراعية طوال الشهر إلا نادرا. العمل الإضافي، والحوافز المالية، ما كانا موضوع بحث. حتى أيام العمل كانت معدودة. «لن يتجاوز السبعمئة هذا الشهر. لن يكون أكثر من ذلك»، قال قادر تشيتشك. ما عادت زوجته، منذ وقت طويل، تجري حاسبة مصروف البيت لكامل الشهر. أصبحت حسبتها لقضاء أقرب مساء وأقرب صباح فقط. صعد حسن فوق السطح، ليثبت قطعة زينكو على مواقع تسرب مياه الأمطار. كان يرى زوجة أخيه كلما انحنى وانتصب فوق السطح. تناقص عمل زوجة أخيه يوما بعد يوم. أصبحت تغسل عددا أقل من أواني الطبخ يوما بعد يوم. راكمت الغسيل. وعندما لا يبقى مجال لتأخير أطول، كانت تغسلها بماء غزير فقط. كانت تدعك ياقات القمصان المصبوغة بالعرق بقبضة من تراب صلصالي.

أدخل حسن يده في جيبه، وأخرج هويته المزورة. نظر إلى البطاقة وكأنها الإكسير الناجع للجميع، ثم نزل عن السطح. رأى زوجة أخيه تدفع تجمّع مياه بطرف حذائها البلاستيكي الأخضر دون أن تلوّثه. «كم هو عنيد أخي الكبير هذا... كم هو عنيد...»، قال. أرادت سكينه تشيتشك الدفاع عن زوجها. لكنها في تلك اللحظة لم تجد مبررا للدفاع.

«لأنه يفكر بك...»، قالت فحسب. «لو أعمل هذا الصيف.. ولاحقا أعود للمدرسة..».

قبل أن ينهي حسن كلامه صرّ باب الفناء. اندفعت سكينه نحوه. رأت يدي زوجها غير خاوية. امتدت نحو الرزم الملفوفة بأوراق جرائد قديمة. «خذي.. أعدي لنا شيئا نأكله». بدا صوت قادر تشيتشك مختلفا، ووجهه كان مختلفا أيضا. «هل أنت مريض يا قادر؟».

لم يجب قادر. منذ عدة أيام، وهو لا ينبس ببنت شفة. اتجه نحو حسن دون أن ينظر إلى وجهه. تهيأ حسن لينال صفعات جديدة من أخيه الكبير. رتب ما سيقوله في داخله جملة جملة. مرّ أخوه الكبير من جانبه، حتى وصل إلى جوار المصطبة. نظر إلى يديه. شبك أصابعه وفرقعها. «اذهبي أنت، ضعي شيئا على النار»، قال مكررا لزوجته. حكّ حسن الحائط الترابي بالشاكوش الذي بيده، فتساقط التراب المنتفخ من فوره على الأرض.

«حسن...»، قال قادر تشيتشك، تعال إلى جانبي».

تقدم حسن نحو أخيه الكبير، دون أن يقترب كثيرا.

«غدا سنذهب سويا إلى المشروع. سيدققون بأوراقك. إذا

كانت مناسبة، ستحصل على عمل».

شعر حسن بوخز في غدده اللعابية. أحس بحرقه في عينيه.

«لتسلم يا أخي»، قال، كاتما الوخز والحرقه.

«تم اقتطاع دين النجار من يومياتي، بعلم رئيس الورشة، فقد

وعدت أن أسدها هذا الشهر».

لم يقدم قادر تشيتشك أي توضيح آخر. ثم تابع كلامه:

«ستعمل معي. ربما ستصبح معلم رافعة ناجحا أنت أيضا». وقال

حسن «سأصبح». «ليقتطعوا ديونك، لا بأس. أما أنا فلا ديون علي»، قال متلعثما. «يعني ما أقصد قوله.. على الأقل، نُقْطَع من جهة، فنتقط من جهة أخرى.. أليس كذلك يا أخي؟».

كان المهندس نظيف يقف مترددا.

«من الأفضل إفراغ المقطورة. ليذهب، ويبقى بلال جوار أترافعة»، قال. «في الواقع، أجل.. من أجل بلاطة واحدة.. على أية حال، أنزلوها».

تكلم قادر تشيتشك بتصميم:

«سيكون عملا إضافيا يا سيد. سنركبها الآن. نركبها ونذهب». لم يُجب المهندس نظيف. سار متفحصا ما تم تركيبه من بلاطات طوال اليوم. طاف بجانب القناة الإسمنتية الجاهزة من أولها حتى آخرها وسجّل في ذهنه موقع إحدى القواعد المتشققة، ثم عاد إلى شاحنته.

«على الرغم من ذلك كونوا حذرين»، صاح قائلا للفريق، ثم ركب الشاحنة، وانطلق باتجاه الشرق.

أمسك ذراعُ الرافعة آخر بلاطة بإحكام، ورفعها.

جذب حسنُ حبل الوسط الفولاذي بشدة.

دار ذراعُ الرافعة ببطء، ودخل أسفل خط التوتر العالي بحذر. لم يتجاوز مجال الخط ولا بمليمتر واحد وكما عايره السائق بعينه. أخذ استقامة البلاطة، وهبط قريبا من القاعدة، ثم انتظر هناك برأس محنيّ.

انتظر قادر تشيتشك بصبر نافذ. ما عاد قادرا على تمييز نظرات حسن. انتظر سماع صوته. هو، يزداد رجولة كل يوم، ولم يبق سوى سماع صوت أخيه كأنه صوته هو ليقول «أفرغ».

لكن عثمان مدد على عجل، قطعته من الحبل المقطرن على نحو غير سليم. الحبل ما كان في مكانه الصحيح. حسن، ودون أن يترك حبل الوسط الفولاذي من يده، نادى على مساعد اليسار: «اضبط الحبل! اضبط الحبل!.. ركبّه في مكانه يا عثمان!..». دفع مساعد اليسار البلاطة قليلا ليضبط الحبل. أراد أن يُفسح مجالا لحركته. لكنه لم يكن كافيا. أزاح البلاطة أكثر. أراد قادر تشيتشك أن يصيح: «هل تلعبون؟»، فجمع أنفاسه ليطلق صوته على ضجيج الرافعة، فتح فمه، لكنه لم يستطع إكمال قوله: «هل...».

انزلقت البلاطة واختل توازنها فارتطم أحد أطرافها بالأرض. عندئذ، أفلت الحبل فارتدّ ذراع الرافعة إلى أعلى. دخل ذراع الرافعة المرتد إلى أعلى في مجال نفوذ خط التوتر العالي، فأحكم قبضته على حبل الذي كان ما يزال ممسكا بالحبل الفولاذي بيده، وأفرغ في جسده ما يقل بكثير عن واحد بالمليار من طاقته. تحول إلى قطعة فحم سوداء ضخمة، ظلّت معلقة في طرف الحبل الفولاذي.

بدأ العمل باكرا. أما الآن، فقد طلع القمر منهكا من خلف طبقة بخار كثيفة، بعد صراع ولهات، صاحبه تعرق طويل بلل السهل. نور مبلل كان يداعب قطعة الفحم الضخمة المعلقة بطرف الرافعة.

شاهدت سكينة تشيتشك، تصاعد الفقاعات على سطح اللبن بازدياد. طال انتظارها. هبطت الفقاعات إلى الأسفل. عندئذ، نفذ صبرها، وما عادت تحتمل الانتظار أكثر. تركت الأطفال عند

سفر. توشّحت وانطلقت مصطحبة كمال، تتابع إشارات أعمدة خط التوتر العالي المنتصبة في وحشة حقول القطن السيلونية، متجهة نحو حشد متجمهر وسيارات حكومية لا تتوقّف أنوارها الزرقاء والحمراء والصفراء عن الوميض. لكن، وقبل وصول سكينة تشيتشك إلى هناك، مرت عربة شرطة من طريق إسفلتي مطلقة صفارات إنذارها. اتجهت نحو المدينة بالاتجاه المعاكس. أحد الرجال في عربة الشرطة:

«تدعي أنه أخوك؟» قال لقادر تشيتشك.

كان قادر تشيتشك يبدو أكثر سوادا من قطعة الفحم التي بطرف ذراع الرافعة. كمثل قطعة الفحم السوداء لا يصدر عنها صوت، هو أيضا لم يصدر عنه أي صوت.

«هكذا إذن، حادثة عمل؟» قال، شرطي آخر في العربة: «أتمنى أن يكون لديكم تأمين. إن كان حادثة فذلك لصالحك. مال أخيك سيؤول إليك».

نظر بريبة إلى قادر تشيتشك.

«عمل في عمر مناسب. كما لأخيك تأمين»، قال آخر.

نظر إلى قادر تشيتشك بحسد.

عادت الأمطار للهطول ثانية.

الأقنية الترابية ضعيفة الميل والمخرقة السهل باتجاه البحر، لم تستوعب الماء الفائض عن حقول القطن، فتشكلت بحيرات صغيرة ساكنة في الحقول.

أنتج السد الواقع في الشمال، طاقة كهربائية أكبر، وأفرغها في خط التوتر العالي. أفرغها بلا توقف.

امتد خط التوتر العالي على السهل، من فوق الأعمدة، حاميا

حماه، متفرّعا عند مداخل المدن الكبيرة يتابع مسيره، باسـطا أذرعه في الشوارع، ليخترق أحد أذرعـه المتفرعة السقف القشي لبيت قادر تشيتشك، بينما تكمل أذرعه الأخرى الانقسام بأقطار تزداد صغرا لتحمل من طاقته ما هو أقل بكثير من واحد بالمليار إلى السجون المتزايدة باستمرار لتصل إلى المصابيح الكهربائية المعلقة في أسقف المهاجع لتثيرها حتى الصباح بضوء ميت أشبه بلمعان أبعد نجم. لم يُبعد قادر تشيتشك عينه أبدا عن الضوء الباهت في المهجع. نظر طويلا بلا كلل. نظر لشهور طوال حتى أدرك نور الكهرباء جيدا. أدركه وأفرغه في دماغه، فتوتّر. كان كل صباح، يتوتّر عاليا أكثر.

فوروزان FÜRÜZAN 1935

ولدت في إستانبول. توفي والدها الحرفي وهي صغيرة السن. لم تنه سوى تعليمها الابتدائي لضيق ذات اليد، فحيل بينها وبين إكمال دراستها، لكنها ثقفت نفسها إذ كانت تهوى المطالعة منذ نعومة أظفارها، كما تعلمت اللغة الألمانية أثناء إقامتها في برلين وأجادتها وكتبت بها.

عملت على خشبة المسرح لفترة قصيرة. تبتعد الكاتبة عن الأضواء والتحدث عن سيرتها، ولكن من المعروف أنها بدأت مسيرتها الأدبية عام 1956 بنشر قصص قصيرة في المجلات الأدبية التركية المختلفة.

عالجت بحساسية مفرطة معاناة النساء اللواتي وقعن في الرذيلة، والفتيات اللواتي يغربهن، وانحلال العائلات البرجوازية، والمعاناة من شروط الحياة الحديثة القاسية، وصراع البقاء في ظل الفاقة. قدمت أعمالا عدة في مجالات القصة القصيرة والرواية والمسرح والشعر والرحلات. كما أعادت بناء العديد من أعمالها لتعرض على خشبة المسرح والسينما والتلفزيون،

وقد حصد فيلمها المأخوذ عن قصة لها بعنوان «حياتي فيلم سينمائي» جوائز المرتبة الأولى في مهرجان كان للسينما (1990) ومهرجان فجر الإيراني (1991) ومهرجان الفيلم الآسيوي في طوكيو (1991)، كما حصلت على مرتبة الشرف في معارض الكتاب في كل من أنتاليا (2007) وإستانبول (2008) وإزمير (2008). وترجم العديد من أعمالها إلى لغات عدة.

أعمالها:

مجموعات قصصية: داخلي مجاني (1971)، الحصار (1972)، حياتي فيلم سينمائي (1973)، موسم الورود (1973)، الوجه الآخر لليل (1982)، موسم الورود (1985)، صيف مليء بالشجن (1999).

رواية: جيل السابعة والأربعين (1974)، زهرة رمان برلين (1988).

مسرح: قصائد عشق لرديفة (1981)، قبل حلول الشتاء (1997).

رحلات وتحقيقات: نزلاء جدد (1977)، أصحاب البيت (1981)، رحالة البلقان (1994).

شعر: مدينة الرياح الغربية (1991).

وكتبت باللغة الألمانية كتابا بعنوان أطفال تركيا (1979).

نالَت عام 1972 جائزة «سعيد فائق للقصة القصيرة» عن أول كتاب نشر لها عام 1971 بعنوان «داخلي مجاني»، والتي اختيرت منه قصتها ضمن هذه المجموعة القصصية.

ونالت عام 1974 جائزة «المجمع اللغوي التركي للرواية» عن روايتها «جيل السابعة والأربعين».

الريضة

قالوا انعطفي عند نهاية الزقاق، عند نهاية أشجار السنط
المشذبة بنفس الطول، إنه البيت ذو الأباJOR الأخضر. كان قبيل
مساء يوم حار قد انقضى، حين ترجلت من الحافلة، كما أنه كان
يوم أحد. لا يمكن لفتاة وحيدة مثلي أن تعبّر عن مدى الصعوبة
في أن تحب أيام الأحاد.. أحاد مهلهلة متراخية أسفلها قد خطّ..
كل البيت قد غشاه لون معتم؛ باب الحديقة كان محاطا بورد
أبيض دائم التفتح.. قطة سوداء عند الورود تعلق فراءها.
عندما قرعت الباب، سمعت كلاما غير واضح من الداخل،
الحديقة الداخلية ليست بنفس الاعتناء مثل تلك الحديقة
الأمامية، رائحة قمامة نتنة كانت تفوح من هناك.
آآ أهلا وسهلا بكم.

كلام حولي قيل للخادمة الصغيرة.
أخذت حقيبة سفري مني، أدركت أن ذراعها قد عانى من ثقلها.
(على نحو ما مر في ذاكرتي مشرب الشاي حيث ذهبت
الصيف الماضي برائحته، وصوته، ونافورته.. ألا يشبه هنا
كثيرا؟).

عندما فُتح الباب شاهدت خالتي، كانت كما وُصفت لي سيدة
مهيبة.

(امرأة متعلمة، إفراطها في نظافة بيتها مضرب المثل.. مقترّة، ولكن حسنا، ذلك نوع من الشمائل، فقدتْ باشا عظيما، كتمت ألمها في داخلها بكل نبل، بكت واكتوت، لكنها حافظت على نظام بيتها. لا أكذب، فأنا أخشى الله، كما كانت في شبابها واحدة من الجميلات المعدودات).

كانت تجلس خلف زهرية زجاجية ضخمة، وفي الزهرية زنابق جفت ويبست. الغرفة بدت مثل باحة معتمة، كزقاق تعبق فيه رائحة الغبار بعد أن غابت الشمس عنه. خالتي بثيابها الرمادية، تبسمت لي ومدّت يدها، صافحتها، فأدركت هرمها من ملمس جلدها الجاف العديم النداوة.

كانت تبدو أنها تسعى للحفاظ على جمالها القديم بصيغ شعرها وارتدائها ثيابا أنيقة بلوني البيج والرمادي. (لا أعرف عمر أختي الكبرى، أظن أن بيننا عشر سنوات. لا تفصح عن عمرها على وجه الدقة، إما أن تقول كبيرة جدا أو صغيرة جدا. كيف لي أن أعرف يا ابنتي، لقد عانيت كثيرا، ربما من يراني الآن يظنني أختها الكبرى، وهل هذا بالأمر السهل؟)..

- كيف حال أمك؟

- بخير.

- وأختك الكبرى؟

- هي أيضا بخير.

فتاة صغيرة دخلت، في ساقها اعوجاج، مذ فتحت الباب وابتسامة تملو وجهها. لم تغب الابتسامة عن وجهها حتى وهي تتحدث.. أمر مدهش للغاية.

«يورداغول»، قالت خالتي. اذهبي وأعدّي الليمونادة، لا تتركي

باب المطبخ مفتوحا، تلك القطط القذرة تدوس أينما يكون في الحديقة، انتبهي!

كلمة «انتبهي» خطفت الابتسامة من وجه يورداغول.

عظمة إبهام قدمي خالتي بانث بوضوح من حذائها الشاموا. شبكت على ياقة ثوبها دبوسا بياقوتة حمراء أنيقة (اعتقدت أنها حجر ياقوت لأنها حمراء اللون).

(أختي الكبرى أنيقة.. تجيد اختيار ما يناسبها من ثياب. قدّم لها الباشا ساعة مطلية عندما كشف النقاب عن وجهها في حفل زفافها. قلّدها أشياء أخرى عديدة، لكن الساعة المطلية، هي أكثر ما أبهر نظري. كم كانت جميلة تلك الزهور التي نُقِشت على الساعة، رائعة جدا. لم أتمالك نفسي، فطلبت أن أتقلدها مرتين. أنت مهملة قد تسقطينها وتضيع، قالت: وهل تقع الساعة من الرقبة؟ كل ما تتقلده حقيقي. ليست مثلي فهي لا تحب المبهرج. خالنتك زوجة باشا بكل معنى الكلمة. اعرفي ذلك).

توقفنا عن الكلام برهة.

أعطية نظيفة منشأة وُضعت على مساند الأرائك الخضراء المخملية. لم أكن أوجه نظري إلى خالتي مطلقا. نفور استوطن بيننا. قلّت كثافة شعرها، فقد كان يلمع جلد رأسها من أماكن متفرقة. وضعت ساقها الضامرتين الواحدة فوق الأخرى. عظامها البارزة من حذائها بدت أكثر وضوحا في النور.

إذن فأنت مصممة على دخول الجامعة. والله لا أدري ماذا أقول يا ابنتي. ماذا جرى بعد أن درّسنا جالي. تزوجت وهي صغيرة، وشهادتها الكبيرة ليست سوى زينة. كما أن وضعنا كان جيدا. أمك تعلم أن جالي العزيزة كبرت دون أن تلمس يدها ماء

الجلي بفضل أبوة المرحوم وقلبه الكبير (تهدت بعمق وضغطت
أنفها بمنديل نظيف). كان الخدم جاهزين دائما لخدمتها. لكن
الآن، بعد ذلك الدلال وفتي عمرها كالأميرات..
ركزت نظراتها على وجهي، وسكتت.
عندئذ، أدركت موقف خالتي العدائي مني.
ما زلت حتى الآن أستغرب من حال أمك، ليتها أبدت ذلك
الاهتمام نحو رجل آخر..

(أنت لا تعرفين أباك يا ابنتي. كنت في السادسة من عمرك
عند وفاته.. أذكر كيف كان يملأ الماء من أقنية المدينة في وسط
الأناضول ويسقي الحدائق. كان دور حديقتنا يأتي دائما في
الليل، كان لتلك الليالي تأثير على مشاعري. أمي تدثر أصغر
بناتها جيدا وهي شبه نائمة، فليالي الأناضول باردة حتى في
الصيف، وعبق الماء الصافي يجلب النعاس. جنة الطبيعة تجلب
الصحة حتى خمس سنوات من عمر المرء. هيا اصحي فالمايه
تسيل نحوك.. رائحة اليانسون تصل حتى الصالون من غرفة
نوم الكبار. فالأب أبي.. رغم معرفته بضيق حال أمي، يمضي
كل ليلة في مطعم المحطة ذي النافورة الذي يقدم المشروبات
الروحية. بعض من الجبن الأبيض مع العرق، وفي الصيف يقضم
بطيخا. زجاج قطارات نائمة تأتي من المدن الكبيرة وإليها. أليس
في قلبك مخافة من الله؟ وهل يحتسى المشروب كل ليلة؟ أشفق
على نفسك على الأقل. كان رجلا جميلا. طول وطلاء..).

كان أبوك رجلا وسيما يا بنيتي.
تناولت خالتي الليمونادة التي جلبتها يورداغول.
الكؤوس كانت بمقابض من فضة.

لكن ليس ذلك أول ما يؤخذ بعين الاعتبار في الزوج. أليس لعزیزتسي جالی عواطف؟ لم تعد فنجان قهوة قبل زواجها. لكنها الآن تدير رجلا اعترك الحياة ويكبرها بعشرين عاما، بالإضافة لخدم البيت. لا أريد أن أقدم نفسي مثالا آخر أيضا. لقد أخطأت أمك يا ابنتي. أنتم من يعاني. أنت الآن بهذه الضائقة وتحصيلك الجامعي..

رأيت لوحة واحدة معلقة في الغرفة. كانت لوحة لخريف تعج أنحاؤها بألوان بنية وبرتقالية. امرأة اختفت خلف قبعة كبيرة جدا عند نهاية الطريق.

كانت خالتي تنظر إلي بابتسامة زائفة لتتجنب إظهار طقم أسنانها الصُّنعية.

الليمونادة طيبة المذاق، قلت.

سكّرهما زائد.. أنتم ما زلتم شبابا لكن نحن من مضى عمرنا. بدأت مشكلات القلب والضغط. كيف ضغط أمك؟

(أنت أرملة شابة جدا، تزوجي، قال الدكتور. يبدو أن هذا التعرق وهذا الخفقان منه يا بناتي. هاهاهاي قلت للدكتور. لدي بنتان، ذلك يعني أن لدي زوجين. تندفع أختي الكبرى. صحيح ما قاله الرجل يا أمي العزيزة. لماذا تمانعين؟ تسكن عينا أمي الخضراوان العسليتان. الزواج ليس من أجل الزواج فحسب، تقول. من بعد رجل كأبيكما.. هناك خلال النهار، كل شيء يصطبغ بلون التراب الطاهر. يهتز السوق على وقع خطوات حمير القرويين القادمين بتواتر، ويمرون من أمام النافذة. ستائرنا من قماش قطني شفاف. جمال أمي بألبستها السوداء الأنيقة عند ذهابها لحفلات الزفاف في نادي الجيش، كان مدار حديث في تلك المدينة.

- لو نرسل لجديك رسالة في العيد على الأقل يا زوجي العزيز.

- دعك من هذا، وهل ذلك لإسعاد أختك الكبرى التي بقيت في ذلك البيت؟ من قال إن المال هو كل شيء يا بناتي، لقد عانيت كثيرا، لكنني امرأة تشمّر عن ساعديها عند استقبالها الجيران. لقد أسعدني أبوكم بقدر ما أحزنتني. أنا امرأة بسيطة. لم أنتعل خفا قط في بيت خالتكم).

لقد أعددنا لك الغرفة الوسطية.

صورة للباشا بلباس مدني، أعلى البوفيه الذي يضم أطقما من الفضة. لم يكن كالباشا الذي عهدناه في طفولتنا. كان الباشا أكثر حيوية وبلا تجاعيد.

كم ساعة مضت على مجيئي.

أتوقع أن الغرفة الوسطية قد فُركت ونُظفت بعناية شديدة. هذه المرأة المسنة بما تقرض حولها من شخصية مهيبه، لا بد أنها تضيف إليها صرامة في النظافة.

(الطعام يجب أن يكون نظيفا جدا. لا يُغسل هذا الخس دون عناية زائدة، أقول لكم. لكن في الواقع، لا أقدر على مواجهة كل فوضى البيت وحدي. أبوكم السكّير من جهة، وبناته المهملات من جهة أخرى.. كان غضب أمي يتحول على نحو غير عقلائي. في الحديقة الخلفية «كنا نكتب قهقهاتنا». جسم أختي الكبرى الذي كان ينمو أكثر فأكثر، في الخس لذة الربيع، كانت تدعوه بالحياة الحقّة).

أجد غرابه في أكبر المدن هذه. أجد نفسي خارج هذا العالم. اذهبى وأقيمي هناك، فهي خالتك، قالوا لي. أدرك من حديثها

وتساؤلاتها التعجبية. وما الذي سألته؟
تحدّق بي، كأنها تزداد غضبا وهرما. تستأنف الكلام.
لن تقصي شعرك، أليس كذلك؟
ههه، أقول.

رغم أنني سأقصه.. كما سأقصه قصيرا جدا. سأحمل كتبي
في يدي، ليست كتب دروسي ولكن كتب كتّابي المفضلين، وأتجول
في الأماكن المزدحمة. سأبحث عما قرأته لدوستوفسكي عن
سكون عتمة أشجار المشمش التي تظلل الشرفة المطلية بالشيد
وعن رائحة المياء الدائمة.

أفهم أن خالتي لا تريدني حتى أن أتذوق مرارة كوني فتاة
ريضية.

فتحت ليورداغول الغرفة. تطل نافذتها الوحيدة على جدار
البيت. شجرة برقوق أوراقها هزيلة ومريضة، في قاع النافذة.
أستيقظ في السادسة صباحا يا آنسة، أوقظك في الساعة
التي تريدان إذا كان عندك عمل ما.
أخرجت من حقيبة سفري قطعة قماش بزخارف ملونة،
أرسلته أُمي هدية ليورداغول.

(حذار لا تقدميها لها بنفسك يا ابنتي. لا تحب خالتك «رفع
الكلفة» مع من يخدمون عندها، لتعطيها هي).

هذه لك يا ليورداغول.

شكرا جزيلا يا آنسة.

لا تعرف اسمي. كان يجب أن أخبرها. يجب أن أعلم أن
البيت الذي لا تُرفع فيه الكلفة لا ضرورة فيه لمعرفة الأسماء.
سوف تُصَفّ الجوارب والمناديل والمنامات في الخزانة.

لا مكان للإهمال في هذا البيت. أنا أيضا انخرطت بقواعد
نظام هذا البيت.

أصوات طعام العشاء تصدر من المطبخ. قرقة الأطباق
والشوك.

على الفور عللت نفسي برائحة زعتر تفوح من بعيد.

بعدئذ سأبكي.

يناير 1968

سيغفي سويسال
SEVGİ SOYSAL
1976-1936

ولدت في إستانبول. أكملت الثانوية في أنقرا عام 1952. درست علم فقه اللغة في جامعة أنقرا، ثم تابعت دراسة علم الآثار والمسرح في ألمانيا بين الأعوام 1956-1958. بعد عودتها إلى تركيا عملت في المركز الثقافي الألماني ورايو أنقرا ومعهد الدولة للفنون المسرحية، ولعبت دور المرأة الوحيد في مسرحية «وسام النصر» على مسرح الميدان في أنقرا. ثم عملت في مؤسسة الإذاعة والتلفزيون عام 1965 حتى اعتقالها ومحاكمتها بتهمة الانتماء لتنظيم يساري، وذلك إثر تولي الجيش السلطة عام 1971. وبعد أن أمضت ثمانية أشهر في المعتقل، كتبت خلالها روايتها «ظهيره يوم في يني شهير»، كما شاركت بعد خروجها من السجن بتأسيس وكالة أنباء «أنكا» ورابطة الثقافة الاشتراكية.

نفيت عام 1972 إلى أضنا لمدة شهرين ونصف. بعد انتهاء محكومتها عادت إلى إستانبول لتعمل كاتبة زاوية يومية في صحيفة «بوليتيكا»، كما نشرت في الصحيفة نفسها مذكراتها

في السجن جمعتها لاحقا في كتاب بعنوان «مهجع النساء في معتقل يلدرم»، حتى إصابتها بالسرطان عام 1976، فسافرت إلى لندن للمعالجة، وهناك كتبت على فراش الموت روايتها الأخيرة «أهلا بك يا موت».

بدأت حياتها الأدبية عام 1960 بكتابة المقالة والقصة في مجلات «المشبك» و«الرفيق والشراع»، وامتازت كتاباتها بالفكاهة السوداء من الواقع ونقد المجتمع والعملية السياسية، وجعلت من نضال المرأة لإثبات هويتها الشخصية موضوعا أساسيا في أعمالها.

من أعمالها في مجال القصة القصيرة: خصلة عاطفية (1962)، الخالة روزا (1968)، طفل يدعى سلام (1976).

وفي الرواية: المشي (1970)، ظهيرة يوم في يني شهير (1974)، الفجر (1975)، أهلا بك يا موت (1976).

جمعت عام 1976 مذكراتها في السجن بكتاب تحت عنوان «مهجع النساء في معتقل يلدرم»، وجمعت مقالاتها عام 1977 بكتاب بعنوان «الرؤية».

عام 1966 ترجمت من الألمانية «حارس القبور» لفرانز كافكا، و عام 1969 «وصل جودو» لميودراج بولاتوفيتش، و عام 1972 «البنسات الثلاثة» لبرتولد بريخت.

عام 1991 حُوِّلت قصتها «الخالة روزا» إلى فيلم سينمائي. نالت عام 1970 جائزة المؤسسة العامة للتلفزيون للفنون عن روايتها «المشي».

ونالت عام 1974 جائزة أورهان كمال للرواية عن روايتها «ظهيرة يوم في يني شهير».

خصلة عاطفية

هي الأمور مختلطة هكذا، الناس في الشوارع لا يروني، مع ذلك، فعواطفي تنتقل بين خصلات شعري ليلا ونهارا. بعيد ظهيرة رطبة، توقفت عند مفترق طرق؛ عفونة تسبب دوارا بالرأس، السيارات تمر بلا انقطاع، تمر وعلى زجاج نوافذها وجهي الأحمر الغاضب، عبرت ممر المشاة ثلاث مرات، شرطي المرور لم يرني، «استعراض»، «استعراض!» صرخت في وجهه، لم يخفف ذلك من غلواء قهري. الغضب يغمرنى حتى أخصم قدمي، أخصم قدمي يحترقان كأنني أتجول حافية القدمين على رمل شاطئ متأجج تحت شمس الظهيرة. غضبي من الرجال، جميع الرجال وبخاصة الذين لا يحبون سوى أنفسهم من بعد أنفسهم. حشد غفير من متبلدي المشاعر بمعاطف بزرّ أو بزرّين أو ثلاثة، يمرون بكثافة. كان لدي بصيص أمل بمن لا يرتدي معطفا أو ربطة عنق، لكن هؤلاء لا يتجولون وحيدين، إنهم عاجزون، لم أصادف، لم أصادف أحدا منهم، لو تصادفنا أو لم نتصادف فنحن ذاهبون للصيد.

وصلت إلى موقف الحافلات، نساء بصحبتهن أطفال، نساء مع حقائب وبلا أطفال، حقائب بلا نساء، فتيات يمضغن اللبان، دائما ينتظرن وقد ربطن شعرهن كذيل الفرس وهن يمضغن

اللبان، لأنظر معهن، ليت المطر يهطل، فيغسل هذه المواقف. فتیان اثنان من المدرسة الثانوية يجلسان على الرصيف، هما ينتظران أيضا، اقتربت منهما، أشرت بيدي لیتباعدا، توسّطتهما بلطف، حدقا باندهاش، أحدهما «عجبا» قال، «الحافلة» قال، وقال الآخر «دعنا نمش»، لمست وجنتي الاثني في آن واحد، قلت لمن على يميني «لحيتك خشنة، استخدم الموسيقى لحلاقتها». لم يحد كل منهما نظراته عن صندلي، بدأت بتحريك أصابع قدمي، نهضا فجأة وابتعدا مسرعين، نظرت إلى الواقفين في الموقف، عبروا إلى الرصيف المواجه، هل كانوا سينتظرون معي، هل كانوا قادرين على الانتظار؟ لو وصلت الحافلة، لكنت لقتهم درسا. جاءت الحافلة واقتربت من رصيفهم، نهضتُ ونفضتُ تورتتي.

هل كانت هذه المدينة هي المكان لإطلاق عواظفي في وضوح النهار؟ هذه المدينة كانت على شارع باتجاهين، قادمون وذهابون بالاتجاهين، بضع واجهات زجاجية، وبعض من الأبنية لا أعلم كم يبلغ عددها، وعدد كبير من مراكز الأحزاب. كل الذنب يكمن في خصلات شعري، لو لم تتموج على هذا النحو، لما كنت عرضت عواظفي بأطرافها ولما استطعت عرضها، تمنيت تثبيت عمود كهرباء جديد، أو مرور مدحلة، أو وقوع شجار، حينئذ، كانوا سينظرون، لن يقاوموا المشهد، مجبرون على ذلك، بقاؤهم مرتبط بذلك.

شرعت بالسير صعودا في واحد من الشارعين اللذين يؤلفان المدينة، عندما وصلت إلى الأعلى، أضاءت المدينة أنوارها، حدقنا ببعضنا ببله.

هو ذا ثمرة نتاج اليوم - كوة إطلاق النار - دوار الرأس هذا،
كان ثمرة نتاج اليوم تحت قدمي، انهرت أمام الكوة، أخرجت
رغباتي من خصلات شعري، الواحدة تلو الأخرى، وألقيت بها
من كوة الرمي إلى الأسفل، اختلطت بمجري المدينة، أووه! «هذا
هو»، قلت، وهذا ما كان.

آيلا كوتلو AYLA KUTLU 1938

ولدت في أنطاكيا عام 1938. أكملت تعليمها الإعدادي في إسكندرونة والثانوي في غازي عنتاب. درست العلوم السياسية في جامعة أنقرا وتخرجت عام 1960. بعد أن عملت في مؤسسات حكومية لمدة عشرين عاما تقاعدت عام 1980، لتتفرغ للكتابة وأعمال السيناريو للإذاعة والتلفزيون والسينما.

بدأت حياتها الأدبية بالكتابة في مجلة «الإنسان الحر» في بداية السبعينيات. جعلت من تداخل التطورات الاجتماعية والتاريخية للمجتمع التركي موضوعا لرواياتها، وكتبت عن الحقب القريبة من منظور تاريخي. كما تعرضت بوضوح لقضايا المرأة واستقصت عالمها الخفي وبخاصة في روايتها «ملحمة المرأة» التي كتبتها بنفس هيكلية الملاحم الكلاسيكية الشعرية، وربطت بين حكاية المرأة في العصور الأسطورية بحكايتها هذا العصر. كما كتبت للأطفال وفي السيرة. كتبت سيناريو العديد من أعمالها، وحصد الفيلم عن قصتها «لا تذهبي أنت أيضا يا ترياندا فيليس» 14 جائزة محلية وعالمية كأفضل فيلم وسيناريو عام 1996.

أعمالها في مجال الرواية: الهروب (1979)، الشمس المبللة (1980)، شجرة الحيزيون (1983)، المعتقلون (1983)، كان طيرا مهاجرا (1985)، دمت بالخيرا أو موت (1987)، ملحمة المرأة (1994)، بنات أمير بيه (الجزء الثاني من «كان طيرا مهاجرا») (1998)، المشي فوق النار (2004).

القصة القصيرة: قصائد عشق قرنفلية (1984)، لا تذهبي أنت أيضا يا ترياندا فيليس (1990)، مقبرة النساء البغيضات (1995)، قصص مريرة (2001).

قصص للأطفال: مرحبا بالمحبة (1989)، صغير النجوم (1993)، طفل برأس عصفور (1995)، سيرك الخرق (1995)، الدب القطبي والعنكبوت الجوال (1995)، الروبوت ذو الزهرة (1995)، القطار الصغير الأزرق (1995)، الحذاء الذي يظن نفسه كلبا (1995)، ثلاثية التوائم المعجزة (1997-2000)، ثلاثية السلطان الصغير (2000)، هوفافا أول حامي للبيئة (2009).

وفي السيرة: الزمان يهرم أيضا - الجزء الأول - (2006).

نالَت عام 1985 جائزة مدارالي للرواية عن روايتها «كان طيرا مهاجرا».

ونالت عام 1987 جائزة رشتو كوراي عن روايتها «دمت بالخير يا أو موت».

ونالت عام 1990 جائزة سعيد فائق للقصة القصيرة عن مجموعتها القصصية «لا تذهبي أنت أيضا يا ترياندا فيليس»، والتي اختيرت منها قصتها ضمن هذه المجموعة القصصية.

ونالت عام 1995 جائزة يونس نادي للرواية عن روايتها «مقبرة النساء البغيضات».

القمر والماء

مرحباً! يراسيم يتحدث مع الأطباء من أجلك، هو من طلب مني انتظاره، هل تذكرتني؟ أنا من إسكندرونة، درسنا سويا في نفس الصف فترة من الزمن، تركت المدرسة دون أن تكلمي السنة الدراسية، لا أظن أنك نسيت أنني الصديق المقرب ليراسيم أخي زوجك، كان زوجك خريستو أكبر منا سنا، في الثامنة أو التاسعة عشرة من عمره، كان يُعدّ رجلا كبيرا عاملا يعيل أسرة، ما كانوا يعيرون انتباها للصبيّة أمثالنا.

كانت أعيادنا تتشارك وتختلط ببعضها، وحدة الحال هذه استمرت حتى غادرنا هناك. بعد ذلك، تفرّق الناس في كل مكان وانقطعوا عن بعضهم، نُسيّت مشاركة الأعياد والأيام السعيدة، أطلقوا كلمة تدعى «الاندماج»، الاندماج مرسوم أجبرنا على قبوله بالإكراه، رغبة الاندماج بين البشر تحولت إلى كلمة بجرّة قلم، أشمئز من الاندماج، رميتي بعيدا عن سعادة الحياة والصدقات التي أحن إليها.

لو قيل لي إننا سنبقى كلانا في غرفة واحدة يوما ما، ما كنت لأصدق، لكن، أبهذه الظروف! لا أحد يرغب.

هل تريدان ماء؟ هل أفتح النافذة؟ أعلم أنك غير قادرة على الكلام، لا أفهم لغة عينيك، باعدتنا سنوات طويلة، كلما مضت

الأيام تباعدت الأشياء التي نتقاسمها، ألا تستطيعين تحريك ذراعيك وقدميك؟

لقد ازداد وزنك كثيرا، قال يراسيم إن ذلك من المرض، قال ستجدها قد تغيرت كثيرا لكن، مع ذلك، رؤيتك أعادتني إلى سنوات خلت، كنت فتاةً حينًا، كان أخي الكبير يعشقتك، كنتم تقيمون وأبوك في بيت كبير خرب، ما كان يراسيم وخرستو هناك في ذلك الوقت، كان بيتكم محاطًا بسور مبني من حجارة مستديرة ومن طين نهري خاص، وقد تهدمت بعض جدرانها، كان في زقاق ضيق غير نافذ، أشجار كاميليا كانت عند جدار البيت، أنا كنت صغيرا، الأشجار كانت كبيرة، أنا كبرت، لكن الأشجار لم تصفر، لم أرَ بعدها شجرة كاميليا بهذا النمو، صدقيني، رغم أن المكان الوحيد الذي لم أره في هذه الدنيا هو الهند الصينية، لكن أزهاركم كانت مختلفة.

النافذة الوحيدة المطلة على الزقاق كانت نافذة غرفتك، من باب الحديقة وحتى البيت كان مزروعا بالبصل والبادنجان، والبندورة، والنعناع، والرشاد، والفجل، باقات من المنثور والنجيل الهندي كانت تتفتح بين الخضراوات، كنت أنت من ينثر بذورها بكفيك، كان المنثور الأصفر والفوشيا، وحناك السبع والنجيل الهندي الوردي يتفجر بين سواد زرقة البادنجان، وحمرة البندورة، لكن الأزهار كانت تسيطر على المشهد متغلبة على الخضراوات. شاهدت النضال ما بين أحلام شبابي وحصيلة عمري، لسنوات طوال في معركة الحياة ما بين الأزهار والخضراوات، أحنُّ دائما إلى تلك الأزهار.

كانت أشجار الكاميليا تصطبغ كل صباح، بجمرة آلاف الأزهار، براعم مؤلفة من خمس وريقات بحجم اللسان تتفتح

سريعا، وفي المساء تتغلق بنفس السرعة، اليوم الذي يليه، موجة حمراء تغطي الشجر من جديد، وفي ثلاثة أيام، كانت الأزهار الذابلة تطبع خاتم الموت الأحمر على التراب أسفل الشجرة. كنت أظل منقطع الأنفاس.

في الأمسيات، وبعد العشاء، كنا نهض، بإشارة من أخي الكبير، نضع أيدينا في جيوبنا مقلدين الرجال الكبار، ونخرج من البيت، نتظاهر أمام أهل البيت وكأننا ذاهبون إلى ساحل البحر، كنا نتجه إلى الجادة الرئيسية، لذلك كان الطريق يطول، ليكن.. نعود، ونمر زحفا من أمام باب بيتنا كي لا يرانا أحد، لم يكن هناك مغامرات مثيرة أخرى في حياتنا.

كنا نرى المصباح أولا، كان في غرفتك، كان أبوك في الغرفة الخلفية، يشرب نبيذه وحيدا، في نور الفانوس المرتعش، الذي لا يبدد العتمة، وأنت تكونين راکعة على ركبتيك، أمام أيقونة في الزاوية، يكون رأسك مرفوعا قليلا، أي خطيئة تلك التي تطلبين من أجلها المغفرة؟

كان المصباح يظهر بوضوح، ما كنا نرى سوى شعرك الذي تفردينه حتى أسفل خصرك، لكننا كنا ندرك أنه أطول من ذلك بكثير، ليغطي كعبيك ثم ينفرج على الجانبين، ويجرُّ على الأرض. موسيقى الليل التي كانت تملأ أجواءنا، ما كان أحد يسمعها سوانا، رغم عدم سماعنا لأنفاسنا، كنا على يقين من سماعنا أنفاسك، كنا نعتقد أنك تصلين ليكفِّ والدك عن الشرب، رغم أن شعرك المتهدل كجدول أسود ورأسك المنحني يحجب الإضاءة عن عينيك، لكنهما جعلتا ليالي أخي الكبير بيضاء، كانت أياما ماطرة، كانت المدينة تعيش شتاءات لا تختلف عن خريف مطير

وضبابي، الزقاق أمام بيتكم كان مقعراً، تتجمع الأمطار في ذلك التقعر، وتبقى خطوط جافة رفيعة جدا عند قاعدة الجدار، القمر سواء كان هلالاً أم بدراً، يلامس سطح الماء، كنا نخوض في الماء بهدوء، كي لا نموجه، نتبلل حتى كواحلنا، لكن دون أن نعكّر صورة القمر، التهادي الذي تحدّثه خطواتنا في سطح الماء كانت تخطئه، كان القمر ذهباً، والماء فضة.. نخلطهما، فيبدو هذا الخليط فقط في أعيننا وحدنا، جميلاً ورائعاً، كل الأصوات كانت تختفي في تلك اللحظة، كنت في أعيننا القمر الذهبي في الماء المتموج وفي عتمة السماء، نخطو خطوة أخرى ثم نخرج من الماء الفضي، نرجع إلى الخلف، لنخوض ثانية في الماء، وبعد عدة خطوات كنا نشعر بالبرودة في أقدامنا.

في منتصف الشتاء كانت الأمطار تكتسب صفة الاستمرارية، ما كانت المياه تملأ الحفر وحسب، بل تغمر كامل الأزقة بمياه يصل ارتفاعها من إصبع إلى شبر، كانت الأزقة وكأنها سواق، أكثر ما كان يسبح على سطح المياه قطع الأخشاب، قشور قصب السكر والخروب، تتعم ألوان قطع الأخشاب، ويظهر الزيد على أطرافها، تتمسك بحواف الأرصفة الضيقة وتقاوم، يمر وقت، حتى تجف الأزقة فتتعض القطع الصغيرة وتخرج منها الديدان بأعداد كبيرة، لتختبئ بين الرمال وتختفي سريعاً.

لماذا تفتحين عينيك؟ هل تريدين شيئاً ما؟ أم أصابك الضجر؟ ألا تشعرين بأي من أطرافك؟ هل تريدين أن أحكّ لك جلدك؟ أدغدغك؟ يا ليديك كم تهالكنا الماء، والصابون السيئ، والسناج، والبرد سبب تشقّق يديك، ما كنتُ أرغب برؤيتهما على هذه الحال، إذن لم تتغيّر حياتك.

كان والدك يستعد لبيع «القضامة السكرية» بحلول موسمه، مع بدء الهواء بالاعتدال.

بعد أن كنا ننهي تناول طعامنا في بيوتنا، ننتقل على طريق المدرسة، كان يقف منذ الصباح أمام مرجل القضامة السكرية المصنوع من الصفيح، يتصبّب عرقا عند فتح غطاءه، فتندفق نعمة إهية من القضامة السكرية بلون أبيض نصف شفاف، رطبة قليلا، وساخنة قليلا.

ما كانت تحرق أكفنا، لكن وبعد وضعها في جيوبنا بفترة قصيرة، كنا نشعر بدفء يلامس أفخاذنا، مع هذا الدفء اللطيف، ورائحة القرنفل، نستمتع بلذة الطعم الذي يذوب سريعا في الفم، كان يبدد ضجر المدرسة ويختلط برذاذ المطر.

ما كان هناك فصول أربعة، الخضار يعمّ الأرجاء بكثافة شديدة، ما كان المرء يشعر أن الزمان يمضي، يتجدّد من النهار إلى الليل، ومن الصيف إلى الشتاء، القامات تطول، الصفوف تتغير، الأصوات تخشوشن، أحاسيس ورغبات كنا نجهل كنهها بدأت بالعدو كمهور برية في سهوب داخلنا.

كنت تصلين متأخرة إلى المدرسة، عندما يشعر والدك بالتعب أثناء إعداد القضامة، فيتوقف ليجرع عدة أقذاح من النبيذ عند البقال الذي في الجوار، أنت كنت تأتين متأخرة عنا جميعا، وقد تصلين في أحيان كثيرة، بعد دخول المعلمة، كانت خصلات شعرك المتلوية فوق أنفك وصدغيك تتخضل بالعرق، كانت نظرات عينيك الواسعتين ذات الأهداب، خجلة، كنت تغطين شعرك بعناية، مع هذا كانت تضع خصلات من شعرك تفيض من فوق أذنيك ومؤخرة عنقك، كنت تقصّينها بشكل غير منتظم، كان واضحا عدم رضاك عنها.

ما كان يرضي أبوك نمو نهديك، وتشكّل قوامك، وامتلاء شفتيك. نموك، كان يعني له وقوعك على طريق الخطيئة.
قال يراسيم في الهاتف:

«أنا قادم وزوجة أخي، لاقيني في مستشفى باليكلي للرُّوم، حتماً، لا بد أن تأتي...». قال، لم يخطر بذهني أنه يعنيك بقوله زوجة أخي، الشلل انتشر بجسدك، أليس كذلك؟ ماذا حصل؟ أعلم عدم قدرتك على الكلام، في الواقع، ما كنت تتحدثين أبداً، وإذا ما لزم الأمر، كنت تختزلين كلامك بكل اختصار.

يراسيم، لا يريد تركك وحيدة ولا للحظة واحدة، يبدو أن زوجك قادم هذا المساء، لا شك أنك تعلمين.

كنتُ هناك، عندما ظهر والدك من مكان ما من خلف الدكان، نقودنا كانت في أيدينا، ننتظر ما تعطيه لنا من حلوى بسخاء، بقلبك الطيب دون أخذك الوزن بعين الاعتبار، اختلط غضبه المدمر بتأثير المشروب، ضربك بلا رحمة ولا شفقة، لم يوجّه لنا أية كلمة، مع هذا، فررنا من الخوف كفراخ الدجاج البري، بعد ذاك الظهر، لم تأتي إلى المدرسة.

ما أتيت ثانية أبداً، أمضيت الوقت ببيع القضامة السكرية، تُعطينا بما يقابل نقودنا، دون زيادة، ودون أن تتكلمي مع أحد.

حل الربيع، ثم حل الصيف، عندما فتحت شجرة أزهار الحرير في حديقتنا، وتدلّت منها لفائفها الوردية، حلم أخي الكبير أنه شبكها كشریط زينة على رأسك، كل صباح يشبك جديدها، في البدايات، بدا لي وجدّه وأحلامه مضحكين، ثم اعتدت في فترة قصيرة؛ وبينما تجلسين على كرسي القش، لحظة خلو الدكان المعتم من الزبائن، تضعين يديك على ركبتك،

رأيت عناقيد أزهار الحرير الوردية المتلوية تغطي شعرك المتموج المتدلي.

كان أخي الكبير على حق، العشق دائما على حق، عندما بأسرنا سحره، لا شيء أكثر متعة من العيش معه.

عندما كنا نخرج من البيت باتجاه الشارع، كان أخي الكبير يقف تحت المصباح عند الناصية، يرفع رأسه وينظر إلى النور، كان يتمثل له لون وجهك كذلك النور الأصفر الشاحب، ذلك كان واقعا، بعد ذلك بوقت لاحق، أصبحنا نرفع رأسينا معا حين وصولنا تحت المصباح، لقد أذن لي أخي الكبير بالوقوع في غرامك.

هو، ذهب إلى المدرسة العسكرية، نسي حب الطفولة بعد وقت قصير، أنا، لم أنس.

ما عدت تأتين إلى المدرسة، أخي الكبير أصبح في مكان بعيد، ألق والدك صبيا صغيرا ليعمل عنده، بعدما تعلم الصغير العمل، حبست نفسك في البيت، كل التعاويذ بطلت، كانت أزهار الكاميليا تظلي واجهة بيتكم بأحمرها القاني، أنت، ما عدت النور في عتمة الدكان ولا في عتمة منعطفات الزقاق، كنت أختق لعدم تحدثك مع أحد، كان القمر يسقط على سطح الماء، أدخل وحدي إلى الماء على نحو أخرق، كنت أجعل القمر يهتز ويحزن، أخوض في الماء، ودون انتظار القمر حتى يعود إلى مكانه من جديد، لأقف أمام باب حديقتكم، ما كنت أراك. استأجرت عائلة يراسيم القسم الأمامي من البيت، لست أدري، ربما لهذا السبب أردت أن أصادق يراسيم، مهما كان السبب، فالنتيجة كانت حسنة.

حتى أنني ويراسيم قسنا شيئنا، كان لشيئه قلقة، ضحكت، كانت حركة طفولية، هو أيضا شعر بإهانة طفولية، لهذا السبب توقفنا عن المقايسة، كانت جدتي من أبي تقول إنه قد يولد غير المسلم مختونا، كان ذلك دائما يمر في ذهني كي أرويه له، لكنني نسيت. لو كنت قادرة على الضحك، لضحكت..

مارو.. كان اسم أم يراسيم، أليس كذلك؟ حماتك، كانت تُعد طعاما ساخنا بزيت الزيتون، محاشي البندورة والفلفل الأخضر بالحمص والنعناع، أرز بالمحار، وسلطات لذيذة بأنواع عديدة من الأعشاب لم أعرف اسمها، وما عدت ذقتُ بلذتها، ما كنا نأكل بل نزررد. ليلا، كنت أضع يدي في جيبي، وأخوض وحيدا في ماء يسبح فيه القمر، لم أتوقف رغم قناعتي بعدم رؤيتك. حتى لو كنت زوجة خريستو الفتية.

بعد مغادرة المدينة، بدأ الزمان بالتسارع، كبرت، بينما بقيت أنت بنفس العمر في تلك المدينة، بالنسبة لي، أعتقد كنت في السابعة عشرة من العمر.

هل أصبحت سعيدة، هل أصبح لديك أطفال؟ إن كنت غير قادرة على الحركة، افتحي وأغلقي عينيك.. يا سلام! أربعة أطفال؟ ظننتُ أنك من الفناجات اللاتي لن يلدن سوى طفل واحد، يبدو أنني لم أحسن الظن، كيف لفتاة بائعة قضاة معوزة، أن تكون غناجة. ليلة شاهدتك في الكنيسة، كانت ليلة مهمة، أصبح الصباح، ولم أنطق طوال اليوم بحرف، بعد صلاة عيد الميلاد، كنا سنذهب مع يراسيم لمشاهدة غرفة نوم نادل تزوج حديثا، انتظرت طويلا خارج الكنيسة، من كان يدخل ما كان يخرج، دخلت الكنيسة، وأنا في خوف من بطلان ديني، بحثتُ عنك بين الجالسين على

المقاعد الخشبية الطويلة المطلية باللورنيش، ليس يراسيم من كنت أبحث عنه، بل أنت، كنتم واقفين، كنت مستتدة إلى الحائط، وضعت شالا من الدانتيل حالك السواد على رأسك، وجهك كان أصفر يانعا، كان لونه صدفيا، كلون العشب الجاف الذي لوّحته شمس الصيف، كان يراسيم يكاد ينفجر من الضجر.

أدركت أن الحب تحول إلى هيام، عند رؤيتي لذلك الوجه الصدفي الملتف بشال أسود، خرجنا مع يراسيم، أنعش الهواء العليل تعرّق يراسيم، كنت آمل أن يخفّف الهواء من واقعي، لكنه كان ينكأ جراح قلبي، ما عدت أشعر برغبة لمشاهدة النادل الغاضب الذي يخلع ملابس زوجته عارية تماما ويضربها ثم يضاعفها كل ليلة، كان عليّ أن أفكر بك، ما عدت قادرا على النظر بوجه يراسيم لإحساسي بالذنب الشديد.

طال حديث يراسيم مع الطبيب.

كأن المستشفى خال تماما، لعل يراسيم ذهب لشراء أدويةك من خارج المستشفى، لماذا تتظرين هكذا، بعينين جاحظتين؟ عيناك خضراوان، ألم تكونا سوداوين؟

لعلك فتاة أخرى؟ لم تتبسمي، لم تظهرني ألفة لما رويته، حدقت كصبية تصغي لقصة حب جميلة، يبدو أن لون عينيك في ذاكرتي كان مغايرا.

سألمسك، من بعد إذنك، لم ألمسك قط حتى هذه اللحظة، يداي ترتعشان، أشعر بانفعال، عليك إغلاق عينيك، هو ذلك، يجب أن ترتكز يداك فوق صدرك، سيؤنقناك..

ماذا يقال في مثل هذا الموقف؟ أستودعك السلامة..

يونيو 1990

أويا بايدار OYA BAYDAR 1940

ولدت في إستانبول. درست في مدرسة البنات الفرنسية، وكادت أن تفصل بسبب رواية كتبتها في نهاية المرحلة الثانوية، نُشرت على حلقات في صحيفة «حرّيت». أنهت عام 1964 دراستها الجامعية بعلم الاجتماع من جامعة إستانبول، وعملت بنفس السنة معيدة في نفس الكلية. قدمت أطروحة الدكتوراه بعنوان «نشوء طبقة العمال وبنيتها في تركيا». وعندما رُفضت رسالتها من قبل هيئة أساتذة الجامعة، احتج الطلاب على القرار باحتلال مبنى عمادة الجامعة، وكانت تلك الشرارة الأولى لانطلاق أحداث الطلاب في الجامعات التركية لحين قيام الجيش بالاستيلاء على السلطة في 12 مارس من عام 1971. تركت جامعة إستانبول وانتقلت إلى جامعة «هاجي تبي» في أنقرا. فُصلت من الجامعة إثر استيلاء الجيش على السلطة واعتقالها بتهمة الانتماء إلى حزب العمال التركي ونقابة معلمي تركيا المحظورين. عملت كاتبة زاوية في صحيفة «الوسط الجديد» اليسارية حتى إغلاقها (1972-1974)، ثم في

صحيفة «بوليتيكا» (1976-1979)، ثم أصدرت وزوجها مجلة «المبدأ». نظرا لانشغالها عن العمل الأدبي بالعمل السياسي، فقد اضطرت للسفر إلى ألمانيا بعد استيلاء الجيش على السلطة مرة ثانية عام 1980، وأمضت في المنفى 12 عاما، حيث عاشت هناك سقوط المنظومة الاشتراكية في تلك الفترة لتصدر عام 1991 مجموعتها القصصية «الوداع أليوشا» عن الهجرة السياسية القسرية. عادت عام 1992 إلى تركيا لتعمل مع وزارة الثقافة على إصدار موسوعة إستانبول.

أعمالها في مجال الرواية: رسائل القطة (1992)، العودة إلى اللامكان (1998)، بقي رماذ الساخن (2000)، بوابة الأرجوان (2004)، الكلام الضائع (2007)، جنرال المذيلة (2009)، عصر الحروب، عصر الأمل (2010)، حياتكم المترفة (2012). وفي مجال القصة القصيرة: الوداع أليوشا (1991).

أعمال أخرى: «ألبوم عائلة الجمهورية»، «من القرى إلى المدن في 75 عاما»، «من المسننات إلى رقائق الحاسوب في 75 عاما»، «محركو المسننات في 75 عاما»، «الأنماط المتغيرة لحياة إنسان الجمهورية في 75 عاما»، «أنماط الجمهورية»، «موسوعة الحركة النقابية في تركيا». كما أصدرت و«ملك أولاجاي» عام 2011 كتابا بعنوان «امرأتان وحقبة واحدة»، تناولتا فيه ما عاصرتاه من أحداث في مرحلة الشباب، وتحدثتا عما كانت عليه آمالهما وعن الكفاح الثوري والمنظمات اليسارية وعن الاعتقال والتعذيب والمعاناة، عن المنفى والعودة إلى الديار، من إستانبول إلى معسكرات التطهيرات الفدائية الفلسطينية، عن أحداث عام 1968 في فرنسا والأحداث التي صاحبت استيلاء الجيش

على السلطة في تركيا مرتين، عن بدايات الحركة الكردية وعن التنظيمات السرية التي أنشأتها المخابرات الأمريكية لمواجهة نشاط الحركات اليسارية في العالم، وعن خطط أميركا وإسرائيل لتصفية القضية الفلسطينية، وعن سقوط جدار برلين وانهار المنظومة الاشتراكية.

نالَت عام 1991 جائزة سعيد فائق للقصة القصيرة عن مجموعتها القصصية «الوداع أليوشا».

ونالت عام 1992 جائزة يونس نادي للرواية عن روايتها «رسائل القطة».

ونالت عام 2001 جائزة أورهان كمال للرواية عن روايتها «بقي رماده الساخن».

ونالت عام 2004 جائزة جودت قدرت للآداب عن روايتها «بوابة الأرجوان».

ونالت عام 2011 جائزة البحر الأبيض المتوسط الإيطالية للثقافة عن روايتها «العودة إلى اللامكان».

الوداع أليوشا

في صباح يوم ضبابي باهت من بدايات ذات صيف، كانت رائحة العُثمُ تعبق، ساعات الفجر الأولى تكون باردة باعتدال ومنعشة حتى لو كان النهار حارا، هطول مطر غزير فجأة، يُطلق آلاف العصافير الممزقة من أشجار الأكاسيا الوارفة على جنبات الشوارع، فيعتم الجو ويذهل الناس، معاناة عشق قد انتهى وانتظار طويل خنوع عند أبواب مكاتب البريد لبرقيات منتصف الليل، كانت هجرانا أو أملا بلقاء، فساتيني بألوانها، الأخضر الفستقي والأرجواني الباذنجاني، حياتي عادية في النهار ووحدة موحشة ليلا، وما كتبه على حيطان بيتي من أبيات شعر بطباشير ملونة للتحرر من عاطفة لم تنته، كانت هروبا أحمق، بدايات البرقوق في أطباق المقبلات ونبيد «بوزباغ» بلونه الكرزي الغامق في أقداحنا، تسلقنا في الليالي القمرية قمم تشناكايا شوقا إلى بحر غير موجود، ركوبنا حافلات الأناضول دون تحضير مسبق لنستيقظ في الصباح التالي في إستانبول وإزمير وبورصا وبودروم، مرورنا من جوار بحيرة الملح عند انطلاقنا إلى «كبادوكيا» خلف الشاحنات المحملة بالبطيخ، في سَكينة المعابد السرية للنصارى الأوائل، في متعة امتطاء الخيل والانطلاق بلا حدود لطرح تعب الحياة، في لهائنا وتلظي أكفنا

وجباهنا أثناء تسلق مرتفعات حجرية نحو القلعة وتماثيل إلهات
حيثية من آلاف السنين، ثم تمددنا على الأرض المرمرية الباردة.
كانت هناك التجمعات الميدانية والمسيرات واللقاءات
والاعتصامات، وكانت المؤتمرات والاجتماعات والخطب النارية
الحماسية والمعارضة الحادة، مناوبات حراسة مساكن الطلبة
وحرم الجامعات حتى طلوع الصباح، كل الساعات وكل الحياة
ثورة لا حدود لها، هتافنا: «هو، هو هوشي منه، إلى الأمام يا
فيتنام» و«نحن على الطريق، كفاحنا سيبدأ من جديد»، كانت
أيامنا مليئة بالأمل والمجازفة، نمضي الليالي حتى طلوع الصباح
بكتابة المقالات ومناقشة المقالات والعالم والحياة والثورة
والاشتراكية والإنسان، كانت أعمارنا ما بين الخامسة والعشرين
والثلاثين، وربما لم نأخذ أنفسنا على محمل الجد بهذا القدر
في أي وقت من الأوقات، مؤمنين، متحمسين، منكرين لذاتنا
ومفعمين بالأمل.

كنا نحشر أنفسنا في سيارة فولكس فاجن زرقاء بالية كعلبة
سردين، وفي حقائبنا كتبٌ حول الاشتراكية والفاشية. ننطلق
بحثاً عن ركن خفي تحت أشجار الصنوبر الباسقة، نجد حلولا
رومانسية وتدابير صبيانية عند استشعارنا قرب هبوب عاصفة،
نخرج صباحاً من بيوتنا ولا نعود، أحرار كالطيور، محلقون في
الجو كالسحب، ثم تشتتنا في أرجاء العالم الأربعة..

قيام رجال الأمن ذات يوم بسحبي في منتصف المحاضرة
من منصة التدريس واعتقالي، قيام «رجال الخاكي» برشاشاتهم
التومسون وبساطيرهم بنبش بيوتنا وحياتنا وتدقيق هوياتنا
متمحصين، كانت حالي مضحكة وتحاكي أفلام ميكي الكوميديا

وأنا محاطة بفرقة جنود مدججين بالسلاح، وقد ضبطوا عددا من الممصقات وبعديدا من المجلات والكتب وآلتي الطالبة البالية. قطتي الصغيرة السوداء تنظر خلفي بحزن، وشعوري بنظرات ريبة وخوف جيران شقتي، أخذي معصوبة العينين لثكنات عسكرية رطبة، وخوفي من غرف التعذيب الحجرية كفأرة وقعت في المصيدة، عشوائيات الفقراء المدهونة بالأزرق كانت ترى من باحة التهوية لمهجع النساء، حكايات تحويل سحابات الخريف للسهول إلى حدائق وأشجار الصنصاف، وبعد إغلاق الأبواب الحديدية، الشاي المخمر الساخن الذي نشره كان السعادة المرة. اليوم، تذكرتك يا أليوشا وفي داخلي حزن عميق، كنت في حينه الأبعد عن الحزن من بيننا، ما كتبتُه من أشعار العشق على جدران: «أحبك كمن يغمس الخبز بالملح ويأكله / في الليل أستيقظ في داخل النيران أضع فمي على الصنبور كمن يشرب الماء».. اعتبرته لا يليق بالثورية حتى لو كانت من أشعار ناظم حكمت، ومحاولتك محوها بغضب طفولي. واثق إلى النهاية من نفسك وأفكارك، ولا تشعر بأدنى شك من صحة ما تؤمن به أثناء إلقاءك الخطب النارية في التجمعات الميدانية للطلاب وفي اجتماعات الحوار وفي لقاءات العمال، تضع نهاية لما يدور بيننا من نقاشات بقولك ضجرا: «العمل الجدي يحتاج إلى قليل من الكلام»، أما في أيام المناسبات السعيدة، كنت تعد صينية كبيرة من سمك الأنشوجة بالأرز، تلتهم نصفها قبل إعداد المائدة، لكن الحزن ما كان ليجرؤ على الاقتراب منك حتى وأنت تنظر إلى الأرض وتبتسم بخرج. كنت تحب الأنشوجة والمربيات وصنع القطط وآلاف من أنواع الحيوانات من الوزق، لقد استحققت اسم أليوشا بتفاؤلك

الطفولي وبراءتك وتهورك وتدبرك ومبادرتك للعمل والجد.. في الحقيقة، فقد كان حسك المرهف ما يشدني إليك، يمكن أن يقال إنك تمتلك في جوانبك كل الصفات الجميلة، حتى إنك تحمل نقاء الطبيعة بحبك الأشجار والأعشاب والغزلان والقطط والماء! كنت بعيدا عن الغموض والكتمان والانفعال وتغلب مشاعرك الإنسانية في مواجهة الأمور، فكيف يكون للحزن عندك مكان؟ كم كنا نعمل بحماس ونشاط وبلا كلل بين كتب ومجلات وأوراق مبعثرة في الاتجاهات الأربعة.. الأخت خديجة تضع في الثلاجة ما أعدته بالأمس من سلطة الفاصوليا وسلطة الجزر ومحاش بزيت الزيتون، ينبغي عدم احتساء الخمر أثناء العمل! مع هذا، في ذات مساء خريفي، وبينما كنتُ أضع على الطاولة بتردد وحرص زجاجة خمر كنتُ قد خبأتها، ما كانت عيناى تبحث سوى عن عينيك، لا أحد منا ينسى ذلك اليوم الذي نلت فيه لقب أليوشا باستحقاق.. زمجرة غاضبة! سنذكر ما كان يخبئه جناسك بما تحمله من اسم، كلما اجتمعنا سويا على مائدة طعام أو مائدة مشروب، حتى لو بلغت أعمارنا مئة عام، ذلك اليوم الذي سُجِّل لك فيه مرة أخرى كيوم أليوشا، عندما ضبطناك تسكب خلصة زجاجة ويسكي إسكتلندي برقعة سوداء في حوض المطبخ، لتتجنب قول: «أنا لا أشرب الخمر».

موقف الحافلة الأخير كان في «بهتسلي إفلر».. أحمل في يدي ما اشتريته من بائع المكسرات؛ كيس قضاة وفتقا حليبا وتوتا مجففا وبندقا وزيبيا. في حقيبتي زجاجة كونيالك صغيرة ومحاضرات وأوراق وكتب ومجلات.. كنا قد تهيأنا للعمل كجنود مجهزين تجهيزا كاملا، سنعمل حتى يطلع الصباح، يجب أن

نتم إعداد مواضيع المجلة، نحمل على أكتافنا مسؤولية العالم والتاريخ وتركيا وجميع البشر، كل أيامنا المفعمة بالإيمان والأمل والاشتراكية والثورة موهوبة لـ«أنقرا»! نعدُّ «أنقرا» على الآلة الكاتبة حتى الصباح، إيماننا منا بأن المستقبل والعالم في أيدينا، نأخذها إلى المطابع لنوزعها في حفلات الليل على أحياء العمال في إستانبول، وفي ساعات الفجر الباردة في الطرق العبقة برائحة العُثم، في ذهابنا إلى بيوتنا وإلى أماكن عملنا، هي ارتباطنا بالإضرابات والأنشطة الطلابية، «أنقرا» هي حياتنا..

ربما اليوم، الحزن الذي يخيم عليّ في الصباح الباكر وما أذكره بعد عشرات السنين وعلى بُعد آلاف الطرقات من الليالي البيضاء العبقة برائحة العُثم، هو ليس ما أنت الآن ولكن ما كنته أليوشا في تلك الأيام الخوالي، ما واجهناه في حياتنا من حقيقة وواقع وأحلام ومشاعر وآمال لا حدود لها، بما لم نكن قد واجهناه من معاناة وفراق وموت وعذاب وزنازين ومستقبل مؤلم ومظلم..

ربما رؤيتي في الصباح الباكر، لصورة صغيرة لك في الصفحات الداخلية لصحيفة وصلت من تركيا، سببت لي الحزن، ظني أنك لن تشيخ أبدا، بوجهك الطفولي البريء الذي لا يخفي شيئا ولا يحمل غموضا أبدا.. ربما في تعابير الحزن والشحوب والتعب الظاهر في الصورة، في شعرك الذي خطه الشيب وفي تجاعيد وجهك التي بدت عميقة، في نظراتك الواهنة، ربما أيضا في إجاباتك المحسوبة والجدية على ما طرحه الصحافيون من أسئلة، ما كان مخفيا في مزاحنا «أليوشا قمة عصية على اقتحامها»، بدا واضحا في ما سطرته في آخر

رسالة لك «أشعر بأني تعب، ما عدت أسكب الويسكي في حوض المطبخ، بل أصبحت مدار حديث في محيطي بإدماني الشديد...».. كلا، لم يكن حزني لما بدا على وجهك الطفولي من تعب وهرم، ولا لإدمانك على المشروب ولا الشعور بالشوق إلى ماضٍ لن يعود! مكن الحزن في ما حاولت إظهاره من منطلق سليم بعيد عن العواطف وعقلانية بإجاباتك على أسئلة الصحافيين، الانكفاء وقبول الأمر الواقع بقولك: «لا أستطيع أن أكون متفائلاً»، ما عدت تستطيع أنت أن تكون كما كنت، وما عدنا نحن نستطيع أن نكون كما كنا سابقاً..

أيامنا في إستانبول، نطلق منهكين من التعب من «جا آل أوغلو» إلى «سيركجي» لنتراح برهة في بواخر «أوسكودار»، نتابع غروب الشمس ونحن نتحدث بهدوء - كم كنا نتناقش، وكم كان عندنا الكثير من الأحاديث! - كنت دائماً أفكر بأنك لا تتابع ما تتركه الشمس الغاربة من أطيايف على البحر المتموج أمام «سراي بورنو»، كنت أفكر بأن التهامك المقبلات بنهم قبل قيام الموائد يحول دون استمتاعك بتذوق طعمها، كما أن مشاعرك المعقدة نحو المشروب تحول دون استمتاعك بتذوق طعمه. ربما عدم نجاح أحد منا بإتقان عمل كامل، ونجاحك بأن تكون أليوشا، ما جعلنا نحبك. الآن، وبعد أن غربت الشمس على جهات العالم الأربع، وغاب سحر أشعتها في الأفق، ومع تذوق المقبلات النفيسة ببطء واحتساء الكونياك في كؤوس بالونية بعد تدفئتها براحة الكف، لم يبقَ هناك مكان للمشاعر المعقدة والآلام المخادعة ولا للانتصارات، وبخاصة منذ أن تعلمت تقديم التنازلات. اسم أليوشا ما عاد يناسبك، ما عاد يناسبك أبداً.

في زاوية من الصفحات الداخلية للصحيفة، إلى جانب صورتك الصغيرة، صورة كاتدرائية أسطورية في زاوية الميدان الأحمر، عندما لمعت ليلاً نجمة الكرملين الحمراء في السماء الزرقاء الحليبية، كان نصب ضريح لينين يعج بالقادمين لمشاهدة تبديل الحراسة الاستعراضية مقابل كاتدرائية الأساطير بقببها ذات الأزهار الملونة وأبراجها. إلى الخلف، الكرملين ذو العلم الأحمر والنجمة الحمراء، الرمز المقدس لأجمل أمل وأعظم أسطورة في قرننا، ما ظنناه قد تحقق كان مختبئاً خلف جدران القلعة. كان مكتوباً أسفل صورة الكاتدرائية الأسطورية: «الميدان الأحمر يتغيّر».. وإلى جانب صورتك بأحرف سوداء كبيرة اقتباس من أقوالك: «ينبغي علينا رؤية تغيّر العصر، والتلاؤم مع التغيّر».

ليتك لا تتحدث بهذا القدر من الصراحة والواقعية والحكمة يا أليوشا! ليتك تسكب أغلى وأنفس الخمور في الحوض ثانية، لا تجلس بهذا القدر من التهذيب، واهجم على الطعام بنهم، ليتك لا تكتفي بنزع كل قصائد العشق عن الجدران فحسب، بل من الكتب أيضاً وارمها! ليتك تعود إلى سابق عهدك مندفعاً لا تحسب نتائج تصرفاتك، متحمساً وعجولاً ومحتداً وصلباً لا تقبل المساومة، العن خصومك السياسيين واشتمهم! اكذب، قل «لم يتغيّر أي شيء، ما زلنا صامدين لم ننحن!» ارم قناع الشيوخوخة الذي على وجهك والجمود الذي في عينيك، أضحك ضحكتك الطفولية على صفحات الجرائد، ليت الأسطورة لم تنته ولم تُهدم قلاعها يا أليوشا! ليت النجوم الياقوتية الأسطورية التي ترشد الأطفال للطريق لم تقع منهم وقد ضلوا طريقهم أثناء هروبهم من الساحرات والغيلان، ولم تنكسر!..

كل شيء يتهامى .. الجدران والحصون والقلاع والنجوم
والتماثيل والأحلام والمعتقدات والقيم، وكل ما له علاقة
بالماضي .. كل شيء تهشم وتحطم! ..
مرحبا بالعالم الجديد!
الوداع أليوشا! ..

نورسل دوروال
NURSEL DÚRUEL
1941

ولدت في إسبارتا، أكملت تعليمها الثانوي في إستانبول، ثم درست علم الآثار في جامعة إستانبول.

عملت عام 1965 في مؤسسة الإذاعة والتلفزيون، وأعدت برامج شتى في مجال الآداب والفنون، كما عملت في إذاعة خاصة في قبرص، ومن ثم في مؤسسات الدعاية والإعلان. نشرت قصتها «الغزلان وأمي وألمانيا» في مجلة «اللغة التركية»، ونالت عنها جائزة القصة لدار أكاديمي للنشر عام 1981، ثم فازت مجموعتها القصصية التي تحمل نفس الاسم عام 1983 بجائزة سعيد فائق للقصة القصيرة، ثم حولت قصتها إلى عمل تلفزيوني من إنتاج مؤسسة الإذاعة والتلفزيون عام 1978.

فازت قصتها «الدوامة» عام 1990 بجائزة يونس نادي للقصص التي لم تنشر، والتي صدرت عام 1992 ضمن مجموعة قصصية بعنوان «كتابة على الصخور».

عملت على كتابة سيرة المشاهير؛ فأصدرت كتابا بعنوان «شعر وسيرة جمال ثريا»، كما أصدرت كتابا بعنوان «مقتطفات مختارة من جائزة سعيد فائق للقصة القصيرة». رغم أنها مُقلِّة في الكتابة، لكنها تناولت بشفافية العالم الداخلي والخارجي للفرد، ونقلت بحس خيالي بديع قضايا وعدم استقرار حياة المرأة.

الغزلان وأمي وألمانيا

تلك الليلة، كانت ليلتنا الثالثة في إستانبول، ليلتنا الثالثة والأخيرة، كانت أُمِّي ستذهب، في اليوم التالي، عند أبي، إلى ألمانيا، وجدتي وأنا كنا سنعود إلى «تشي».

نحن نقيم في مقاطعة تشاي من ولاية أفيون، نعتاش من راتب الأرملة العائد لجدتي من جدي، أخي أيضا هناك، تركناه عند خالتي.

أقمنا في إستانبول، في ضيافة إحدى القربيات البعيدات لجدتي. صاحبة بيتنا، سيدة أرملة مسنة تعيش وحيدة، كان زوجها موظفا في الخارجية، زارا في شبابهما العديد من الدول، تعرفا على أناس كثيرين، لم ينجبا أولادا أبدا، تحب الأولاد كثيرا، تلك الليلة روت مسلسل شبابها، قالت طرائف، وأرتنا صورا أمتعنا كثيرا، عندما جاء وقت النوم وبينما كانت تتمنى لأُمِّي ليالي سعيدة، قالت «أغبطك»، «ستذهبين إلى ألمانيا، ألمانيا.. آه يا ألمانيا.. كم هي جميلة الأيام التي قضيناها هناك!.. هي إحدى أكثر البلدان التي استمتعت فيها».

الغرفة، حيث نمنا، كانت مكتظة بالأشياء: أرائك، وطاولات، تحف مختلفة على الطاولات، صور ولوحات على الجدران.. وفي الزاوية أكياسنا وأشياؤنا، نبهتني جدتي لحظة مجيئنا: «لأجل

الله، كوني حذرة، مقتنيات السيدة مهربان تحف من طراز عتيق، ليس في استطاعتنا تسديد ثمنها، إذا ما أتلقت شيئاً منها». خلعتُ ملابسِي وأنا أحاول ألا ألامس أي شيء، اندسست في السرير إلى جانب أمي، بعد مضي بعض من الوقت، غادرت أمي الفراش بهدوء، ظنا منها أنني نمت وذهبت إلى جوار جدتي حيث تستلقي على الأريكة، بدأت نقاشها معها همسا، كان اسم أبي يتردد من حين لآخر، بعد فترة ارتفعت حدة النقاش، وعندما ازدادت غضبا نسينا الحديث همسا، وهكذا أصبح باستطاعتي سماع كل ما يقولانه، كانت جدتي تقول لأمي «أطلبني الطلاق»، «أنت تعلمين أن لا خير يرتجى من هذا الرجل، كما أنك ستذهبين إلى ديار الغربة لتعيشي في الفقر، اطلبني الطلاق، على الأقل ستتخلصين من الشجار. رجل، لم يؤدِّ حتى الآن، حق الأبوة لأبنائه، وهل سيصبح رجلا بعد الآن؟». كانت أمي تعارض: «أبعد هذا العمر؟». كانت تقول: «الأولاد...». كانت تقول: «كيف يمكن ذلك؟ ماذا أفعل؟» كانت تقول..

وماذا لم يناقشها!.. بعد سفر والدي إلى ألمانيا ازداد وضعه سوءا، وتوقف عن تزويدنا بالنقود.. وماذا، وماذا أيضا.. يسافر الرجال إلى ألمانيا للعمل، لكنهم يقترون على أنفسهم، ويعملون سعيا لتأمين مستقبل أبنائهم، لكن أبي أحرق وطائش، لم تعد أمي تحترمه وتحبه كالسابق. تصبر عليه، الآن، من أجل أبنائها، ولخاطر الأيام الماضية، ستكون هذه المحاولة الأخيرة، كي تصلح من سلوك أبي، إذا لم تفلح فعندها سيكون الانفصال، كما إذا ما استطاعت إيجاد عمل في ألمانيا ستكون صاحبة الوصاية علينا.

«هذه نصيحتي الأخيرة، غدا ستفادرين بالطائرة، ما دمت مصرّة إلى هذا الحد، نامي مبكرا، على الأقل نامي، كي لا تصلي إلى بلد لا تعرفينه من دون نوم، ابقِي يقظة» قالت جدتي، وتمنّت ليالي سعيدة وغطّت باللحاف رأسها.

تسلّلت أُمي إلى جانبي بهدوء، مدّت يدها، كانت تريد تلمّس وجهي، تراجعت، استلقت على ظهرها وحدّقت بالسقف، ظلّت دون حراك متظاهرة بالنوم. نور القمر، كان يدخل عبر النافذة المنفرجة، لا حس ولا حركة، من شدة السكون، كأني أسمع صوت مرور نور القمر عبر الزجاج، أسمع صوت المصانع في مدن ألمانيا، أسمع صوت الطائرة التي ستقل أُمي غدا.

كتمت أنفاسي، لم ينبض عرق عنقي على هذا النحو قط، لا أريد البكاء، سيرشح أنفي إذا ما بكيت، وإذا ما شرقت نفسي فستدرك أُمي أنني أبكي، لن تستطيع النوم، وإذا لم تتم، فستصاب بالإعياء، جدتي محقة، لقد هزلت كثيرا، يجب ألا أبكي، كل شيء في كفة، ورؤية أُمي لبكائي في كفة أخرى، سأموت من الخجل، كلا، يجب ألا تراني.. يجب ألا تعرف.. كل محاولاتي ذهبت أدراج الرياح، ما كنت لأستطيع تمالك نفسي، كانت الدموع تنهمر من عيني كالسيل، تبلّلت وسادتي كلية، دفنت نفسي كلية تحت اللحاف، ما عدت قادرة على التنفس من كثرة ما جاهدت للامتناع عن شرق نفسي، كشفت للحاف قليلا، عينا أُمي مازالتا تحدقان بالسقف، عدوّتي هذه الدموع، التي تعيقني عن تأمل أُمي، لا أمنية لي سوى أن أملاً ناظري برؤية أُمي، يا لهذه الدموع الحقيمة! قاتلك الله أيتها الدموع اللعينة! انهمري غدا كما تشائين، لكن دعيني وشأني الآن، لا تحجبي عيني كستارة، أريد أن أرى أُمي في هذه الليلة.

أمي، لقد هزلت أمي كثيراً، كانت أجمل من في الكون، أنار نور القمر عنقها، وذقنها، ووجنتها، بقيت عيناها في الظل محدقتين بالسقف، تأملت وجه أمي حتى تلاشى نور القمر مع احمرار الصباح، كلما كدت أطيّر من الفرح وأنا أفكر قائلة «ها هي الآن مستلقية إلى جانبي»، أستدرك قائلة «لكن غدا، لن تكون إلى جانبي!».

آه لو تعلمون ما فعل نور القمر بوجه أمي تلك الليلة، لم يتوقّف عن تغيير وجه أمي، أنظرُ في لحظة، فلا أستطيع تمييزه بفعل أبخرة الضباب، أعاود النظر ثانية، فأراه ناعماً جداً كوجه تمثال امرأة أصم أخرجوه من تحت التراب أثناء فتح طريق في بلدتنا تشاي، أنظرُ من جديد، فأرى وجه أمي وقد امتلأ بالتجاعيد، وبدت عليه نفس الابتسامة التي ظهرت في صورة عرسها.. وبينما أنا ضائعة بين البكاء وتأمّل وجه أمي ومحاولة تمييزه، أطلقت أمي زفرة وتهدّدت قائلة «أوووف»، واستدارت نحوي: «كفى.. كفى.. كفى.. أقول لك كفى!».

كانت تؤنّبني ولكن بصوت خافت لا يسمعه سواي، ثم احتضنتني وقبلّتي مرات ومرات من عيني ووجنتي، أنبتني ثانية، ثم قبلّتي ثانية. «وماذا أفعل أنا؟ إن كان البعد عن الأم صعباً فالبعد عن الأبناء أصعب»، قالت.

ما إن سمعت ما قالته أمي حتى تلاشى ما كنت أشعر به من خجل من بكائي، عانقنا بعضنا، واستفرقنا بالضحك، لست أدري، هل حصل معكم مثل ذلك؟ لا بد أنه حصل، بالتأكيد، لا بد أنه حصل، أشدّ من حمرة الورد، حمرة الورد بأريجه

الفؤاح، لقد اصطبغنا بالحمرة من رأسينا حتى أخمص أقدامنا، وردتان حمراوان عند احمرار الصباح.. بتلات ورد ملء الذراعين يتطاير في الهواء.. علقت كل بتلة بإشعاعات نور القمر المتسلل عبر الزجاج، تدور حول نفسها بلا توقف، بتلات ورد يمطر من السماء، رائحة أمي، رائحة الورد.. أمي، وأبي، وأنا، وأخي، نمسك بأيادي بعضنا، وندور. ملابسنا من بتلات الورد، تحط بتلات الورد على عيوننا، وعلى وجناتنا، ندور، ندور.. كلنا بتلات ورد، أشعة نور الصباح تمر من حولنا، كلنا بلون وردي صاف، يبدو أنني غرقت في النوم.

كنت في منامي أصغر مما أنا عليه الآن، مضى الشتاء، وحل الربيع، ذاب الثلج منذ وقت طويل، وتدفقت المياه، يبدو أننا في نهايات شهر مايو، جدول يبدو من بعيد، كحزام لامع ملتو، وكلما اقتربنا منه يدغدغ خريره أحاسيسنا، وصلنا حافته، يبدو أننا سنغسل بُسَطْنَا، السماء زرقاء صافية، وزقزقة العصافير تختلط مع صوت الجدول، التراب رطب، ذو عبق فؤاح.

تزدان هذه البُسَطُ، برسومات غزلان، وعصافير، أزهار، ودوائر، خطوط طولية وعرضية، كل واحد منها بلون مختلف، أرجواني، وأصفر، وأخضر، ووردي.. «هيا»، تقول أمي «أمسكي هذا البساط الصغير من طرفه، لنغطسه في الماء، حتى يتشبع بالماء جيدا، ليزول عنه الغبار»، أمسكُ البساط من طرفيه الاثنتين، وأمي من طرفيه الآخرين، نرفعه ونمدّه وسط الجدول، حيث المياه أكثر غزارة، والأسرع جريانا. أتى أبي وقد أحضر أربعة حجارة ملساء مستديرة كبيرة، ووضعها على أطراف البساط الأربعة، يجري الجدول فوق البساط الصغير، ثم نحضر ما تبقى

من بُسَط ونمدها جوار البساط الصغير، يضع أبي حجارة على أطرافها الأربعة أيضا، الجدول، يجري من فوق بُسَطنا، وكلما جرت المياه، تتراكم الغزلان كلها بنفس الاتجاه، تركض خطوط البساط الطولية، تحت الماء، بشكل جماعي، تركض، وتركض، لكنها دائما ثابتة في مكانها، عندما أقف فوقها وأموج الماء تبدأ أجسادها بالتموج، قرونها تتموج أيضا، الخطوط المنسقة بالأزهار، والدوائر، وجميع الخطوط الطولية والعرضية تتموج معا على شكل حلقات، حبيبات الرمل الصغيرة تنتشر وتتدرج وتمر من فوقها..

هذا الجمال شديد الروعة، يبعث البهجة في النفوس، أنا أيضا.. لم أستطع تمالك نفسي، أقفز فوق البُسَط في الجدول عند أعماق نقاطه، أريد أن أحتضن كل شيء، الماء والأزهار، الغزلان وحبيبات الرمل، أثب وأقفز في الماء، أمي، تضحك مقهقهة، وأبي وخالتي معا على حافة الجدول يضحكان مقهقهين.. فرح.. لا شيء سوى الفرح على سطح الأرض، لا يوجد إحساس آخر، ألقى نفسي على الماء، أصفق ظهري تارة، وأصفق بطني تارة أخرى، كيفما يكون.. أحاول أن أضرب الجدول بقدمي في العمق، لا أتوقف، مثل المجنونة.. الغزلان، تحاول الإفلات من تحتي، ثم تعود وتتضم من جديد إلى اللعبة، كلما ضربت الماء بقدمي، يرتشق الماء في الهواء، الماء يلعب، الماء يزداد حماسا، الماء يطلق قهقهات.. قهقهة الماء تنتشر في أرجاء السهل، كأن آلاف الأجراس الصغيرة ترن في نفس اللحظة مرددة الضحكات. يشمر أبي بنطاله ويأتي راكضا نحوي، يحتضنني ويرفعني في الهواء، يطلقني إلى أعلى، أعانق زرقة السماء، ثم أسقط

بين ذراعي أبي، مرة إثر أخرى.. فرح.. لا شيء سوى الفرح.. في السماء، في السهل.. لا شيء سوى الفرح! أبي وأنا أيضا انقطعت أنفاسنا، يمدّني على الحصى البيضاء الملساء على طرف الجدول، ويتمدد إلى جانبي، «ارتاحي قليلا»، يقول: «نحن هنا حتى المساء، انظري ماذا أعددت لكم»، أنظر إلى حيث أشار، قدر أسود على حجرين كبيرين، فوق هشيم مشتعل، «أسلق ذرة»، يقول، أغلق عيني، الشمس تقبل جفني، وأنفي، وشعري، وذراعيّ المبللتين، وقدمي، نجيمات بألوان شتى، لا تعد ولا تحصى تومض عند أطراف أهدابي، أنهض وأجلس، ثم أنظر إلى الطرف الآخر للجدول؛ لقلق مواجه لي، بساقيه الرفيعتين الطويلتين، وريشه الأسود والأبيض المتوهج، يخطف البصر، ينقر بمنقاره الأحمر الطويل تاك.. تاك.. تاك.. نقره وضحكه يملأان السهل، أول مرة أشاهد لقلقا، مع هذا فقد أدركت أنه لقلق، «انظري هناك، انظري هناك»، تنادي أمي عليّ، أنظر في البعيد إلى شجرة، «هو ذاك فرخها هناك»، تقول.

أركض من جديد نحو الماء، نحو أمي.. أمي جمعت أطراف ثوبها، وشدتها إلى خصرها، الماء يقطر من شعرها وثيابها، أمي أنا، هي أجمل امرأة في العالم، هي أقوى امرأة في العالم، تفتح ذراعيها الصلبتين كي تحتضنني، وهي تقف بشعرها المبلل، وسط الجدول الجاري من بين قدميها وساقيها ناصعتي البيضاء، ستقف هكذا دائما وسط الماء، شامخة، إلى ما لا نهاية.. صريف الحصى تحت قدميها، وحبيبات الرمل المتشرذمة التي لم تستطع مقاومة جريان الماء، والديدان ناصعة البياض تضحك لنا إلى الأبد، المراعي إلى جانب الحقول تبعث لنا انتعاش الخضرة إلى الأبد.

أنا كقطرة ماء إلى جوار أمي، أنا قطرة ماء مشاكسة انطلقت من الجدول وارتشقت في الهواء، أنا قطرة ماء قوية ومرحة لا تفنى، أنا قطعة من جدول جار بلا توقف ومن أمي التي لا تتوقف عن العمل، قطرة ماء تجزأت منهما ولكنها مستقلة عنهما ..

أمي تساعد أبي، أبي يهرع إلى جوارها، يسحبان البُسْط، المثقلة بالماء، إلى أرض صخرية، ويفردانها فوق سطح صخري منبسط، تشرع خالتي وأمي بطرق البُسْط بالمضارب، تتناوبان، تطرق أمي مرة، ومرة أخرى تطرق خالتي، طاق.. طاق.. طاق.. أصوات المضرب تنتشر في السهل، مثل طقطقة اللقلق، كلما اشتد الطرق على البُسْط، ازدادت ألوان الأزهار التي على البُسْط تفتحا، الغزلان، أحبائي الغزلان تعرض فرواتها اللامعة، وتقول «كم تمتعنا».

كل هذا الذي حدث يدير رأسي، أقع إعياء من السعادة، يبدأ جسدي بالارتخاء، جريان الجدول يتباطأ ويتباطأ، حتى يصبح بحيرة حلبيية ساكنة، تهمس أمي لخالتي: «نامت».

صحوت على صوت رنين جرس الباب، جدتي كانت تتأملني وهي جالسة على الأريكة حيث نامت ليلة أمس:

«صباح الخير يا بنتي»، قالت.

«صباح الخير»، قلت: «هل ذهبت أمي؟».

«أجل ذهبت، ودّعناها منذ ساعة، لم ترغب أن توقظك، نمت متأخرة ليلة أمس».

رشح أنفي على الفور، لو أبدأ البكاء ثانية، كلا.. كلا.. لن أبكي مرة أخرى بعد الآن، أنا قطرة ماء، قطرة ماء عنيدة،

سأناضل حتى أكبر، سأناضل لأحقق أحلامي السعيدة.
للمتُّ الفراش، وطويت الشرشف بعناية، نزعْتُ غطاء
الوسادة، كانت جدتي تراقبني بدهشة،
«ماذا ستفعلين بهذا الغطاء؟»، قالت.
«سأغسله، وإلا ظنت الخالة السيدة مهريبان أنني بنت تبول
ليلا، لكنني بنتُ تبلال الوسادة لا الفراش».

تومريس أويار
TOMRIS UYAR
2003-1941

ولدت في إستانبول، درست في مدرستي البنات الإنجليزية والأمريكية، أنهت عام 1963 دراستها في معهد الصحافة التابع لكلية الاقتصاد في جامعة إستانبول، شاركت مع عزيز نسين وآخرين بتأسيس نقابة كتّاب تركيا، وأصبحت عضواً بنادي الكتاب العالمي (PEN).

أول ترجمة لها كانت لطاغور «طفل من السكر»، ونُشرت عام 1962 في مجلة «الوجود»، وأول قصة لها «كريستين» نُشرت عام 1965 في مجلة «اللغة التركية».

توالى نشرها للقصص والمقالات والترجمات في العديد من الصحف اليومية والمجلات الأدبية، إلى أن شاركت بتأسيس مجلة «بابيروس» لتتال شهرة واسعة في الوسط الأدبي، وتحتل مكاناً مرموقاً في الصف الأول بين كتّاب القصة الأتراك، ونقل بعض من أعمالها إلى التلفزيون.

أعمالها في مجال القصة القصيرة: الحرير والنحاس (1971)، حكاية شاهميران وتصفية الحسابات (1973)،

نرجس حتى الرُكَب (1975)، كُلاب في القلب (1979)، أحلام الصيف وشتاء الأحلام (1981)، البنات المتجولات ليلا (1983)، الروليت الروسي - استدر وانظر إلى الخلف (1985)، رحلة إلى الصيف (1986)، الخطيئة الثامنة (1990)، نساء الثلاثينيات (1992)، فيما بيننا (1997)، دفتر الكتابة الجميلة (2002).
وكتبت في اليوميات: سقوط الأيام - جزءان - (2003).

وصدر لها في الترجمة ما يزيد على ستين عملا في شتى المجالات الأدبية والثقافية والوثائقية لمشاهير الكُتاب العالميين، منهم على سبيل المثال: أبولينير وإدغار آلان بو وأغاثا كريستي وألكسندر بوشكين وأنطوان دوسان أكزوبري وبورخيس وبابلو نيرودا وغابرييل غارسيا ماركيث وجون شتاينبك وفيرجينيا وولف وغيرهم.

نالَت عام 1975 جائزة المجمع اللغوي للترجمة عن ترجمتها «في طبيعة الأشياء» للوكريتيوس.
ونالت عام 1975 جائزة المجمع اللغوي للمسرح المترجم عن «هايوأنا».

ونالت عام 1978 جائزة سعيد فائق للقصة القصيرة عن مجموعتها القصصية «رحلة إلى الصيف»، والتي اختيرت منها قصتها ضمن هذه المجموعة القصصية.

ونالت عام 1980 جائزة سعيد فائق للقصة القصيرة عن مجموعتها القصصية «كُلاب في القلب».

رفضت عام 1987 جائزة خلدون تانر للقصة القصيرة لمشاركة اثنين من الكُتاب لها نفس الجائزة.

هفوات صغيرة

إلى أ.ج

1

«آآآ! مستحيل! هذه صديقتنا نورتان!»، ستقولين بينما تتظرين نحو الباب، دائما مثل مفاتيح السيارة، وولاعتها الذهبية، وعلبة السجائر الذهبية أمامها على الطاولة، حليّ براقه حول عنقها، وعلى أذنيها، وفي أصابعها. في ساعات النهار، ترتدي ملابس مطرزة بخيوط فضية وموشاة بالخرز، كلمات أجنبية على شفيتها، بداع ودون داع. على محياها، تلك الابتسامة الفارغة كالتي على وجه متحدث بالهاتف، كل هذه أسلحة حريك، عدم ثقتك بنفسك.

أتابعك خلال هذا البون الشاسع، منذ نصف ساعة وعيني على الباب، إذ كنا سنلتقي قبل نصف ساعة. ارتبكت، هكذا دائما، ترتبكين في الأماكن حيث لقب زوجك غير معروف، لكن أعلم، لن تذهبي، ستنتظرين قليلا، فأنت مجبرة، يجب ألا تهتاجي كثيرا إلى هذا الحد، يجب ألا تتبعي حمية قاسية هكذا. انظري، عنقك تفضنّ، وجلد ذراعيك تهدل من الهزال، الشمس، تكشف سريعا الحقيقة الخفية السيئة لهذا الحرير والشامواه -

المصنوع من النايلون - .

عزيزتي سمرا

أعتقد أنك ستصابين بدهشة شديدة، حال تلقيك هذه الرسالة، لقد مضى زمن طويل منذ لم نلتق، أليس كذلك؟ ها قد فعلت، وقمت بالمبادرة، تعالي إلى النادي يوم الثلاثاء الساعة الخامسة والنصف، نشرب شيئاً ونتذكر أيامنا الخوالي.

مع المحبة

إنجي

ملاحظة: ليس مهما، لكن ذلك اليوم هو عيد ميلادي.. ذكرى.

2

- آآآ! مستحيل! هذه صديقتنا نورتان!

لكن في الواقع، تلك المرأة التي دخلت من الباب بخطى خجولة، والتي سألت موظف الاستعلامات شيئاً ما، ثم اتجهت نحو الطاولة هي نورتان! ما الذي حصل؟ لا يمكن تخيل مجيء نورتان إلى هكذا نادي، من ناحية واقعها، مع هذا يجب ألا أظهر ذلك، حمداً لله فواقعها لا يبدو للعيان، ارتدت بشكل لائق، في الواقع، تلك الثنائية من التنورة والجاكيت الكلاسيكية لا تزول موضتها، لا يمكن أن تكون بلوزتها من الحرير، ربما من التفتي ولعلها من الحرير، مدرّمات الأظافر يكسبن كثيراً، يعملن طوال الوقت، مئة ليرة منك، ومئتان مني.

- أهلا بك يا عزيزتي نورتان، من أين خرجت يا بنت؟

- أهلا بك يا أختي سمرا، كيف حالك؟

- تفضلي بالجلوس.

لم تتحرر أبداً من ذلك الشعور بالاضطهاد..

- أين أختي إنجي؟

- وأنت أيضاً كنت ستلتقين بإنجي؟

ارتباك..

- اتصلتُ بالهاتف على المحل منذ بضعة أيام، تركت لي

ملاحظة، إذ كنت ذاهبة إلى منزل إحدى الزينوات، يبدو أنها

قالت لتأتي إلى النادي يوم الثلاثاء حول السادسة.

من الأفضل عدم ذكر موضوع عيد الميلاد لنورتان، ربما..

ربما محمود على صواب، بحجة عيد الميلاد.. أدركت إنجي أنها

ستضيع الفرصة، لكنها قد تأخرت، أسعار المواد في ازدياد،

في السنة الماضية، كان محمود سيعرض طابقيين مقابل القصر،

الآن، لن يستطيع تقديم سوى طابق واحد على الأكثر، ليأتي

استمعت له وأخذت صباراً بدلاً من ذلك الدلبوث، كان حمله

سيكون أسهل، وقدرته على التحمل أشد.

- كم الساعة يا أختي سمرا؟

- تجاوزت السادسة قليلاً، تأخرتُ بسبب زحمة السير، على

أية حال، لنردش قليلاً يا بنت، ماذا تشرين؟

- لست أدري، لأشرب جن - تونيك.

3

في تلك الأثناء، سيظهر النادل ومعه قرح ويسكي وقرح جن -

تونيك. «سمرا هانم؟»، تقول وهي تنظر متفحصة وجهها محاولة

تمييز قرحها:

إنجي هانم اتصلت قبل قليل، يبدو أنها ستأخر قليلاً، ترجو العذرة.

ستقول سمرا: «أوه!» في داخلها.

تبدو نورتان مرتبكة لعدم اعتيادها على مثل هذا الوسط، نساء ثريات بمايوهات أحدث موضوعة يتجولن براحة، متمدات على مقاعد طويلة وقد غطين أحقاءهن بشالات حريرية متعددة الألوان، يصبح حوض السباحة لهن وحدهن، بعد أن يغادره طلاب مدرسة السباحة، يأتين من حين لآخر لينقعن أنفسهن، نورتان تدقق بطلاء أظافرهن، أحدث الألوان الأوروبية، لم تصل بعد إلى المحل،

رائحة ديزل في الجو، البحر، مزيج بلون رمادي.

بينما نورتان ترتشف الجن، ستشعر أن خوفها سيتلاشى قليلا، في تلك اللحظة، سيراود تفكيرها «لماذا دعيتي الأخت إنجي إلى هنا؟».. البحث عن جواب للسؤال، يعني محاولة تذكر الماضي، ستسأل هي أولا: «لماذا؟».

كانت تستقل باخرة «روملي كافايي» مع إنجي، كعك مع الشاي، من نفس الحي، الأخت إنجي تقيم في بيت من طابقين وحديقة على الساحل، (تطلق عليه سمرا ونورتان وغولر وأويا قصرا من باب السخرية)، أما نورتان فتقيم في بيت أشبه بالكوخ، في أعلى طلعة ضيقة جدا.

كلا، ليسوا أطفالا سيئين، البيت حيث يقيمون يعتبر مثالا، في المدخل الحجري البارد، نُعل، وشباشب، في غرفة الجلوس دواوين، ومراتب، لبت البيت كان أوسع قليلا، وبغرفة إضافية أخرى، ستأثره حزينه وأرائك غرفة الضيوف مجللة بأغطية بيضاء، على الصوان صور للعائلة بإطارات فضية، وعلى المذيع غطاء مطرز، معظمهم عائلات حرفيين وموظفين.

بعد كل ذلك لماذا لا أثور عندما أعلم أن زجاج بيتنا لا يُكسر سواه، أو يقطف أحد ما أزهار الحديقة، في الواقع، كان البيت ينهار شيئاً فشيئاً، بعنا البيانو الذي أملكه، وهكذا صرت أذهب لتعليم دروس البيانو في البيوت، كُنَّ محقّات، أي أن جواب «لماذا؟» ليس كل هذا، ربما بعض من أجوبته.

4

- تلك الأخت غولر، أليس كذلك؟
- أجل غولر، تقول سمرا.
- مازالت لم تتجاوز حيرتها لوصول الويسكي والجن قبل طلبها. تتجه غولر نحو الطاولة مهرولة:
- مرحبا سمرا، مرحبا نورتان، أين إنجي؟ ألمّا تأتِ؟
- يبدو أنها ستتأخر، اتصلت بالهاتف، أخبرنا النادل.
- أرجو الله أن يكون الأمر مجرد تأخير، وألا يكون لسبب آخر.
- ماذا تقصدين أخت غولر؟ تقول نورتان، وقد خفق قلبها قليلا.
- غولر كعادتها دائما، إما أن تردي بنطال جينز أو ساريا هنديا، لا حل وسط، لكنها دائما بوقار معلمة صارمة، لا تتغير أبدا:
- لا أدري إن كان من الصواب أن أخبركن، في الواقع، إنجي بوضع صحي خطير.
- مستحيل! تشهق نورتان، ما بها؟
- شيء كالورم، ما زلنا لا نعلم بشكل قطعي، كانت ستحصل على النتيجة هذا الأسبوع، كما قالت في رسالتها..

تتسى سمرا فجأة جديدة الموقف:

- هه، هل كنتما تتراسلان؟

- في الحقيقة، لا مجال للمزاح في مثل هذه المواضيع، تقول غولر بصوت قاس، نحن صديقات منذ سنوات طويلة، أقصد ماذا سيغيّر كون مليح زوج إنجي السابق؟

- عزيزتي قلت هذا كي ألطف هذا الجو الثقيل. تقول سمرا

وقد احمرّ وجهها: بالمناسبة كيف مليح؟

- بخير، لتسلمي، والسيد محمود؟

- هو أيضا بخير، لو علم أنك هنا لبعث سلامه، تعلمين يحبك

كثيرا. تقول استرضاء لغولر.

- مليح وأنا يحزننا حال إنجي. تقول غولر: لقد انتشر هذا

المرض كثيرا، فكروا علاوة على ذلك ضيق الحال، الأدوية باهظة الثمن جدا، بالتأكيد إذا لزم الأمر مليح وأنا ..

- سمعت أنها اكتفت بغرفة واحدة من القصر. تقول نورتان:

ويقال إنها توجر بقية الغرف للطلاب، لم تسنح لي الفرصة كي أسأل عن حالها، مع أن لي في الماضي ..

- لو استمعت في الماضي لما قاله محمود لما وقعت الآن في

هذه الشدة، وا أسفا والله. تقول سمرا: وفي تلك اللحظة يتبلور

لديها «لماذا؟»: لماذا هنا؟ لماذا ثلاثتنا؟ في الواقع، محمود قد

أصر كثيرا، بعث معارفه السماسرة، بعد أن كرر على مسامعها

ما سيقدمون لها من اقتراحات حول البيت ومن أسعار مختلفة،

لكن كل ذلك لصالح إنجي ..

الكل عيونهن على ساعاتهن، لكن لا أحد ينهض، لا ترغب ولا

واحدة أن تكون أول من تغادر.

5

في تلك الأثناء سيأتي النادل، سيجدد مشروبك، واحد جن، واحد ويسكي وواحد كونياك، ما تشعرن من تراخ في التوترا، هو من تأثير المشروب، لكنه سيحيي من جديد ما بينكن من ضفائن صغيرة، في ركن لم تُتَسَّ..

أشعلُ سيجارة أخرى، وأنا أنظر إليكن، لا تتوقفن عن التفكير بشكوككن بصمت، ردود أفعالكن ستتفجر بعد نصف ساعة، هكذا عايرته، من هذا الصمت المؤقت، نورتان على سبيل المثال، تفكر بوصولها متأخرة إلى البيت، عليها إعداد الطعام، كما أن النادل يجدد المشروب باستمرار، ستقول لنفسها، كم ليرة يكلف الطلب الواحد هنا يا ترى؟ لكن إنجي لن تدعنا ندفع الحساب. في الماضي قُتِرَتِ على نفسك يا نورتان للخلاص من الفقر، كنت على صواب إلى درجة ما، لكن انظري، ما زلت تجمعين المال، لن تصرفيه يوما ما أبدا، صرف المال في نظرك يعني الموت ببطء.

«في الحقيقة إنجي امرأة لطيفة جدا،» ستقول غولر: «انظرن، تملك ذاكرة جيدة لتتذكر المشروب المفضل لكل واحدة منا.»

«أجل» ستقول سمرا، «فذة.»

«حتى وهي تعاني من ضيق الحال» ستقول نورتان.

تضاء أنوار الجسر..

في داخلكن رغم كل ذلك، ومن حين لآخر.. دفء الإنسان. عيشي حياتك يا غولر، هذا المساء، على الأقل، بعيدا عن ضجيج مكان العمل وضوت الآلة الطابعة، انظري كم هي هادئة

جدا ساعة المساء هذه، ألا تعطيك الإحساس بالاستقلالية والحرية؟ لا تكذبي، عيشي ساعة المساء تلك أولا قبل الركوض إلى البيت والاختناق بالمقالي والسلطات، على أية حال تخشين موتي، لذلك لن تهضي من مكانك قبل مجيئي.

يغمر داخلي إحساس قريب من الشفقة، أمضيت أجمل أيام صباك بالغيرة مني، أردت إثارة غيرتي بعدما اتخذت قراري بالانفصال عن مليح والعيش وحدي، تصديت بلا مبرر، لما أشاعة المعارف عن علاقتي بمليح بأني «سكرتيرة تغوي مديرها» رغم الاحترام الظاهري بيننا، حتى ذلك الوقت، لم تتورعي عن هدم مظهر المعلمة الجدية الصارمة، تقلبت بين امرأة عاملة بالبنطال الجينز وبين أنثى غاوية بتتورة طويلة، لم تتأخري بإنجاب طفل، لكنني لم أكن أريد طفلا، لعلك عانيت كثيرا، ربما تعللين سبب كل مشكلات زواجك وركوده وفتوره، إلى أن مليح مازال عاشقا لي، أنت لا تعرفين مليح جيدا.. أقصد، لو ما كنت أنت، لوجد واحدة أخرى سواك. هذا المساء، وهذه الحقيقة التي بانّت على السطح ببطء، تجرحك بعمق، لأن مفتاح الحل عندك؛ تعلمين أنني مريضة، وبلا مال، إذا متُّ فالكراهية التي تحييك لن تبقى، ستدور الدائرة على رأسك، وسيبقى طفلك وحيدا، ما أقوله، دعك من التفكير، استرخي قليلا، وإذا لم تخني ذاكرتي، فمشروبك المفضل، ذاك الكونياك اشربيه.

ربما بدأ ذلك في صبيحة يوم مضى، شعرت بالبرد حال استيقاظي، مر كهواء أيلولى بارد عابر، نسمة حادة مقشعة. على الفور شرعت بالبحث عن سترتي الصوفية السوداء،

نبشت أدراج الخزانة، ليست موجودة، فتشت بين الملابس الشتوية المنثورة فوق السرير، الكنزات، والتنانير، جميعها كانت قديمة، أكثر من عشر سنوات، حينذاك فكرت أنني منذ عشر سنوات لم أشتري أو أقدم أو أهدي نفسي شيئاً، أما أسوأ ما في الأمر، أنني لم أقتني أبداً سترة صوفية سوداء. عماذا كنت أبحث؟ أفرغت كل الرسائل القديمة والصور الفوتوغرافية فوق السرير: ها هو كل ماضيّ معروض أمام عيني، كان خطّي يشبه خط أمي المتوفاة، شاهدتكن جميعكن من جديد في الصور القديمة.

رائحة ما التقطها أنفي، كلا، ليست رائحة النفطالين لتجدد حنيني إلى بيت أمي، كانت رائحة لاذعة، مدمعة، واصطناعية، تجولت في أرجاء البيت لمعرفة مصدر انبعاثها، بحثت في خزائن الثياب وخزائن المطبخ، لم أجد ولا حتى جيفة فأر، فكرت أنها ربما تنبعث من جسمي.

في تلك الأثناء قُرع الباب، سمسار عقارات جديد، حاول ثانية تغيير رأبي للتخلي عن البيت مردداً ما كرره محمود على مسامعي من أقوال، من الحكمة إعطاء البيت لمتعهد بناء والانتقال إلى شقة فاخرة، فالحديقة مهملة، وصيانة البيوت القديمة أصبحت مكلفة جداً.

بعدما تخلصت منه، فكرت بأنها ليست فرط رائحة منبعثة من المدينة، لا بد أنها متعلقة بي وبجسمي، لماذا لا أكون؟ ألا يمكن أن أكون قد تعفنت مع هذه المدينة الهرمة لسنوات، وقد أصبحت مع مرور الوقت، غريبة عن شوارعها، وأزقتها الخلفية، وأهلها، وغرفها، وحاناتها، وسينماتها، وقططها، وبحرها، وعنكن؟ لا أظن أبداً أن الورم قاتل يا عزيزتي غولر، وكيف لا أعتقد

أن عيد ميلادي سيعطيني الأمل بالعيش سنة أخرى يا أثيرتي
سمرا، لكن يكفي أن اليوم عيد ميلادي حقيقة.

«ماذا يفعل المرء إذا ما بقي له بضعة أيام من عمره؟» حينما
يراود ذهني هذا السؤال أتذكر أويا، فبعدها قلبت البيت رأسا
على عقب، شرعت بمسح الغبار عن بعض الكتب، أويا تدير
العالم من مكتبها جوار الموقدة، وأكثر ما في الأمر من غرابة
أيضا، أنها تقنع القراء بذلك، رواية بلا روح لأناس بأرواح،
تجسد أويا الجريئة شخوص القصة ببراعة محكمة، وتحلل
بأفكارها أحداثا لم تشهدا أبدا، وتنقلها عن لسان من يموت
من أجل مبدئه، وإذا ما سألتها: «ماذا يفعل المرء الذي لم يبق
من عمره سوى بضعة أيام؟»، أجابت: عليه أن يكمل ما عليه
إنجازه. انظري هذا صواب، «كلما اقترب الانسان من الموت،
قلبه بالمشاعر الإنسانية يمتلئ ويفيض بالخير»، كانت تقول: كم
هو مضحك!

ربما أنا مثلكن أيضا، لأنني لم أرتكب هفوات صغيرة، ولم أسلب
ولا واحدة منكن أي شيء، لم أكشف عن مشاعري الحقيقية،
لأنني لم أستتر بسترتي الصوفية السوداء غير الموجودة، لذلك
كنت أشتم تلك الرائحة، لأبرئ عجزتي هذا، قررت العيش لبعض
من الوقت، كان القلم والورقة على مقربة مني:

عزيزتي أويا

أعتقد أنك ستصابين بدهشة شديدة، حال تلقيك هذه
الرسالة، لقد مضى زمن طويل منذ لم نلتقي، أليس كذلك؟ ها
قد فعلت، وقمت بالمبادرة، تعالي إلى النادي يوم الثلاثاء بحدود
الساعة السابعة، نشرب شيئا ونتذكر أيامنا الخوالي.

مع المحبة

إنجي

ملاحظة: ليس مهما لكن أريد إهداءك قصة لست مطلة عليها، ستصبح قصة بمشاركتك أيضا .

6

- من المحتمل أنها لن تأتي، هلاً قمنا؟ قالت سمرا، سأوصلكن إلى بيوتكن.

الانصراف بأسرع ما يمكن، خير وسيلة للخلاص..

- هلاً انتظرنا قليلاً؟ قالت نورتان، لعلها تريد إخبارنا شيئاً

ما، برأيي..

- برأيي لو نناقش الموضوع بالتفصيل، قبل مجيئها . قالت

غولر: ماذا يمكن أن يكون؟ لو نتحدث بصراحة، لنبدأ الحديث

عن الرسائل التي تسلمناها .

7

في تلك اللحظة تماماً ستدخلين يا أوياء، السابعة إلا ربعا .

«آآآ! مستحيل! أليست تلك صديقتنا أوياء؟» ستقول غولر.

عائشة كولین
AYŞE KULİN
1941

ولدت في إستانبول، تخرجت عام 1961 في معهد الآداب، تابعت دراسة التربية الاجتماعية في لندن (1962 - 1964)، عملت مراسلة صحافية للعديد من الصحف وكاتبة في العديد من المجالات، كما عملت مخرجة مسرح ومخرجة فنية وكاتبة سيناريو في التلفزيون والسينما والإعلانات، وحوّلت العديد من أعمالها إلى مسلسلات تلفزيونية وأفلام سينمائية.

أعمالها في مجال القصة القصيرة: أدر وجهك نحو الشمس (1984)، صور «فوتوصباح» (1996)، الزمان الواسع (1998)، كان يا ما كان (2007).

وفي مجال الرواية والسيرة الروائية: طلعة جميلة (1996)، اسمها آيلين (1997)، سيفدالينكا «الوجد» (1999)، فوريا (2000)، الجسر (2001)، اللهاث (2002)، أصوات الليل (2004)، ذات يوم (2005)، الوداع (2007)، الأمل (2008)، توركان (2009)، مسافر اللحظات السرية (2011)، كتاب بورا (2012)، العودة (2013).

وفي مجال السيرة الذاتية والشعر والأبحاث والمقالة وقصص الأطفال: داخلي كوردة حمراء (2002)، إلى أبي (2002)، زهرة الثلج (2004)، حكايا الجدة (2008)، جدار حجري ونافذة مشرعة (2009)، حياة - أربعون سنة من منظاري -1941-1964 (2011)، حزن - أربعون سنة من منظاري -1964-1983 (2011).

نالَت عام 1986 جائزة وزارة الثقافة عن سيناريو الفيلم السينمائي «الدمية المكسورة» عن قصتها «غوليزار» التي صدرت عام 1984 ضمن مجموعتها القصصية «أدر وجهك نحو الشمس».

ونالت عام 1989 جائزة رابطة كتّاب المسرح والتلفزيون كأفضل مخرجة فنية عن مسلسلها التلفزيوني «الأياشي» ومستأجروه».

ونالت عام 1996 جائزة خلدون تانر للقصة القصيرة عن قصتها «صور فوتوصباح».

ونالت عام 1997 جائزة سعيد فائق للقصة القصيرة عن قصتها «صور فوتوصباح» للمرة الثانية.

حصلت على لقب كاتبة العام 1997 عن روايتها في السيرة «اسمها آيلين».

وحصلت روايتها «سيفدالينكا» على لقب كتاب العام 1999، وسيفدالينكا كلمة باللغة البوسنية تعني الوجد، والرواية تتحدث عن مأساة حرب البوسنة.

ونالت عام 2007 جائزة اتحاد كتّاب تركيا للرواية عن روايتها «الوداع».

ونالت عام 2008 جائزة المجلس الأوروبي لأفضل كتاب عن روايتها «اللاهث».

تبرعت بحقوق تأليف كتابها «سيفدالينكا» لصالح الأطفال ضحايا حرب البوسنة.

وتبرعت بحقوق تأليف كتابها «زهرة الثلج» لمشروع حماية «زهرة الثلج».

وتبرعت بحقوق تأليف كتابها «حكايا الجدة» لمشروع دار حضانة اليونسيف.

صور «فوتوصباح»⁽³⁾

إلى أسين أ

بيانو

لم يجد جميل داعيا حتى للمس مفاتيح البيانو، قال: «من الناحية الفنية، لا يساوي فلسا واحدا، إطاره من الخشب، تعلمين أن إطار البيانو، أصبح منذ العام 1910، معدنيا، وحتى لو دُوِّزَنَ، لن يجدي معه نفعا»، كان البيانو بغطائه الخرب وتقرُّش إطاره الخشبي، يبدو كامرأة عجوز تكشفت للعيان بألبستها الداخلية، «لكنه قطعة أثاث نفيسة» أضاف، «لكن إن كنتِ محظوظة، فقد يأخذه أحد الأثرياء المستحدثين الراغبين باقتناء بيانو في منازلهم»، فكَّر لحظة، «كلا»، قال، «حتى هم لن يأخذوه، يفضلون البيانو «جراند».

«إن لم يُدفع به، تبرعي به لصالة احتفالات».

«بل لا يُوضع حتى في حمامات صالة الاحتفالات، لقد انتهت

صلاحيته»، قال جميل.

جدتي من أمي أيضا انتهت صلاحيتها، قالت أمينة في داخلها، لكنها مازالت تعيش بكامل كبرياتها وأحلامها ودوحة عائلتها، كم

(3) إستوديو تصوير مشهور، افتتح في شارع البي أوغلو نهاية الدولة العثمانية وحتى سبعينيات القرن الماضي، كانت عائلات إستانبول العريقة تحرص على اقتناء صور فوتوغرافية لأفرادها من هذا الإستوديو (المترجم).

كان قدرا الجدة والبيانو متشابهين، رغم فقدان عينيها لتألقهما، لكنهما مازالتا تحتفظان بلونيهما وأهدابهما، في حين كان غطاء البيانو المخملي قد بهت لونه وتلف، كلاهما من الزمان الماضي، استنزفا وعانيا حتى وصلا إلى هذا الزمان الحاضر. الجدة والبيانو، رحلا قبل نصف قرن، من قصر بحديقة مشرفة على البحر في «بيازيت»، إلى شقة مطلة على جامع «تشفيكية» في «نيشانناشي»، وأصبحا بعد اثنين وخمسين عاما على عتبة رحيل آخر، لكن هذه المرة، طريقهما مفترقان، ولن يستطيعا بعدئذ أن يتبادلا شجونهما، كانا حزينين.

كانا حزينين عند رحيلهما إلى هذا البيت أيضا، كانت الجدة قد فقدت زوجها حديثا، وبيع قصرهم حيث ولدت ونشأت، وجاءت مع والدها المسن، وأمها، وابنتها، والبيانو خاصتها إلى هذه الشقة مستأجرين، كانت ستعيش أول مرة في بيت مستأجر، وستعرف ماذا يعني الترمّل ومرارة ضيق الحال.

لم تلمس مفاتيح البيانو لما يقرب من سنة مطلقا، ولم تحتلم البيوت والغرف، لكن الزمن كان علاجا لكل المعاناة، كان ينتظر الجدة حياة مختلفة في أربعينات عمرها في «نيشانناشي»، تنزل إلى «بي أوغلو» في الترامواي الأحمر، معتمرة قبعتها ذات التول الذي يغطي عينيها، وقفازات الدانتيل تحفّ يديها، تحتسي الشاي عند «ماركيز» و«لويون» تعزف «La Vie En Rose» في ليالي الجمع، تنتزه في الصباح الندي بفساتينها الحريريّة الهفافة حتى «تاشليك»، تدير أحاديث ودية في مقهى «تاشليك».. ترحل إلى الجزيرة في أشهر حزيران/ يونيو بحقائبها الأنيقة المغلفة، تردّ بتهديب عروض الأصدقاء لزواج لائق، وفي نهايات أيام

الحياة الرغيدة ليأتي بعد ذلك تتهد حزين على البيانو لنغمات «مازوركاس» و«نوكتورنيوس» «إمبرومبتوس».. أيتها الحياة كم أنت مترعة بالأشجان والأفراح..

وبعد اثنين وخمسين عاما كاملة، رحيل جديد للجدة والبيانو، البيت الذي دخلته الجدة وهي امرأة شابة، تفاديه وهي في الثانية والتسعين من عمرها، بسبب التضخم الاقتصادي وخسارة دعوتها لدى محكمة البداية.

«صديقي لثمانين عاما كاملة»، قالت الجدة عن البيانو، «أحضر إلى القصر وأنا في الصف العاشر، كما أحضر الوالد مدام سيدوني وكتاب باير الضخم للنوتة الموسيقية، منذ ذلك اليوم لم نفترق أبدا».

أمضت المرأة العجوز والبيانو اثنين وثمانين عاما معا، ووصلا في النهاية إلى مفترق طرق.

تنقلت لفترة طويلة، يدا الجدة النحيلة ذاتا العروق كجذور النباتات، على مفاتيح البيانو التي أصبحت كأسنان حصان مصفرة لثتها ملتبهة، ليصدر أصواتا أشبه بحشجة مريض مصاب بانتفاخ الرئة، بدلا من الألحان المتناغمة. أمينة، انتظرت عبثا ما اعتادت سماعه من ألحان حاملة. البيانو بصوته النشاز، أصبح يعزف لحن قصة حياة كسيرة حول صاحبتة والبيت الذي أمضى فيه خمسين عاما من عمره.

عايش البيت مناسبات ولادات وخطوبات وأفراح ومآتم، كان يتسع لكل قادم كالمنفاخ، ثم يعود ثانية إلى حجمه الذاتي، القادم ذهب، والمليت دُفن، لكن الجدة بقيت دوما، جلست دائما أمام البيانو خاصتها وبثته أشجانها.

عندما قالت أمينة «لن يكسبوا الدعوى، القانون إلى جانب المستأجر»، «كان إلى جانبه»، أجابها المحامي، «ما عاد الآن كذلك، أصبحت الإجراءات تحتسب ببدل المثل».

لم يكن سهلاً إقناع الجدة أنه ما عاد ممكناً بقاؤها في الشقة، كانت المرأة العجوز تستفسر عما بيع من قصور وكروم وبساتين في السنوات الماضية، وما كانت قادرة أبداً على فهم كيف أن دخل عشرات الأملاك لا تسد أجر شقة واحدة، عندما أدركت أمينة أنها غير قادرة على إيصال معنى التضخم الاقتصادي، كتمت عن التوضيح المنطقي، «انظري يا جديتي» قالت، «تقيمين وحدك في بيت يتألف من ثماني غرف، الغرف واسعة، والبيت بارد كالثلج، ولا قدرة لنا على دفع بدل الوقود الكبير لتدفئته، أصبحت فاطمة هانم عاجزة، ويصعب عليها القيام بشؤون هذا البيت الواسع، عليك أن ترحلي إما عند أمي أو عندي...».

«لن أذهب إلى أي مكان»، قطعت الجدة كلامها، «أنا هنا منذ خمسين عاماً، على أية حال، لم يبقَ من عمري سوى أيام معدودة، قد أعيش سنة أخرى وقد لا أعيش»، عرضت أمينة هذه الحجّة على صاحب البيت كمخدر لخمسّة أعوام مضت، بعد ما كان الرجل يقتنع بمنطقية هذه الحجّة، ما عاد يتقبلها، مات مستأجر في الطابق الرابع بنوبة قلبية، والجار المواجه لإصابته بالسرطان، وفتاة شابة في الطابق الأسفل بحادث سير، لكن الجدة لا تموت، كانت كالقلاع القديمة، كانت تُرى من بعيد، من أمام بنك العمل، بشعرها المعقود فوق رأسها، من نافذتها في الزاوية.

«نافذة الزاوية هذه، هي كل عالمي»، قالت الجدة، «أتريدان

أن أراقب النجوم في بيت أمك؟ لا قدر الله». «إذن ارحلي عندي»، قالت أمينة، «بيتي يطل على الشارع، تجلسين أمام النافذة وتتابعين الغادي والداني». «إلى تلك الشقة الخراب؟». «جدتي!».

«لا يوجد سوى حمام واحد في بيتك، لا يمكنني استعمال مكان يستعمله الآخرون».

«الخيار لك، إما حمام خاص، أو نافذة مسلية»، قالت أمينة. «لن يخرجني من هذا البيت سوى الموت»، قالت الجدة، «إن كانت إدارة ثلاثة بيوت مكلفة، فالأجدر أن ترحلا كلتاكما عندي، بيتي الأوسع والأجمل، إما أن تبيعا شقتيكما القبيحتين، أو توّجراهما، أقيما هنا، فهذا البيت يتسع لنا جميعا، كما كان يسعنا دائما». «انظري يا عزيزتي»، قالت أمينة بصوت منك، «لقد بعنا كل شيء كي نبقيك هنا، رغم كل الأيادي التي تهب ما في جيوبنا، فقد أبقيناك هنا». «يد من؟».

«يد التضخم، يد النظام، يد الدولة يا جدتي». «أنا لا أفهم هذا الكلام، لكنني قلت لك مئة مرة، الحياة صعبة بلا رجل، بأسوأ الظروف، عودي إلى زوجك سواء كان سيئا أو حسنا».

«لقد تزوج منذ وقت طويل».

«آآآ»، قالت الجدة بصوت محبط، «من أي العائلات تلك الفتاة التي تزوجها؟». «من يشيل تشام».

«لم أسمع بهذه العائلة أبداً، لعلها من عائلة إلي يشيل؟». هزّت رأسها بامتعاض خلف حفيدتها التي خرجت من الغرفة، «لا أهرم الله خلقه يا فاطمة هانم»، قالت عن تجربة، «حتى إنهم لا يجيبون، انظري!».

خسروا الدعوى في نهاية نوفمبر، ارتفع بدل الإيجار إلى أربعة أمثاله، في ديسمبر، أرسل صاحب البيت تبليفا بقيمة الإيجار الجديد بالإضافة إلى بدل إيجار ستة أشهر بأثر رجعي. اختارت الجدة الرحيل إلى شقة الملحق لابنتها، وقفت أمينة في صالة بيت المرأة العجوز وتأملتتها، أطقم الجلوس الإمبراطورية، والثريات، وصور العائلة الكبيرة المؤطرة، ولا سيما البيانو الذي لا مكان يتسع له، اتصلت هاتفيا ببائع أنتيكا في «هورهور»، حدّرها جميل، «بريك كوني حذرة، فبائعو العتيق سينهبون بيتكم»، قال، كان جميل يدعو بائعي الأنتيكا ببائعي العتيق، بائعو العتيق كغريان الجيف تطايروا فوق الأثاث، أخذوا كل شيء وذهبوا، لم يبق سوى لوحات العائلة وصديق الجدة لثمانين عاما، لم تعط أمينة البيانو لأي من كان.

بدأت أصوات أذان الظهر في جامع «تشفيكية»، «لقد حان الوقت، هيا دعينا نذهب، تأبطي ذراعي لنذهب» قالت أمينة، تقدّمت الجدة نحو باب الصالة الخالية، تأملت البيانو المصنوع من خشب الورد في وسط الغرفة، بدا البيانو كامرأة جميلة سمراء، هُجرت من حبيبها؛ فاتنة ورشيقة ومفعمة بالحزن.

على كرسي البيانو المخملي، كانت تجلس صبية في العاشرة من عمرها، جُمع شعرها الأشقر بشريط، وتورتها بكشاكش، وحذاؤها طويل بأزرار.

«صديقك العزيز، لن أعطيه إلا لمن أثق بمعرفته لقدّره، هذا وعد يا جدتي»، قالت أمينة، تهتدت الجدة، ظنّت الحفيذة أنها ستبكي.

لم تبك الجدة، تغضن وجهها فقط للحظة كمن تذوق حبة خوخ حامضة جدا، ثم استدارت وما عادت تنظر إلى الخلف؛ وكأسد أصيل وعجوز يغادر عرينه، خرجت من الصالة بكبرياء، وبينما كانت تعبر للمرة الأخيرة، باب البيت حيث أمضت اثني وخمسين عاما، وهي تتأبط ذراع حفيدتها، ترنّحت قليلا، ليس سوى ذلك.

أطياف الليل

تقبّلت الجدة دون تذمر، السرير الذي أعدّها لها في غرفة التلفزيون في البيت الذي انتقلت إليه حديثا، وتظاهرت بمتابعة التلفزيون طوال النهار. في بداية الأمر، لم تظهر مشاعرها سعيًا وراء بصيص أمل، في الشقة الملحق حيث لا يرى سوى الأسطح والمداخن والسحب، وإن كانت تفتقد نافذتها في الزاوية وحركة المازة المكتظة، لكن، عندما رأت أن سريرها النحاسي قد أحضر إلى الغرفة ووضع مكان السرير المؤقت، أدركت أن الوضع ليس مؤقتا، ظنّت أن حفيدتها تخدعها بالقول، سأعيد دهان البيت، ستزعجك رائحة الدهان، اصبري قليلا لنرى.

في حين كانت تدرك جيدا ما يدور حولها، كانت هي أيضا تلعب نفس اللعبة معهم منذ سنوات، لم تسأل عن لوحات «شوكت داغ» و«المعلم علي رضا» التي أنزلت عن الجدران، ولا عن أواني العاشوراء التي اختفت، ولا عن إيرادات الأملاك في «بيكوز»،

بعد أربعينيات عمرها، بيع كل ما أمكن بسبب ضيق الحال، لذلك كانت تفضل تجاهل كل شيء، كانوا يظنون أنها لا تلاحظ شيئاً على اعتبار أنها ثقيلة السمع، اعتبروها خرفة، هي أيضاً ما عادت تبالي، منذ بضع سنوات وهي في حالة تقلب، ما عادت كالسابق، تغضب لعدم استشارتها في كل الأمور ولانقطاع أبناء حفيدتها عن مراسلتها، ما عادت تشعر بالأسى لعدم مجيء أحد إلى البيت، كانت حبيسة صور العائلة التي لا تشاهد سواها على الحائط، عند بدء إقامتها في البيت، علقت في غرفتها، صور أمها وأبيها وزوجها، لم يبقَ حولها سواهم والعصافير التي تحط أمامها على النافذة.

في البدايات، تحسّرت كثيراً لبقائها وحيدة مع العصافير والسحب، في بيتها القديم حيث أمضت عمرها، أقله، كان يطرق بابها من يوم إلى آخر، وجوه حميمة كبائع الخضار والبقال والبواب، وتتابع العالم من نافذتها في الزاوية، كان أكثر ما يحزنها خلال نافذتها، الأطفال المحرومون من أمهاتهم. في الواقع، ما كان شيئاً مهماً ما تتابعه من النافذة، لكنها ما كانت تخبر ابنتها وحفيدتها بذلك أبداً، أصبحت طوال عمرها، شريكة لهموم الأطفال، وعانت من غنجهم، وأعطتهم بسخاء كل ما تملك، أما هم، فيظنون أن أمهاتهم مجرد آلة تتنفس وتأكل وتنام فحسب، ما يعينهم مأكلا ومشربها وعلاجاتها فقط، في حين هم كانوا مثقلين بهموم الدنيا، ولا طاقة ولا وقت لديهم لسماعها، يضعون أمامها فيتاميناتها وطعامها ثلاث مرات في اليوم، يمشطون شعرها مكابدة كل صباح ويخرجونها إلى الشرفة لتتنشق الهواء، ثم يجلسونها أمام التلفزيون، مشاهد

تمر سريعا يتركونها إثرها وحيدة ويذهبون، ما كان أحد معنيا بمشاعرها ووحدتها أو بمقاسمتها الأحداث التي تمر بالعائلة، وبخاصة حين طلاق حفيدتها، فقد اعتبرت خارج الدائرة، لم تجد من أحد أي تفهم، وتركت وحيدة تعاني الأسى والعار من أول طلاق يحدث في العائلة، ما يعنيه السلوى لأنفسهم فقط، غير عابئين بجيل من البشر غير معتاد على التساهل في مثل هذه الأمور، هي الآن أيضا تموه الحقيقة، وكأنها هكذا تنتقم من ابنتها وحفيدتها، في الحقيقة، كلتاها كانتا حزينتين لأنهما حرماها من نافذتها في الزاوية التي يظنّان أنها متعة حياتها الوحيدة.

في الواقع، أطياف الليل كانت متعة الجدة منذ مدة طويلة؛ ومنذ رحيلها إلى بيت ابنتها، ما يشاركها صباحاتها من أصدقائها الجدد، العصافير، أطلقت أسماء على الطيور ذوات الأجنحة الشيباء والبيضاء والرمادية التي تتطاير فوق فتات الخبز، «ربيل» ما أطلقتها من اسم على الطير السمين ذي اللون الضارب للحمرة، «شاكرا» كان اسم الطير ذي الجناحين الأبيضين تيمنًا بصديقها ذي الشعر الأشيب، كانت الطيور متعتها خلال النهار، فهي تنتمي إلى النهار.

كانت الجدة تمضي النهار مع العصافير، لكن لأمسياتها كان انشغال آخر؛ تنتظر غروب الشمس لتفرغ شوقها إلى التحدث، كان زوجها يقفز من الإطار المطلي بالذهب والمعلق فوق سريرها، يجلس على طرف سريرها، الضابط الأكثر وسامة في العالم ببيزته العسكرية الخاصة بالاحتفالات والمزدانة بالأوشحة المطهمة، سيفه على وسطه، وقبعته الفرائية مائلة على حاجبه

الأيسر، لم يبقَ سواه تبثه أشجانها، كانت الجدة تحدثه بكل ما يختلج في عقلها وقلبها حتى الصباح، كان زوجها بيزته العسكرية اللائقة جدا، يصفي لها بوقار وصمت لساعات دون مقاطعتها فيما ترويه، قبيل الصباح، كان يعود إلى مكانه على الحائط بهدوء، حينئذ، كانت الجدة تلقي برأسها على الوسادة، وتغمض عينيها متهيئة ليوم جديد، وقبيل إغنائها، كانت تشعر بقشعريرة وهي تتذكر سماع ما تتخيله من وقع أقدام على حجارة الحديدية في عتمة الليل قبل آلاف السنين.

الحياة كانت انتظارا طويلا، إما الخروج في حملة عسكرية، وإما العودة من حملة عسكرية. الحب كان انتظارا طويلا، الشباب كان انتظارا طويلا، الحبيب يبعث رسائل من الجبهة، في طيها صورة، وتبقى اللقاءات غير ممكنة، سماع وقع الأقدام على حجارة الحديدية، كان الأمل باللقاء، رجل شاب يخرج من الإطار ويأخذها بين ذراعيه، خفقات قلب تطرق مسامعها، إحساس بالإجهاد، تيارات تتدفق، موجات عاتية تضرب الساحل، أنهار تجري في داخلها؛ وفي كل مرة كحلْم لا يكتمل، ولذة مذاق لا تدوم..

تخيَّلت اللقاءات والعشق طويلا، كصور قديمة تداخل فيها الحلم بالحقيقة، حتى هي، ما عادت تميز بين الواقع واللاواقع، العشق ما كان ذلك أم ماذا؟

الفصول تتقلب، فكانت رائحة الليلك المنعشة تختلط برائحة زهرة العسل لتزكم أنف الجدة، وبينما كانت أخبار انتهاء الحرب تنتشر في كل مكان، كانت الجدة تتابع بقلب وجل، الجنود الزائرين للجيران وهم يحملون في أيديهم رزما صفراء، فيؤدِّعون

بالدموع، لم يُحضر أحدُ قرص الهوية الرصاصي ملفوفاً برزمة صفراء، إلى القصر، شاب محارب جريح من كعب قدمه، عاد إلى الجدة من الحرب.

بعد كل لقاء، فراق جديد كان ينتظر الجدة، إن لم يكن الرائد الطبيب في الجبهة، يكون في المستشفيات النائية، وإن لم يكن في حضن زوجته، يكون في المناوبات، كانت الحياة هكذا، آمال ما كانت تتحقق، كانت الجدة تعبر من البعد العاطفي للحياة إلى بعدها المادي، تبدد الوقت بالتول والحريير والماس، توعد للخدم بإعداد وصفات طعام من المجلات الأوروبية، كانت تهتم بابنتها، إذا ما سمح لها وقتها، بعد الاهتمام بشؤون كبار البيت ومربياته، وبينما كان التقاعد المبكر، سيؤدي إلى ما تصبو إليه من حياة دائمة التواصل..

عندما بدأت الأزهار بالتفتح والخفق في نهاية ذات نيسان، جاء الموت كقطعة لصة بصمت.. اتخذت صورة الرائد الطبيب في إطارها الضخم والمطلي بالذهب، موقعها الأخير على الحائط. كان الرائد يجلس على طرف سرير الجدة، لكنه في هذه المرة، ما كان يصغي لزوجته، كان يمسك يديها بلطف، ثم يأخذها بين ذراعيه ويضمها إلى صدره، يدفن رأسه في عنقها ويقبل مؤخر عنقها وشعرها، كانت الجدة في ذهول، تترك نفسها في المياه المنعشة المائجة كمثلها قبل آلاف السنين ذهاباً بين الحقيقة والخيال، كانت طيور النهار بأجنحتها الشيباء والبيضاء والرمادية والأرجوانية تنتظر الجدة على حافة النافذة.

الموت

المشهد العظيم لنساء عصر مضى..

والموت ریح في حدائق الصيف خرقاء..

حملوا جدتي على ملاءة أمسكوها من طرفيها ومشوا بها في الردهة، «توقفوا ستوجعونها»، استدركت صياحي ذلك بعد وقت، البدين من بين الرجال استدار وحدّق بي مندهشاً، أحنيت رأسي، كانت جدتي ترتدي ما ألبستها منذ يومين، منامتها المورّدة القطنية وجوارب التنس البيضاء خاصتي، كان ينكشف من ياقة منامتها قميصها الساتان الداخلي الوردي، تلك آخر نظرة لي على جدتي وعلى قميصها الداخلي. جدتي، أكثر من أحببت في سنوات طفولتي، وأكثر ما كرهت نقاشها الدائم في سنوات مراهقتي، وفي آخر عشر سنوات لم أقف إلى جوارها أكثر من خمس دقائق عند الضرورة. كانت تذهب بمنامتها الموردة، وقميصها الداخلي، بدبايس شعرها، تتأرجح محمولة على ملاءة كمحففة، من غربيين، تروي حكايات زمان قرن مضى، نصفها نسج خيال، ونصفها الثاني حقيقة مغطاة، قصورها، شاليهاتها، جدها الباشا، والدها الوزير، أمها من بنات بلاط السلطان، ذكريات تسبب لي الدوار، لكنها تتماشى معها بقيمتها الخاصة، لم أستطع أن أعيش ولم أستطع أن أفهم أنني حفيدتها الأكثر ما أحببت في الدنيا، ولم أبادلها نفس القدر من الحب، ما يجعلني أشعر بالخجل وأحس بالندم رغم معرفتي بفوات الأوان. كنت أتابع هذه المسيرة الأخيرة بعواطف جياشة، ظننت في لحظة إذا ما بالغت في الرعاية، فقد أكفر عن لامبالاتي في السنوات الماضية.

لم تكن جدتي تريد شيئاً سوى الاهتمام، سواء مني أو من غيري، لم تكن عبئاً من الناحية المادية على أحد. في الواقع، نحن -أبناءها- من استهلك أموالها، كل ما تملك من بيوت وقصور وأراض، وكل ما يوجد في بيتها من قطع نفيسة ولوحات ومجوهرات، بعناه لنصرف على رعايتها وعلى أنفسنا أيضاً، لم تسأل الحساب أبداً، ولم تتذمر على الإطلاق، لكن مشاداتها لم تنته أبداً، لم تكفّ عن طلب ما لم نستطع تقديمه لها، وقتنا، لو طلبت شيئاً آخر، كم كان أكثر يسراً، كم هو مؤسف أن أمي وأنا وأبنائي، جميعنا كنا غجرا أنانيين، كنا على استعداد لإعطاء كل شيء فيما عدا وقتنا وذاتنا، لفترة اهتمام واحدة، ما كنا على استعداد لاقتطاعها من وقتنا الخاص ولو للحظة واحدة.

مع مرور الزمن، أصبح بيننا فجوة كهافية عميقة يستحيل تجاوزها، هي كانت تنتمي لعالم، ونحن ننتهي لعالم آخر، لم أستطع إدراك أن لعالمها خصائص وقيماً مختلفة عن عالمنا، إلا حين كانت تُنقل في ملاءتها من قبل رجال لا أعرفهم، كم كان شائناً هذا التأخر بالإدراك..

متى كرهتها أول مرة؟ عند ولادة ابني بعينيه السوداوين وشعره الأسود، أصرّت على استحالة أن يكون الوليد الأسمر من عائلتنا، وسيطر عليها وقوع خطأ في المستشفى وعلى ضرورة إجراء مسائلة وتدقيق.

الناس المعتبرون في عين جدتي، يكونون ذوي بشرة بيضاء، تحتقر كل ذي بشرة داكنة، عند ولادتي لطفل أسمر، دفعني تقصّيها عن وجود دماء عجزية في عروقه للجنون، وعشت لبعض الوقت رغبة عميقة للانتقام من هذا الجرح البليغ، أدخلتُ طفلاً

أسمر إلى عائلة جدتي ببياض الشركس، آه! جدتي، كمثلها في مواجهة كل حدث، تبني آلية دفاع خاصة وتتقذ موقفها، اختلط الأمر في قسم الأطفال، كان خطأنا إذ لم نتحقق من الأمر، لكن ما دام لا رجعة بالأمر، فالطفل الأسمر من نصيبنا، وسينشأ بالتأكيد، نشأة ابن عائلة نبيلة، على أية حال، فقد كانت تقاطيع وجهه متناسقة وغمّازاته جميلة.

رياح شديدة كانت تهب نحوي، بينما كانت جدتي تمضي قدما في الممر بين الرجلين، وقد تأنقت خلال هذا الإعصار في تول حريري وقطيفة مطبّعة ومشابك مطهمة بالماس وخواتم مطهمة بالياقوت وأمشاط من العاج وعربات تجرها خيول ربيلة وخدم ووصيفات وحدائق بعرائش وقصور من الأخشاب.

أم لعلّي نفرت منها من خلال تلك الحكايات التي أطلعتني عليها، وأدركت أنني ليس بمقدوري أن أعيشها أبداً؟ هاهي الآن، ببشرتها ناصعة البياض وجسدها المتغضن، بمنامتها القطنية غير المكوية، تعبر للمرة الأخيرة، من الممر الطويل والضيق والكريه لشقة خرسانية والمغايرة لقصر الأخشاب حيث وُلدت.

باستثناء قضاء العطل الصيفية في قصر الأخشاب في الجزيرة، عشت طفولتي في غرفة كغرف هذه الشقق السكنية الخرسانية، في حين، أسقف القصور كانت مزدانة بالجص وعالية جدا، أصبحت أسقف الشقق بلا زخرف وتخفض كما أبعاد الغرف تتقلص بالتدرّج. ما آل إلى جدتي من عائلتها من ثريات، قُصرت سلاسلها في بداية الأمر، ثم رُقّيت مقاماتهم من الغرف الضيقة، إلى بيوت أكثر سعة وارتفاعا بعد بيعها

لأناس استبدلوا أماكنهم معنا، كانت جدتي تنتقص بطريقة أو بأخرى من شأن من لديه المقدرة على شراء أشياءنا منّا، بعينيها الخضراوين الحالمتين تلك، عاشت وشاهدت عصرا بكل أبعثه، أما أنا، فمجرد ما سمعت منها، فتتقت وتمنيت وحلمت.

هي، رغم شديد إصرار والدها، فقد أثرت الدراسة على الزواج، في طفولتها، أوليت رعايتها للمربيات ولم تقم بأي عمل طوال عمرها، ولم تفلح حتى بغلي الماء. أنا كافحت مع عقليتها «الفتيات اللاتي لا عمل لهن يذهبن إلى الجامعة»، واجهت الحياة في سن مبكرة، ورعيت أطفالي بنفسي، عملت لسنوات طوال، أطهو طعامي بنفسي بعد عودتي من العمل منهكة، وكنت مجبرة على غسل الأواني.

رغم أنني لم أدخل في أي جزء من أساطير أميراتها، لكنها كانت تنتظرني أن أكون أميرة، في حين، الأميرة هي، وأنا كنت عاملة كادحة. انضمت صور جندي بقبعته الفرائية إلى ما تبقى من جدتي من رسائل عشق مصفرة ومكتوبة باللغة التركية القديمة تدور في الريح أمامها كالمدمومة، كان يشارك في آخر مشهد من عمر ممتع زائل.

«في الصباح، أكون نائمة حينما كان جدك يهم بمغادرة البيت، كان يقبلني من قدمي برقة، كي لا يوقظني، كان يحمل منديلي في جيبه العلوي، كي يشتم رائحتي طوال اليوم».

هل أنقر منها يا ترى لهذا السبب؟

رجال كثر.. عشاق كثر.. أزواج.. لكن لم يكن لدي أحد، لا مقبل لقدمي، ولا راغب بتشمم رائحتي طوال اليوم، أو لعلها تلك كانت غيرة كامنة؟

جدتي في صورها من الورق المقوى والبنية اللون، بشعرها الذهبي المفرد حتى وسطها، وفتحة صدر فستانها التي تكشف مفاتها، كانت تبدو جميلة جدا وبريئة للغاية، كأنها في الحقيقة، ما قُبلت من أي مكان سوى قدميها، حتى يد رجل، لم تمسس لا شفتيها ولا بدنها ولا عنقها، ما عانت ولا عوملت بخشونة، وكأنها لم تضاجع، بل حتى المضاجعة لم تحلم بها، هل حقا كانت كذلك، يا ترى، حتى استطاعت المحافظة على شفافية بشرتها حتى هذا العمر؟

على جيلي الذي يتعرض لعشرات التصرفات المهينة، أن يطالب بالمساءلة، حصلنا على نصيبنا من المحبة بأبعادها الجنسية، بدا الرجل والمرأة كغريمين على حلبة صراع الديكة، وتجردنا ليظهر كل منا قوته أمام الآخر، دعكم من أقدامنا، والدهشة من مقبلي شفاهنا على عجل.. سوف نضطر لانتظار عصور متقدمة، كي نستطيع العثور على محبة عطوفة ورقيقة، وكي نستطيع عيش عشق رقيق المشاعر.

«اهتمت دائما بالعناية ببشرتي، كان لنا مظلات تقينا أشعة الشمس، في عصرنا، ما كانت السيدات يخرجن للتنزه في الجزيرة من دون مظلة»، كانت تقول جدتي، في حين، مظلاتي كانت لحمايتي من أمطار إستانبول القذرة، السخامية والسوداء الدبقة، وأثناء الانتظار في طوابير سيارات الأجرة، كانت تتقلب معكوسة عند هبوب رياح شديدة، وتتكسر.

وصلت جدتي إلى نهاية الممر، وبعد مغادرتها هذا البيت، لم تترك لي سوى ركن منعزل من هذا العالم الفضل، كنت سأتابع حياتي في غرف الشقق الخرسانية العابقة برائحة الفحم، مع

مظلاتي المنكفئة بسبب الريح، من دون دانتيل ولا حرير، ومع ما تبقى لي منها من بضعة مشابك ماسية قديمة وخاتم بحجر وحيد، ومع أوهامي بأني متميزة وذات نسب.

وهذه المرة، أوهام خادعة تنشط في زوايا أحلامي قسرا لكن من دون جدتي، من سيروي لي مرآت ومرآت، ما عدت قادرة على عيش ذلك الحلم الرائع أبدا؟

وصل الرجال إلى نهاية الممر، دخلوا غرفة المدخل الصغيرة، قبالة الباب، رأيت وجهي في المرآة المطلية بالذهب، كان شاحبا. الموت، يبدو أنه يلمس برفق أحد الموجودين هنا، وقفت أمام الباب الخارجي، كانت جدتي ذاهبة، هذه المرة، لم تكن تتعل حذاءها من جلد الثعبان، ولم تكن حقيبتها ذات المقبضين من جلد التمساح على ذراعها، لم تشبك شعرها خلف رأسها بمشابكها الصغيرة، ولم تضع لا أحمر شفاه ولا مساحيق تجميل، لم تقلد خاتمها الماسي في إصبعها، ولا مشبكها ذا سلة الزهور على ياقتها.

أردت إيقاف الرجال عند الباب، وأخذت من الملاءة، أحضنها وأضمتها إلى صدري، أسرد لها كلمات محبة لم أستطع قولها لها لسنوات عديدة، وأبثها آلاف المشاعر التي أحملها لها. «هيا، افتحي الباب»، قال أحد الرجال، فتحت، خرجوا، لم أستطع قول كلمة واحدة، كان هذا وداعا بلا مراسم، صامتا جافا وبلا روح.

في حين، كان هناك مراسم لا أعلم من أعدها، ساز رقيق، كان يعزف أغنية إستانبولية قديمة تهواها جدتي. «خيم على الفيافي حزن رقيق».

فسي خضم رياح العاصفة الغامضة تلك، كانت تتطاير مناديل
بكشاكش وإسطوانات جرامافون وصور «فوتوصباح».
ما عشته، وما سمعته، وما تعرفت عليه من الصور، وما
استطاع خيالي تصوره.. ألوان، وعطور، ومجسمات، وذكريات
عائدة لجدتي تدحرج على وجنتي على شكل قطرات دمع دافئة،
أغلقتُ الباب، توقفت الموسيقى والرياح، انتهت المراسم.

1995

تَزْرَ أَوْزْلُو
TEZER ÖZLÜ
1986 - 1943

ولدت في كوتاهيا، تلقت تعليمها في المدرسة النمساوية
للبنات في إستانبول، جالت أوروبا «أوتوستوب» بين عامي 1962
و1963.

عملت مترجمة، ولعبت عددا من الأدوار على خشبة مسرح
الفن في أنقرا، أمضت ما بين الأعوام 1967 - 1972 في
العديد من المصحات النفسية في إستانبول، غادرت عام 1981
إلى برلين ثم ذهبت إلى زيوريخ حيث توفيت هناك بعد إصابتها
بالسرطان.

تحمل أعمالها شواهد من حياتها من خلال شخوص مطوقين
بمشاعر الوحدة والرغبة بالانتحار والموت، لكنهم يقاومون من
أجل الصداقة والحب.

جمعت ما نُشر لها من قصص في المجلات منذ العام 1963،
وأصدرت أولى مجموعاتها القصصية بعنوان «الحديقة القديمة».
نشرت عام 1980 أولى رواياتها «الليالي الباردة» وهي
مستوحاة من مراحل طفولتها ومرضاها، كتبت روايتها الثانية

«في أعقاب انتحار» بالألمانية، وبعد فوز تلك الرواية بجائزة «ماربورج» الألمانية عام 1983، أعادت كتابتها بالتركية عام 1984 بعنوان «رحلة على هامش الحياة».

بعد وفاتها، نشرت لها أختها عام 1987 مجموعتها القصصية القديمة إضافة إلى ما لم ينشر منها بعنوان «الحديقة القديمة - المحبة القديمة»، كما قامت عام 1990 بجمع يومياتها ومقالاتها وترجمة ما كان منه بالألمانية في كتاب بعنوان «البواقي»، ثم نشرت لها عام 1995 رسائلها إلى الكاتبة «ليلي أربيل» بعنوان «رسائل من تَزْر أوزلو إلى ليلي أربيل»، بالإضافة إلى سيناريو بعنوان «أحياء خارج الزمن» صدر عام 2000.

إبراهيم الميكانيكي ونُزله ذو الحديقة

ما أحببت حي «شيرين إفلر» في إستانبول، منذ عرفته، أبداً، هناك شاهدت إبراهيم للمرة الأولى، كان يصلح محرك عربة اشترت بسعر بخس، كان مفعماً بالحوية، شعره أسود، وما كان مهذاراً. في الواقع، أطراه الجميع بعد أن تمت خطوبته.

- رجل عاقل، قالوا.

- لكن المرأة، زوجته لا تترك لأحد مجالاً للحديث، وتخرس إبراهيم كلما فتح فمه.

الطفل، يثب حول العربة فوق النجيل.

- عربة أبي، بابا بابا.

عمل إبراهيم طويلاً على إصلاح المحرك.

لماذا فكرت بالذهاب إلى «شيرين إفلر»، في ذلك اليوم الصيفي

الحار؟ هل أردت رؤية إبراهيم؟

أم لم يكن لدي ما أعمله، فذهبت مع الذاهبين؟

كان يوم سبت.

ربما أردت الذهاب لأبدو أمام سوم واقعيًا وكي لا أكون بعيداً

عنها.

كان إبراهيم يركز على عصا، ازداد طولاً، ونحُل قليلاً، كان قادراً

على التجوُّل في البيت وهو يجرساقه المعتلة، ما عاد لون شعره أسود

كما كان ذات صيف مضى، ذوى ذلك الرجل قليل الكلام، بخوف شديد، بخوف شديد .

- هوه هوه هوه، شرع بالبكاء عندما رأنا .

- اسكت اسكت، قالت سوم .

- ستصطحبك لرؤية ابنك .

- هذه المرأة تضربني بتلك العصا، قال إبراهيم .

- هااا، تدعي أنني أضريك، أساعدك على الاغتسال، وأعتني

بك يا ناكر الجميل، يا ناكر المعروف .

- تضربني، لا تريدني، يخرجون ويتزهون .

- لقد تطلقنا منذ وقت طويل، قالت المرأة .

- لم تستطيعي الذهاب فأتيت من أجل ابنك .

- أووووه، لديكم أطقم كنب وخزائن ومناضد زينة، وأرائك

وسجاجيد، وكل شيء، من جلب كل ذلك، ومن شيّد هذا البيت،

وبمال من؟ تسأل سوم وهي تتجول في البيت .

- أنا اشترت كل ذلك، لكنني الآن أهمل وأترك وحيدا .. حاول

إبراهيم أن يقول .

- هوه هوه هوه ..

باكيا بشكل متقطع .

لم يمض وقت طويل حتى ملأ صراخ الطفل أرجاء البيت، كان في

الحادية عشرة من عمره .

- أكان يبكي من أجل أبيه؟

- سيأتي ابنكم، قالت سوم ثانية .

غادرناهم وهم على هذه الحال، تركناهم لتتزل العصي على

رأسه، قد تكون آخر أيامه الجميلة، ابنه إلى جانبه، وزوجته إلى

جانبه حتى لو تشاجرا .

لم يكن بينهما وإبراهيم أية علاقة مودة البتة .

البيت يطل على طريق جميل، مؤلف من طابقين بالإضافة إلى ملحق علوي، تحيط به حديقة، بعد صعود الدرج والدخول إلى دار رعاية المسنين، تتقطع العلاقة بمظهره الخارجي .

طاردت سوم الذباب . كانت الغرفة قذرة جدا، زجاج النوافذ، وكل الأرجاء قذرة جدا، ولا شيء سوى سريرين، خزانة صغيرة إلى جانب سرير إبراهيم عليها طعام جفّ وعلبة سجائر .

إبراهيم مستلق على السرير وعلى يمينه ويساره كرسيان، الشرشف متسخ حتى اسود لونه من شدة توسخه، ومنامته أيضا .
تفضن وجهه، وشعره أصبح كتلة بيضاء، وطالت لحيته، قدماه صغيرتان، طالت أظافره فبدت كمنقار الغراب، لم أعتقد أن حاله ستدهور خلال سنتين إلى هذا الحد، حتى كدت لا أستطيع التعرف عليه .

- هوه هوه هوه .. شرع بالبكاء .

- اسكت، سنذهب إذا لم تتوقف عن البكاء، قالت سوم موبخة .

- هه هه هه .. ضحك كمن يبكي ..

في الواقع، كنا ننوي ترك بعض الطعام إلى جانبه ونصرف سريعا .

ممددة بزواية هذا الجدار، جثة نزيل قد توفي أمام ناظريه منذ الصباح، لا يمكنه الاستدارة، كي لا يرى الميت، ولا يرى على الجدار سوى القذارة، ولا عمل لديه سوى النباش في الطعام بلا توقف، وعلى نحو دائم، كان ذلك إبراهيم الذي يستعرض في مخيلته مسيرة حياته .. فقد حاسة الشم بسبب العيش في النتانة .

صعدنا طابقاً آخر.

- لعل الملاحق أكثر أنسا، جال في ذهنها.

كانت سوم تسير في المقدمة، اتجهت نحو النوافذ وفتحتها، وألقت كل ما يوجد إلى جانب السرير من طعام، بينما كنا نتراجع خارج الغرفة هرباً، كان معتما ورطباً ككهف، لا يرى شيء عبر نافذته، كان إبراهيم وحده، صعد إلى الطابق الأعلى لنتانة رائحة الطابق حيث يوجد، سرير حديدي بلا مرتبة قبالته، لا شيء عليه ولا حتى جثة، هنا، لا شيء سوى جدران قذرة، حشرات وذباب، ومشعات تدفئة لا تدفئ، ورائحة نتنة، جلسنا إلى جوار النافذة المفتوحة، بعيداً عنه، كان الجو شتاءً، كان متدثراً بغطاء قطني رقيق.

- هوه هوه هوه.. أجهش بالبكاء.

- الحمام يتطاير كل لحظة ولا أستطيع النوم ليلاً، كيف ستستمر تلك الحال، وكيف سأحتمل خمس عشرة سنة أخرى، الفئران تقفز من فوقي، أصطادهم في الليل من أذناهم.

- يلفق، قالت سوم بهدوء.

ما دام الرجل قال إنه يصطاد الفئران في الليل من أذناها، فذلك يعني أنه يصطادها فعلاً،

جحظت عيناه، وجالت حدقاتها يمنة ويسارة، لم نستطع الاقتراب منه ولا حتى لإشعال سيجارته.

- هوه هوه هوه.. كان وجهه يستطيل وشفته تترعشان، عندما

كان يبكي.

- ها ها ها، هه هه هه.. كانت شفته تتحرفان جانباً، كان يبكي

ويتحدث، كان يضحك وكأنه يبكي..

1971

بينار كور PINAR KUR 1945

ولدت في بورصا، درست المرحلة الابتدائية في عدد من مدن الأناضول ثم في لندن، أكملت المرحلة الثانوية في نيويورك، وبدأت دراستها العليا في نيويورك وأكملتها في إستانبول، أمضت أربع سنوات في باريس قدمت خلالها أطروحة الدكتوراه في جامعة السوربون بعنوان «الواقع والوهم في مسرح القرن العشرين». بعد عودتها إلى تركيا، عملت كاتبة دراما في المسرح القومي في أنقرا خلال الأعوام (1971 - 1973)، ثم انتقلت إلى إستانبول لتعلم أستاذة في قسم آداب اللغات الأجنبية في جامعة إستانبول.

تعمل حاليا أستاذة في جامعة بيلغي في إستانبول. بدأت حياتها الأدبية عام 1971 بنشر المقالات والقصص والنقد المسرحي في العديد من الصحف والمجلات، كما أولت الترجمة اهتماما خاصا، وكتبت للتلفزيون وحول العديد من أعمالها للسينما والتلفزيون.

تناولت في قصصها صراع الفرد النفسي المطوق بالوحدة والقنوط وخيبة الأمل، والتزمت بتمرده على واقعه.

أعمالها في مجال الرواية: غدا.. غدا (1976)، الممثل المسرحي الصغير (1977)، امرأة للشنق (1979)، عشق لا ينتهي (1986)، رواية جريمة (1989)، الخريف الأخير (1992)، الخماسية (2004) (كتبها بالاشتراك مع أربعة كتّاب آخرين)، كلية الجريمة (2006).

وفي مجال القصة القصيرة: شجرة مجنونة (1981)، مياه لا تجري (1983)، حكايات الأشباح (2004).

ولها في الترجمة أيضا حتى الآن ستة عشر عملا في مجال القصة والرواية والمسرح العالمي.

نالَت عام 1983 جائزة سعيد فائق للقصة القصيرة عن مجموعتها القصصية «مياه لا تجري»، والتي اختيرت منها قصتها ضمن هذه المجموعة القصصية.

ومنحت جائزة الشرف في مجال القصة القصيرة في معرض الكتاب في أنقرا لعام 2013.

مسافر لرحلة قصيرة

في الماضي، كنت أستيقظ الساعة السادسة، ثم أصبحت أستيقظ في السادسة وعشر دقائق، ثم صرت أستيقظ في السادسة وعشرين دقيقة، رغم أنني تمكنت من اختصار فترة تحضيراتي الصباحية، لكن لا يمكنني القول بأنني أطلت فترة نومي، مدة نومي ليست بيدي وإن أطلتها مكرها باختصار مدة تحضيراتي، فأنا لم أكن قادرا على فتح عيني صباحا بأي شكل. في البداية، وحين أدركت أن لا أحد يلاحظ عدم حلاقتي ذقني ليوم أو يومين، بتّ أحلق ذقني في المساء بشكل منتظم قبل النوم، ثم أصبحت أحلقها مرة واحدة كل ثلاثة أيام، وإذا ما استطعت الخلاص من عادة احتساء الشاي قبل الخروج من البيت، فلن يبقى هناك أي مبرر لحلاقة ذقني في المساء، ولن أكون مضطرا للاستيقاظ قبل السادسة والنصف.

أستقل حافلة السابعة كل صباح، لكن عليّ أن أكون في الموقف أبكر من ذلك، وأنتظر في الطابور، كي أجد مكانا شاغرا للجلوس، سكان حينًا مجبرون على الانطلاق في السابعة على أكثر تأخير، حافلات الصباح تكون مزدحمة، لكن بعد وصول حافلات الطابرين خفّت معاناتنا، ولكن مع هذا ..

رغم مرور سنوات طويلة، لكنني لم أعتد أبداً على عتمة الصباح الباكر.. ولا على النهوض ومغادرة فراش دافئ في غرفة باردة عند الفجر وقبل بزوغ الشمس، فكلما يرن المنبه في الشتاء، أسأل نفسي. وأنا أحاول فتح عيني، إن كنت قد أخطأت ضبطه. حالما أنهض، أضع الشاي المعدّ من المساء على الغاز، أرتدي ملابسني على عجل، أقضي حاجتي في المراض مستخدماً قنينة ماء بردت خلال الليل، لكنها لم تصل إلى حالة التجمد، أحسسي الشاي، أنتعل حذائي، أتأكد من إطفاء الغاز للمرة الأخيرة قبيل خروجي من البيت، أصل إلى موقف الحافلات، أصعد الحافلة وأبحث عن مكان شاغر، لأنطلق في رحلتي مع الزحام المتعب رغم أن الوقت مازال مبكراً، كل ذلك يحدث وكأنني أعيش في وسط الليل. بعدئذ، وإذا لم يكن الجو مطراً أو غائماً، يتوضّح النهار رويداً رويداً، ويبدأ ضياء الشمس بالبزوغ، عندئذ، نكون قد أصبحنا في محيط «شيشلي» أو ربما قد وصلنا إلى «تكسيم»، فنصبح قادرين على تمييز واجهات المحال، مع هذا، فرؤية ضياء الشمس الساطعة، أمر مختلف.

رؤية ضياء الشمس الساطعة، أو على وجه الدقة، لا بد من انتظار الربيع، للنهوض مع ضياء الشمس الساطعة، الذي بمقدوركم ملاحظته، وإن كان قصيراً قبل حلول الصيف، عند رنين جرس المنبه في صباحات الصيف، تكون الشمس قد أشرقت وطلع النهار منذ وقت طويل. من المؤكد، أن الأمور في الصيف أكثر يسراً، في كثير من الأحيان، لا أشعر بحاجة إلى مواصلة النوم، قد يصدف أحياناً وليس غالباً، أن أستيقظ قبل المنبه، حالما ينبج الصباح، هناك شعور بالراحة أثناء التحضير

وارتداء الملابس دون لسعة من برد أو ارتعاش، عندما يخرج المرء إلى الشارع ويرى تألق ما حوله، ينخدع ويتأهب لأخذ نفس عميق، لكن يجب ألا تنخدع، يجب ألا يفرّر بنا الضياء، حتى وإن كان الوقت مازال مبكرا، حتى وإن كانت الروائح لم تتبعث بعد، فهو سمٌّ، هذا الهواء الذي نستشقه.

رغم أنني قلت إن الأمور في الصيف أكثر يسرا، لكني، لست أدري مدى صواب هذه المقولة! قد تكون صحيحة بالنسبة للاستيقاظ في العتمة، والمصحوب بالإحساس بالبرد، لكن ارتفاع درجات الحرارة صعب الاحتمال أيضا، وبخاصة مساء عند العودة إلى البيت، فلا تجد ماء ينعشك لغسل وجهك، فعدد ساعات انقطاع المياه عن حيننا يزداد صيفا، الانتظار الطويل لركوب حافلات أيام الأحاد، أكثر الأيام ازدحاما مقارنة بأيام الأسبوع الأخرى، على أمل العثور على متر مربع واحد على شاطئ البحر، لكن أمسيات الصيف التي لا تنتهي ولا يتبدد ضياؤها، هي الأصعب، كيف تملأ ساعات الضياء الطويلة هذه؟ في الشتاء تحلّ العتمة مبكرا، فيستطيع المرء اللجوء إلى الفراش مبكرا.

في الواقع، الصيف والشتاء سيّان، أن يكون الجو حارا أو باردا، أن يحلّ الظلام مبكرا أو متأخرا، فهذه ليست بأوجه خلاف أساسية، قد تتقلب الفصول وتتغير لكن، إذا كان نمط الحياة لا يتغير، فما هذه الحياة؟

لا تتغير في حياتي أبدا، سواء طلع ضوء النهار، أو امتدّ ظلام الليل، أدخل مدينة إستانبول من مشارف «لفنت»، أصل حتى وسط المدينة، أستقل الحافلة من أحد الموقفين الاثني المكتوبين

على لوحة الحافلة، وأنزل عند الآخر، أفعل الشيء نفسه عند العودة مساءً، معظم الركاب لا يواصلون رحلة المدينة الداخلية للحافلة من بدايتها حتى نهايتها، البعض يصعد من وسط الطريق وينزل أيضا قبل نهاية الرحلة، أنا أوصل حتى النهاية.

حيث أصعد، يُعتبر داخل الحدود الرسمية لبلدية إستانبول، لكنها تحاكي بلدة ريفية نائية، رغم مجاورتها إستانبول، أنشئت كحي بينائه العشوائي في الماضي، تكاثرت عشوائياته الخاصة به على أطرافه مع مرور الأيام، وربما قبل أن أولد، ثم تطوّر وتوسّع مع الوقت، حتى أصبح بمفرده مدينة صغيرة، تؤوي العاملين في إستانبول غير القادرين على الإقامة فيها..

الطريق الرئيسي الذي يربطنا بإستانبول واسع ومعبد، كالطريق الرئيسي لأي مدينة في الأناضول، تصطف على جانبيه أبنية تتألف من ثلاثة أو أربعة طوابق وتحمل أطيافا متميزة من الفن المعماري الحديث، محال مصطفة جنباً إلى جنب في الطوابق الأرضية للأبنية، بعد قطع من خمس عشرة إلى عشرين دقيقة على هذا الطريق، يصل إلى ضاحية من ضواحي إستانبول الفعلية، هنا الواجهات الخلفية للمصانع، من اختار لها اسمها كان مصيباً: باجاديبلي (قاع المدخنة) مدينة كبيرة تقع بين «باجاديبلي» ومصانع الأدوية، لندخل مدينة حقيقية، جادة واسعة جداً، على جانبيها أبنية عالية تخبرك على الفور بأن قاطنيها ميسورو الحال، كثافة بالسيارات الخاصة، العبور المفاجئ من الضاحية إلى حي راق - هناك موقف بالجوار - قد يُذهل من لا علم له بخصوصية إستانبول، لا بد أن هذه الناحية كانت خارج المدينة عندما أنشئت أولى المصانع، فيما بعد، هل تكاثر

الأغنياء والفقراء بنفس النسبة مع توسع إستانبول وتطورها، فغطت أبنية الميسورين واجهات المصانع الأمامية، بينما ضمت الأحياء الخلفية أبنية رخيصة ومزرية؟

حيث أنزل، يعني في وسط المدينة، هو أقدم ميدان في إستانبول، على الأرجح، لكن لا تسألوني عن اسمه، لأنه لم يعد هناك ميدان، فيما مضى، وربما قبل أن أولد، وربما في سنوات ما بعد ولادتي، رئيس وزراء مشهور حوَّله إلى شارع واسع أنشأه في المنطقة. أسمع في كثير من الأحيان، صاحب عملي الكبير في العمر يتحدث عن جمال الحال القديمة للميدان، لكنني لا أستطيع أن أتخيله، يتحدث عن بركة ماء كبيرة وأشجار كثيفة وأصوات زقزقة العصافير تملأ الأجواء، القطط تمرح بكل حرية في الميدان، لكنني لا أستطيع أن أجسّد كل ذلك في مخيلتي. تقع في ذلك المكان، كلية الحقوق التي أوقفت دراستي فيها بعد مضي سنتين من الدراسة، بعدما لم يتبقّ على ترفيعي من السنة الثانية إلى الثالثة سوى بضع مواد. منذ فترة وأنا أفكر بدخول امتحانات ما حملته من مواد، وأحاول الدراسة من كتبي التي مازلت أحتفظ بها، هل سأنجح بمحاولتي يا ترى؟ لست أدري، كل ما أفعله الآن، هو النظر من بعيد إلى البوابة المهيبة للجامعة.

أجل، أنزل هنا في آخر موقف، في الواقع، يجب أن أنزل في الموقف قبل الأخير، لا أنزل هناك، بل أفضل أن أمشي المسافة ما بين الموقفين سيرا على الأقدام، بذلك يكون نزولي مطابقا لما هو مكتوب على الحافلة، وهكذا أستطيع كل يوم، العيش بإحساس نجاحي بالقيام بعملتي من بدايته وحتى نهايته.

تمتد رحلتي الصباحية من ساعة إلى ساعتين، بينما رحلتي المسائية تحتاج من ساعتين إلى ساعتين ونصف، هذا مرتبط بالفصل والأجواء؛ صيفا تكون الشوارع أقل ازدحاما، بينما تتباطأ حركة السير في الأجواء الماطرة والمثلجة، لنقل ساعتين بالمعدل، ذلك يعني أنني أقضي أربع ساعات كل يوم ذهابا وإيابا، أقطع فيها نصف إستانبول من طرفها إلى طرفها الآخر.

تجري إستانبول من حولي كل يوم طوال أربع ساعات، وأنا أجري وسط إستانبول في علبة شفافة، لكن دون أن نتلامس، أنا، كرسالة داخل زجاجة ألقيت في نهر، رغم أنني في النهر، لكنني لست جزءا منه، ورغم وجود أشياء حبيسة داخل الزجاج، لكن النهر لم يشعر بها ولن يشعر، رغم أن النهر يدفعني من مكان إلى آخر، فأنا لا أستطيع أن أحمى عن وجهته التي نسير، كالنهر لا يلمسني، وأنا أيضا لا أستطيع أن ألمسه.

مسار طريق الذهاب كمسار طريق العودة تقريبا، يختلف فقط لمسافة قصيرة في الشوارع الخلفية الضيقة من الحي القديم لـ «بي أوغلو»، على امتداد الطريق، مئات بل آلاف من الأبنية العالية المتلاصقة تعطيني الإحساس بأنني أتقدم وسط واد صخري وعمر، أشجار متفرقة هنا وهناك، على امتداد الطريق محال لا تعد ولا تحصى، لافتات ملونة، كتابات مضيئة، دكاكين بقالة، بائعو خضار، مطاعم صغيرة متواضعة، سُمي بعضها بـ «رستوران» وسُمي البعض الآخر بـ «بيت الطبخ»، مصلحو أحذية، محال لبيع أحذية، صيدليات، ألحفة تخطف البصر بقماشها الأطلس اللامع بألوانها الزرقاء والوردية خلف الواجهات الزجاجية لبائعي الألحفة، محال لبيع ملابس نسائية، محال

لبيع ألبسة رجالية، أطباء أسنان، معارض لبيع أجهزة منزلية كهربائية تعج بثلاجات وغسالات وأفران غاز بألوانها البيضاء كالمستشفيات، وتلفزيونات بشاشات سوداء عمياء، معارض لبيع السيارات والشاحنات، صالونات تجميل للسيدات، صالونات حلاقة للرجال، وخلف الواجهات الزجاجية لبائعي الزهور ألوان ربيعية صناعية لكل الفصول، خياطون، مشاغل للألبسة الجاهزة، مصارف، مقاصف ضيقة تحمل شعارات جعة أجنبية وقد عُلمت على واجهاتها سلال فواكه صفراء وبرتقالية، ملصقات تملأ جدران صالات السينما والمسارح، أكشاك لبيع الجرائد، وكالات سياحة وسفر، أطباء نسائية، محال لبيع ألبسة أطفال، بائعو ألعاب، بائعو مفروشات مبهرجة لا تثير الإحساس بعش الزوجية، بائعو مهلبية، بائعو معجنات، بائعو حلويات، واجهات زجاجية مليئة بكتابات بلغة أجنبية لبائعي قطع غيار وسلع مبهم كنهها، محطات وقود، معاهد مهنية، قنصليات، واجهات زجاجية صغيرة تعرض ملابس نسائية مثيرة كما في الأفلام، محال لبيع الأجهزة الرياضية، بائعو ستائر، بائعو لوحات أرقام السيارات، بائعو مشروبات روحية، دكاكين فارغة للإيجار، بائعو مجوهرات، مكاتب عقارية، مطاعم كباب، فنادق، مدارس ابتدائية، محركات سيارات مستعملة، شرفات ممتدة حتى السماء، رافعات مركونة فارغة مجهولة الأحمال، ميكانيكيو سيارات، دوائر حكومية، أفران، بائعو كتب، حمامات، ساونا، نزل، أسواق تحت أرضية، بائعو أقمشة، بائعو تحف، بائعو مخملات، بائعو تذكارات سياحية، بائعو مدافئ، فنيو تمديدات تدفئة مركزية، نجارون، بائعو مرايا، مصورون.. وأيضا بشر، جموع من البشر تتدفق وتعبّر،

منهم من يمشي مسرعا ومنهم من يمشي الهوينى، ينظرون شزرا بعضهم إلى بعض عندما يتصادمون، ومنهم العابرون ضاحكون متأبطون أذرع بعضهم، ومعظمهم وحيدون، متجهمون، على أهبة الاستعداد للشجار، بعضهم شارد ينظر في ذهول، ومنهم غير المبالين في سلبية، فتيات بتأنق غير ملائم يستعرضن أنفسهن بألبسة رخيصة، شباب يترنحون يمنا ويسارة بلا هدف، نساء في منتصف العمر حشرن أنفسهن بمشيدات، مسنون بوجوه مستاءة، وأطفال يواجهون الحياة بغيرسة، ملابسهم وإن كانت ممزقة لكنها ثمينة ومبهرجة.

جميعهم، أراهم جميعا كل يوم، جميعهم يعبرون ويمرون من حولي، حياة بأكملها خارج قوقعتي، تمر وتمضي، أو ربما أنا من أمر وأمضي، لا يلمس بعضنا بعضا.

كل جزء من الحياة التي تجري وتمضي من جوارى، يختلف عن سواه، لكن هل اعتدت عليها، حتى ما عدت أميز اختلاف أجزائها من كثرة الذهاب والإياب؟ غالبا، ما أراه سيلا لا يختلف ولا نهاية له، لا يتوقف حتى لو توقفت الحافلة في مواقفها، لا أميز سوى مكانين فقط، كل ما ألاحظه من لحظة جلوسي على المقعد وحتى وصولي إلى محطتي الأخيرة يبدو لي وكأنني ما إن أجلس حتى أنهض، رغم أنني في منتصف رحلتي، ما استطعت النزول أبدا في منتصف رحلتي، ما أفعله خلال ما يقرب من ثلاث سنوات، هو متابعة ما حولي أثناء عبوري هذا المسار كل يوم. أقول، سأنزل يوما ما في أحد هذه المواقف، كلما اقترب تزداد لهفتي، كأنني تحركت ونهضت، رغم جلوسي في مكاني، وإذا ما كنت واقفا، أنظر من فرجة الباب وأظل واقفا، قلبي

يخفق وحلقي يجف. هيا، أقول لنفسي، هيا، هيا، لكنني لا أجرؤ على النزول، هل هو الخوف من أن أصل متأخرا إلى عملي، هل هو الخوف من أن أضلّ طريقي مساء في مكان بعيد عن بيتي، هل هناك أسباب أخرى أجهلها تدفعني للخوف؟

كان صباحا شتويا عندما رأيت أربع عرائس محلقات جنبا إلى جنب في السماء، في أحد أوسع شوارع المدينة، بالكاد يشعشع فيه ضياء النهار، كان الفرع، أول إحساس شعرت به. في الواقع، عتمة الصباح بحد ذاتها مفرعة، يظن المرء نفسه في عالم خارج الحقيقة، عتمة المساء بمصاييحها الكهربائية ذات الأنوار الصفراء اللماعة كالنجوم، تحمل الدفء إلى النفوس، حتى أثناء هطول الأمطار، أما عتمة الصباح فهي دائما موحشة، فمصاييح الشوارع المضائة صباحا، يضرب ضياؤها إلى اللون الأخضر فتمتص كل النور من حولها بدلا من أن تضيئه، فيبدو ضبابيا، تتقبلون عتمة المساء، فهي بشير بانتهاء يوم حقيقي، مهما كانت أحداثه، لكنه مضى مع ما حملة من متاعب، في حين، عتمة الصباح الضبابية الكريهة والتي على وشك الإعلان عن نهار لم يبدأ بعد، تفصل بينكم وبين حقيقة عالم كسحابة حلم مخيف، بعد أن تستيقظوا وتتلقوا من بيوتكم، من المؤكد أنكم لا تكونون قد أدركتم تلك الحقيقة بوضوح، وهكذا أنا أيضا، فعندما رأيت أربع عرائس محلقات في السماء، لم أندesh من فوري كمن مازال في حلم غير متوقع، ظننت أنني مازلت أحلم، زوجتي أصبحت أربعة، تقطع عليّ طريقي لتقتص مني مرة أخرى، عندئذ أصبت بالفرع.

لا بد أن حركة السير قد تأزمت ثانية، فالحافلة كانت متوقفة، لحسن الحظ أنها توقفت لمدة طويلة، وهكذا فقد ميّزتُ

أن العرائس الأربع مصطفات خلف واجهة زجاجية على امتداد الطابق الثالث من مبنى مرتفع جدا على الرصيف المقابل، وهي ليست سوى دمي بلا روح لعرض الملابس، بعد أن رفعت رأسي قليلا، لاحظت وجود كتابة فوقها مباشرة، لم أتمكن من قراءتها إلا بصعوبة «بيت اللحلاح لفساتين الزفاف»، الأحرف كُتبت باللون الأسود على خلفية بيضاء، لو كان العكس لكان بالإمكان قراءتها بسهولة أكثر في العتمة، بعدما قرأت ما هو مكتوب، تبين لي أن العرائس صناعية، هل صحت من الحلم الذي لم أكمله؟ ذلك ليس بهذا القدر من البساطة..

لم تتقبل زوجتي الزواج بفستان زفاف مستأجر ولا بأي شكل، لم يضحك وجهها ولا لمرة واحدة، لا أثناء عقد الزواج، ولا خلال ركوب سيارة أجرة مزينة حين الذهاب لزيارة مقام «تلي بابا»، ولا في صالة الأفراح بعد الظهر، ولا خلال ركوبنا سيارة الأجرة من جديد قبيل المساء حين الذهاب إلى بيتنا. بعد أن وصلنا البيت، وحن وقت خلع فستان الزفاف شرعت بالنحيب، كنت أظن أنها قد تقبلت الأمر وأدركت عدم قدرتي على شراء فستان زفاف، لقد طفنا لأيام عديدة كل الأسواق ابتداء من بي أوغلو، إلى كابالي تشارشي، إلى سوق مصر، إلى محمود باشا، مضى على ذلك أربع سنوات، لم يكن كل شيء باهظ الثمن مثل هذه الأيام.. رغم ذلك لم تستطع إيجاد فستان زفاف يعجبها وبنفس الوقت يناسب إمكانياتي المادية، النقود التي حصلت عليها من بيع بيت صغير آل من والدي، بعدما أعطيت زوجة أبي حصتها من ثمنه، بالكاد كان كافيا لشراء الخواتم وسوارين، ومصاريف حفل الزفاف، والقسط الأول لما أصرت على شرائه من ثلاجة

وتلفزيون وطقم غرفة ضيوف، لو لم يكفلني صاحب عملي لما كنا لنقدر على شراء متاع البيت، رغم أنني لم أكن قد عملت عنده لمدة طويلة، لكنه لم يرفض توقيع سندات الدين، في هذا الزمان من يساعد من؟ منذ ذلك الوقت وأنا مدين لجميل هذا الرجل، ظل جميل هذا الرجل في عنقي، لم أستطع طلب زيادة راتبي لأربع سنوات، انتهت الأقساط السنة الماضية، مع هذا لم أستطع أن أطلب زيادة راتبي، ما كان ليزيدني قرشاً واحداً علاوة على الزيادة القانونية بدافع وجدانه، بل لعل خشيته من تركي العمل عنده لأعمل براتب أفضل، وربما بدافع الشفقة عليّ لتسيدي طوال ثلاث سنوات ثمن متاع لم أستعمله أكثر من ستة أشهر.

هل كان الزواج بفستان زفاف مستأجر مصدر شؤم كما تقول زوجتي؟ أم بكاؤها أول ليلة حتى الصباح قد جلب سوء الطالع لزواجنا؟ أم كان هناك من تحبه قبل زواجنا؟ لقد تخلت منذ مدة طويلة عن البحث عن جواب لكل تلك الأسئلة، كلما رأيت تلك العرائس المصطفة خلف الواجهة الزجاجية المرتفعة، يعني مرتين كل يوم، أستعيد وأفكر بتلك الأسئلة بلا جواب. في الماضي، كنت ألوم نفسي، كان يجب عليّ شراء فستان زفاف بأية وسيلة! لكنك لم تكن لتستطيع شراء فستان زفاف، ما كان يجب ترك المرأة الشابة وحيدة حتى ساعة متأخرة من الليل، وأحياناً كثيرة أيام السبت والأحد، بحجة السعي لكسب مال أكثر! لكنك تركتها وحيدة، كان يجب إنجاب طفل بأسرع ما يمكن، الحمل ورعاية الطفل، يملأ أن فراغ حياتها فلا تفكر بشخص آخر.

كل ذلك ندمٌ بلا جدوى، رغم أنني كنت أعلم ذلك في حينه، كرر زملائي في العمل وصاحب العمل على مسامعي، هذه النصائح

عشرات المرات في حينه، لكن ألا يدرك العاقل الحقيقة؟ إذا ما فكرت المرأة بالهرب، فستهرب يوما ما، حتى لو عاد زوجها باكرا كل مساء، وحتى لو كان في حضنها طفل، ما دامت ترغب بالهرب، ستهرب، كم شهرا كنت أبلغ من العمر عندما هربت أمي؟

مر على ذلك وقت طويل، ما عدت أحبها ولست حتى غاضبا منها، يبدو أن المحبة قد تبددت على الفور حينما عدت مساء واكتشفت أن أكثر من نصف متاع البيت قد اختفى، لكن الحنق استمر وقتا طويلا، أيقال حب عن المشاعر التي تختفي في مثل تلك اللحظة؟ لا يمكنني الآن أن أدعي المعرفة، أقول لنفسي كلا يا هذا، الحب الذي قرأت عنه في بعض الكتب، ليس باستطاعتك إدراك مشاعره، أمثالك من يتجاوزون تلك الصدمات الشديدة، ربما، لذلك كانت زوجتك تبكي كلما احتضنتها، إلى أن جمعت ما أخذته بالتقسيم قبل انقضاء ستة أشهر، وتركتك إلى رجل آخر، مع أنني اعتبرت عشقا، تلك المشاعر التي اضطرت في داخلي حين فكرت بالزواج منها عندما كنت شابا، ورجوتها أن تقبل بي زوجا لها.. وعندما قررت بيع بيت والدي، كنت عاشقا إلى درجة رمي المرأة التي رعيتي عشرات السنين بحلوها ومرها، إلى الشارع! لم يتبق سوى هذا الحنق، لكنه تجاه نفسي، أحقد على نفسي، ليس بسبب فشلي بالحب، ولكن لطردتي زوجة أبي المسنة من بيتها الخرب، رغم أنني أعطيتها نصف ثمن البيت، ورغم ما قاله صاحب عملنا من أنني أعطيتها أكثر من حقها، وحتى لو أنني حاولت تصديق أقوالهم، فأنا أعلم جيدا أن ما أعطيتها من مال، لن يكفيها لما تبقى لها من سنوات عمرها، لكن

لم يكن بمقدوري عمل شيء آخر، أو كنت أظن في ذلك الوقت، أن لا حل آخر، كنت مصمما على الزواج بآيسيل، أما هي، فلم تكن تفكر أبدا بالإقامة مع امرأة مسنة في بيت أبي الخشبي الآيل للسقوط على الضفة الآسيوية من المدينة، كل ما كانت تفكر به.. خواتم وأساور وأقراط، أحذية وحقائب بألوان متشابهة، ومعاطف بياقات من الفراء الأبيض تشبه ما رآته في أي مما لا أدري من الأفلام السينمائية، وقبعات.. كانت أختها الكبرى وزوجها يعيشان في ظروف أصعب، مهما فعلت لأجلهم لم يكن كافيا، كانت أختها الكبرى تدعوني بأخيها الصغير الوحيد، أما صهرها فكان يقول إنها بمثابة ابنته، كنت أبذل قصارى جهدي لتلبية رغباتهما، لظني أنني غير قادر على العيش دون آيسيل، لو كنت أعلم أن عدم شراء فستان زفاف سيؤدي بي إلى الاعتياد على العيش دونها، قبل مضي ستة أشهر على حفل الزفاف الذي كلفني غاليا، لما انتزعت بيت أبي من زوجة أبي.

فكرت مرات عدة بالنهوض باكرا في يوم عطلة والذهاب إلى الضفة الآسيوية، للبحث عنها عند أقاربها حيث لجأت، لأعرض عليها العودة والإقامة معي ثانية، لكنني لم أجرؤ يوما على النهوض مبكرا في يوم عطلتي الوحيد في الأسبوع، هل لظني أنها لن تأتي بعدما لعنتني أثناء الحدث، أم لرغبتني بالألا تعلم بهروب زوجتي، أم لكلا السببين؟

كانت محقة بالحنق عليّ وشتمي، لم ألتها أبدا، كما أنني ما عدت غاضبا من زوجتي، وإذا ما أحنق على نفسي، فذلك أيضا أحيانا.. يعني، مرتين كل يوم، عند مرور الحافلة من ذلك الموقف، سأنزل يوما ما هناك، حيث العرائس الصناعية تنتظر

دائماً، ما الذي سيحصل إذا ما نزلت؟ لا أعرف على وجه الدقة، هل ستدب الحياة في إحدى هذه الدمى التي فتحت ذراعيها لكل عابر طريق؟ زوجتي التي لم تستطع امتلاك فستان زفاف يوم عرسها، هل ستعود إليّ وقد ارتدته؟ وماذا عني أنا، هل سأفعل كما فعل أبي بأمي وأنجب طفلاً بلا روح؟ هل سينفجر فجأة ما أكظمه وأحاول نسيانه من غضب، فأقتل امرأة غير حقيقية دون إراقة دماء؟

كل ذلك لا يمكن حدوثه، رغم هذا لا بد أنني سأنزل هناك يوماً ما، حتى وإن كنت لا أجرؤ على النزول في الوقت الحالي، يوماً ما..

بعيد جداً هذا الموقف الذي أفكر بالنزول فيه عن الموقف الأول.. من كل الجوانب، ذلك المكان لا يثير في داخلي مشاعر غضب، بل مشاعر حنين، أي حنين؟ لمدة طويلة لم أستطع فهمه، مرة واحدة في اليوم أمرّ من هناك. في المساء عند العودة، شارع ضيق لا أعرف اسمه، بل ربما ليس بشارع بل زقاق باتجاه واحد، على جانبيه مبان عالية متراسة بواجهات سوداء قديمة، لكنها تبدو متينة، مع أنه يبدو استحالة سعة هذا الزقاق لسيارتين إلى جانب بعضيهما، لكنه يضم اثنين من الفنادق الكبيرة المشهورة، وعدداً من الفنادق الصغيرة غير المعروفة.

في طريق العودة، ورغم كل ما أحمله من إرهاق اليوم، أكون في العموم، أشد انتباهاً وقرباً لما يحيط بي، فأسعى لرؤية كل التفاصيل في السيل المتدفق خارج الزجاج، وبخاصة إذا ما تمكنت من إيجاد مكان للجلوس في هذه الحافلة المكتظة، وتحديدًا إذا ما كان قرب النافذة، تختلط الألوان ببعضها في

الأوقات التي نقطع فيها الطريق بسرعة، لكن غالبا ما نتقدم ببطء، في ذلك الوقت، أنشغل بفك الكتابة على اللافتات، وأدقق بالواجهات الزجاجية المجاورة، أراقب الناس المتدافعين عند الباب محاولين ركوب الحافلة في المواقف، وجوه غير مبالية أو وجوه متجهمه، هزيلة متفضنه أو ممتلئة ومشدودة، بشوارب أو بلا شوارب، مسنة، شابة، قبيحة، جميلة، جلفة، عدوانية أو خجولة، كل منها تختلف عن الأخرى، لكن وكأن فيما بينها صلة قرابة، أو ربما هذا ما تراءى لي، حاولت أكثر من مرة الوصول إلى أسباب رابطة القرابة هذه، فكرت طويلا، ولكن بالتأكيد ليس بالبحث عن وجهة نظر علمية، باختصار، حب استطلاع سطحي وعابر، يمضي ما بين موقف الحافلة والموقف الذي يليه، أو ربما خلال أكثر من موقف، إذ لا شيء آخر أفعله. هل الإرهاق هو الطرف المشترك بينهم أم اليأس؟ هل هي محاولة التثبيت بباب الحافلة مهما كلف الأمر، العناد أم الإصرار؟ هل هو اللاوعي الذي خلق بينهم هذه الصلة؟ هل التدافع الحيواني نتيجة للاوعي؟ أم أن ركوب الحافلة يوجب التدافع لتأمين موقع لغرض الذهاب من مكان إلى آخر؟ هل هو الجوع أم ليس سوى تأمين لقمة العيش؟ هل هو العطش أم ليس سوى تأمين جرعة ماء؟ لست أدري، بل لا أستطيع أن أعرف، لم أفكر طويلا في هذا الموضوع، ولا قدرة لي على التفكير بعمق، كل ما أفعله ليس سوى قضاء للوقت، أقضي الوقت بأشياء كثيرة، لكن دائما بالذين في خارج الحافلة، غالبا، لا أنظر البتة إلى الذين داخل الحافلة، في أيام مزاجي، أتأمل الذين في الخارج، في الواقع، الذين في الداخل مثلي، لا جوانب مثيرة للانتباه لديهم، في حين،

توجد أشياء مختلفة في الذين في الخارج، ما هي؟ ذلك أيضا لا أعرفه، هل هي الحرية؟ هم أحرار ما داموا في الخارج يكافحون أمام الباب للعبور إلى الداخل، إذ هناك احتمال بعدم التمكن من الركوب، في الخارج، هل أنظر إليهم شوقا إلى القدرة أن أكون في الخارج ضمن معترك الحياة؟ في بعض الأحيان، يسترعي انتباهي شعر أشقر لفتاة شابة، وأحيانا أخرى عينان خائفتان لمسن، لكن ذلك لا يستمر لفترة طويلة، فعندما تتطلق الحافلة من جديد، تتلاشى صورهم من مخيلتي وأغرق بمتابعة لافتات جديدة وواجهات زجاجية جديدة وأضواء جديدة، ووجوه أناس جدد في المواقف التي تلي، في حين ولفترة طويلة، لم أستطع فهم تعلقي بتلك الواجهة الزجاجية المغبرة المعتمة التي يرشح من كل جوانبها القَدَم والبلى.

الزقاق المذكور، أو الجادة كما يُطلق عليه، ضيق ومعتم، أما رصيف المشاة، فعرضه بالكاد شبران ونصف. عندما نتوقف، يبدو زجاج الحافلة وزجاج واجهات المتاجر وكأنهما متلاصقان.. كان المطر ينهمر، عندما رأيتها مساء، أول مرة -أغلب الظن، كان ذلك بعد مضي عدة أشهر منذ أن شاهدت العرائس في السماء ذات صباح- كان مساء شتويا، تميل زرقته الداكنة إلى السواد، حتى إن قطرات المطر المنسابة على الواجهات الزجاجية غير المضاءة، ما كانت تلمع، تمكّني من رؤية ما رأيت في النور الباهت جدا والمنعكس من داخل المحل، يدعو إلى الدهشة، النافذة القذرة للحافلة، وزجاج الواجهة المغبر من الداخل، وما بينهما من ظلامية المطر، تحول إلى زجاج مغشى سميك، رغم ذلك فقد تمكنت من الرؤية، بيد أنني لم أستطع فهم لماذا ما رأيت كان مدهشا، حتى

جعلني أئب من مكاني، تماما كما حصل معي في صباح الأشباح ذلك، قبل عدة أشهر، وكأني وصلت إلى غايتي، لم أصب بالفرع هذه المرة، كما لم ينتبني شعور بمواصلتي لحلم، لكن قلبي خفق بشدة، مع أن الشيء الذي رأيته، لم أكن قد شاهدته من قبل - أو ربما حسب ظني - ليس سوى متاع بيت عادي.

كانت تلك شماعة ملابس، مصنوعة من خشب الجوز - أو ربما مطلية لتبدو كخشب الجوز - لتعليق الثياب السميكة كالمعاطف والستر المطرية، ثلاثة أشكال رباعية الأضلاع على شكل قطعة بقلادة إلى جانب بعضها، عجرة بنقوش ناعمة على كل زاوية من زوايا المعينات، المجموع عشرة عجلات - أحصيتها أثناء مرور آخر - من المحتمل أنه يطلق عليها اسم آخر، في ذلك المساء، لم أتوقع أن تحمل تلك الشماعة اسما خاصا، على اعتبار أنها من نوع فريد، لم يخطر بذهني مطلقا أنها تحمل اسما خاصا، رغم أنها لم تغب عن ذهني أبدا، بعدما رأيته ذلك المساء، سواء عند ابتعاد الحافلة عن تلك الواجهة الزجاجية المعتمة، أو طوال رحلتي بين المواقف، أو عند وصولي البيت، وأثناء إغلاق باب الشقة بعنف، وأنا أحدث نفسي بصوت مرتفع، متمنيا شراء هذه الشماعة لأعلقها خلف هذا الباب، أو حتى في كل الأمسيات وأنا أحاول دائما أثناء انقطاع المطر، قراءة ما كتب بحروف صغيرة جدا على اللافتة القديمة البالية «الهيفاء للأثاث والمفروشات»، يبدو أنها تحتل اسما خاصا، ذلك ما قاله صاحب العمل، ذات يوم أثناء تناول طعام الغداء.

مكان عملنا صغير، مجموع العاملين فيه لا يزيد على عشرة، تعاقد صاحب العمل مع مورد لطعام الغداء، نجلس سويا كل

يوم ما بين الثانية عشرة والواحدة وبتناول الطعام، يشاركنا هو أيضاً، رجل متواضع، لا نستطيع المغادرة فترة الظهر، فوجبة الطعام بلا مقابل، كما أن ذلك أمر آخر، في واقع الأمر، ما الذي سيحصل لو خرجنا؟ أسوأ قطعة خبز محمص بالجبين، أو شطيرة شاورما لا تحوي سوى لقيمتين من اللحم ستكلفنا الكثير، على أية حال، فالمرء، من حين لآخر، ومع حلول الربيع يرغب بالخروج لاستنشاق نسيم عليل.. أثناء تناول الطعام، يدور بيننا حديث مع صاحب عملنا من القلب إلى القلب، غالباً ما يتحدث هو عن الضغوط التي يتعرض لها، تتجه أعماله يوماً بعد يوم نحو الأسوأ، وأنا الشاهد الأقرب على ذلك. يكدر لتسيير صنعة ورثها عن جده، بآلات تقادمت وتسعة عمال بالإضافة إليّ كمحاسب وكاتب، أمام منافسة مصانع كبيرة تعمل بمئات العمال والآلات الحديثة، لا يستطيع منافستهم بسهولة، كما أنه أحياناً، يسألنا عن همومنا، يُظهر اهتماماً أبويًا، ويقدم نصائح مطولة، أنا لست كثير الكلام، ما كنت أتطرق، في مثل هذه الأحاديث الجماعية، عن زوجي، وهروب زوجتي، باعتبارها أحداثاً عَفَى عليها الزمن، وما عادت حديث الساعة، لكن، لست أدري كيف خطر ببالي التحدث دون مناسبة، عن الشماعة التي شاهدتها في واجهة المتجر، رويت ذات يوم، بانفعال وإسهاب عن رؤيتي لشيء مناسب للتعليق خلف الباب، «هاااا، صحيح»، قال صاحب العمل، بعد أن زال توتره القديم في الأشهر الأخيرة، وهو يمسد كرشه، وينكش بعود ثقاب أسنانه الخلفية، «شماعة تفتح وتغلق، قديماً، في أيام شبابي، كانت موجودة في معظم البيوت..».

في تلك اللحظة، مر في مخيلتي، وعلى نحو مفاجئ، بيت قديم وخيالات من طفولتي، تذكرت الشماعة على الفور، كان في بيت جدتي من أمي، مثل تلك الشماعة خلف الباب، ربما هي نفس الشماعة، لذلك، ما إن رأيتها في الواجهة الزجاجية حتى رسخت في مخيلتي، ويبدو جليا، أنها مازالت تستحوذ على جل تفكيري.

لا يمكنني القول إن كل شيء في بيت جدتي من أمي، قد تجسد جليا أمام ناظري، رغم استعادتي في لحظة لبعض ألوانه وصوره، لكن من الصعب سرد تفاصيله لأحد، وحتى لو حاولت أن أستعيد لنفسي ما رأيته، فقد مر ذلك البيت القديم من مخيلتي كحلم، سرعان ما تلاشى واختفى، إلى حين توقفت الحافلة من جديد، في الموقف الذي أمام ذلك المتجر.

تقترب الحافلة من الموقف، يتوجه نظري من النافذة مع انعطاف الحافلة صعودا من «شيشهانة»، معلنة قرب الوصول، لا أجد أحيانا، مكانا للجلوس بجانب النافذة التي تطل على المتجر، رغم ذلك أبذل قصارى جهدي لأتمكن من رؤية ما في الواجهة الزجاجية من بدايتها وحتى نهايتها، لا أبعد عيني عنها طالما الحافلة تنتظر في الموقف، كأن ما أراه ليس بواجهة بائع عتيق بغبارها وجمود حالها، لقد مضى أكثر من سنتين ولم تُبع تلك الشماعة، وكأنها عينة ليست للبيع، لم تُحرّك من مكانها ولا حتى لمرة واحدة، رغم غرابة عدم حصول أي تغيير في المتجر، لكنني، كنت في كل مرة أمر فيها من هناك، أجد أشياء جديدة في الصفوف الأمامية، لم أكن قد لاحظتها من قبل، في كل مرة عند انطلاق الحافلة من جديد في طريقها المتقلقل، كنت أحمل

معي تفاصيل جديدة من سنوات طفولتي في بيت جدتي من أمي.

الدفء، هو أول وآخر شيء أتذكره دائما من بيت جدتي، ثم أتذكر شيئا فشيئا، تفاصيل ذلك الدفء، المدفأة البورسلان البيضاء الموشاة بالزهور الوردية والعصافير، كنت أظن لفترة من الوقت، أن تلك العصافير قادرة على التغريد، وعندما كانت جدتي تنقل الجمرات من المدفأة إلى منقل كبير الحجم اسودّ نحاسه، كانت تذر فوقها قبضة من السكر، فيتراقص في المنقل لهب أزرق، وتتشرب على الفور في أرجاء الغرفة رائحة زكية، تدمع عيناى وأشعر بحرقة فيهما، وعندما يزول الدمع، يكون لون الجمر قد تحول من الأحمر إلى الأسود. مصابيح عارية بإنارة صفراء فاقعة، أحد تلك المصابيح ينير المتجر من خلف الواجهة، لكن نوره باهت، أما مصابيحنا فكانت تضيء بلمعان ودفء. على الأرض سجاجيد، وعلى الجدران سجاجيد، وسجاجيد على الديوان أيضا، عالم مغطى وملفح، ما كنت أعرف ما هو البرد حتى أخذني أبي واصطحبني إلى بيته.

كانت جدتي تضجعني على ركبتيها، وتروي لي عن أمي مدعية موتها، صندوق من خشب الجوز في الزاوية، تخرج منه أحيانا ملابس بهتت ألوانها، بعضها أبيض وبعضها لمّاع، منها الموشاة أو من الدانتيل، وتريني صورا فوتوغرافية اصفرّ لونها لاحقا أو ربما كانت كذلك عندما سحبت. كانت تنتشر رائحة زكية في أرجاء الغرفة عند فتح الصندوق، لكنها مختلفة عن تلك التي تفوح من المنقل. الصندوق غير مزين ومن دون نقوش، سوى وريقة نفل رباعية نقشت دون عمق بشكل سطحي. خطوط زواياه الأربع

منتظمة إلى الحد الذي تظهر هوس الإنسان بعلم الهندسة. أسطحه الخارجية تلمع كمرآة، وداخله مبطن بالقماش. أنا على قناعة الآن لسبب أو لآخر، من وجوده في مكان ما داخل متجر «الهيفاء للأثاث والمفروشات» الذي عفى عليه الزمن، يوما ما، سأنزل في ذلك الموقف، سأدخل المتجر، وأسأل عن صندوق جدتي، لا شك أن رجلا مسنا وربما بلحية بيضاء سيريني إياه، بل ربما سيفتحه ويخرج من داخله صور أمي المحوّة وألبستها القديمة.. ستفوح في المتجر المغبر رائحة زكية..

رغم يقيني بعدم حدوث ذلك لكنني أحاول إقناع نفسي بحصوله، أنا على قناعة بأنني سأنزل يوما ما في ذلك الموقف. لم يبق في ذاكرتي من مظهر جدتي سوى وجهها المتفضل جدا، وشعرها المثير للدهشة في بياضه، مع هذا كانت امرأة خفيفة الحركة، كانت تمشي في الشارع بسرعة غالبا إلى الحد الذي ما كنت ألحق بها، كانت تجرني خلفها، وإذا ما لزم أن تركض خلفي في البيت تركض، وتقبض عليّ دائما، ذلك يعني أنها لم تكن مسنة جدا، ما أستطيع تذكره من تجاعيد وجهها، من الطبيعي جعلني أظن في حينه أنها مسنة جدا، كنت صغيرا جدا عندما أخذني والدي واصطحبني -هل كنت في الخامسة أم في السادسة من عمري؟ لم أكن قد دخلت المدرسة بعد- أتذكر جمال أمي من الحكايات التي كانت ترويها، وليس من الصور التي كانت تريني إياها، يبدو أنها كانت جميلة بل جميلة جدا، كانت ملكة جمال الكون، تشبه بنات الجنيات، مثل اللؤلؤ، لكنها كانت طائشة، كانت ترغب دائما أن تكون في واقع مختلف عما كانت فيه، أحلامها كانت جنونية - «لا تكن مثلها، حط

عقلك براسك، يا صغيري!»- لقد تعلقت برجل غير طبيعي، أذاقها الرجل مر العذاب، وحول حياتها إلى جحيم.. في نهاية الأمر، لم تعد أُمي قادرة على الاحتمال، وما إن ولدتي حتى أصابها مرض لم يمهلها كثيرا فماتت. كم كانت جميلة، كم كانت جميلة، مثل الملائكة حتى وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة.

كل ذلك - أو معظمه - أعلم الآن كذبه، أعلم أن موت أُمي كان دمويا شنيعا ولا يليق بالملائكة، لكن في ذلك الوقت.. كنت مثل كل الأطفال أصدق الحكايات، والحكايات كانت جميلة، لا أقول، ليقتي أصدق ذلك الآن، لقد اجتزت عمر تصديق الحكايات، أعرف أنها كذب، ليس حكايات جدتي فحسب، بل حكايات النساء الشابات أيضا، كما أن الغرف ليست دائما دافئة، مع هذا، فكلما نظرت إلى الواجهة الزجاجية، أرى غرفة دافئة، مرآة بيضوية بإطار من خشب الجوز هناك، كرسي غريب الشكل بلا مسند خلفي، لكنه بمسندين جانبيين اثنين يضعونه خارج المتجر على الرصيف عندما لا يكون الجو ماطرا، أقسم إن تلك الأشياء أيضا كالتي كانت في بيت جدتي، يوما ما، سأنزل في ذلك الموقف.

كان وجهها يكفهر كلما سألتها عن أبي، كانت تقول باختصار «لا أب لك»، مع أن ذلك كان كذبا، وكان أول كذبة أكتشفها دون أن أسعى لكشفها! ذات يوم، قرع الباب، «أتيت لاصطحاب ابني»، قال أبي، كان جليا أن هذا المجيء غير متوقع من إصابة جدتي بالإغماء ووقوعها على الأرض في وسط فناء الدار.

كم بكيت كثيرا كي لا أترك جدتي وأذهب مع الغريب المدعي أنه أبي! ظللت أبكي خلسة لأشهر بعدما أسكنني

الرجل في بيته البارد على الضفة الأخرى، الأيل للسقوط منذ ذلك الوقت، من دون مدفأة بورسلان، من دون منقل، من دون سجاد، من دون صندوق ومن دون شماعة هارمونية، ظلت لأشهر ولسنوات أفكر بوسيلة للهرب من هناك والعودة إلى بيتي القديم حتى بعدما جاءت زوجة أبي، وحتى بعدما بدأت الذهاب إلى المدرسة، في البداية، كان أبي لا يذهب دون أن يقفل عليّ، لكن بعدما جاءت زوجة أبي وبدأت الذهاب إلى المدرسة أدركت أنني عاجز عن إيجاد وسيلة للهرب، تجنّب والدي من ذكر اسم الحي القديم حتى وفاته، ربما لو مررت ذات يوم من هناك مصادفة، وقبل أن تتغير معالم إستانبول كثيرا، لكان بإمكانني أن أتعرف على شجرة، أو نافذة، أو دكان بائع حلوى، أو ربما كنت ألمح جدتي أو أشياء تذكرني بها، لكن ذلك لم يحصل، لا أعرف حتى هذا اليوم في أي حي عشت أول وأجمل سنوات طفولتي الأولى.

فكرت متأخرا جدا بسؤال أبي عن أمي، ليس عند ذهابنا إلى ذلك البيت القذر والبارد، وليس عند مجيئه وإحضاره بعد مدة لامرأة غريبة، ليس عندما أدركت بشكل قاطع عدم قدرتي على العودة إلى الحي القديم مرة أخرى، بعد ذلك بمدة طويلة وعندما أصبحت في آخر صف من المرحلة الابتدائية، توصلت بتفكيري، أو ذلك ما تمنيته، أن لا شيء صحيح مما كانت ترويّه جدتي، فكذب قولها «أملك ماتت»، بقدر كذب قولها «لا أب لك»، انطفأت جذوة ألم الابتعاد عن جدتي، بل ربما ضاع في غياهب النسيان، ووقعت في هوس معرفة ما هو حقيقة وما هو حكاية، سألت أبي عن أمي.

اكفهر وجهه تماما مثل وجه جدتي عندما كنت أسألها نفس السؤال، «لا أم لك»، قال، «أمك هجران»، حسب قوله، ما كان ينظم شعرا، فقد كان اسم زوجة أبي «هجران»، لم يعلمني شيئا جديدا بأقواله، في ذلك الحين، ما كنت أعرف ما هو الصدق وما هو الكذب، لكن بعد سنوات، وبينما كنت في المرحلة الثانوية علمت أن قاتل أمي هو أبي، كان ما روته جدتي في بعض جوانبه صحيحا، لكنها ماتت ليس من الحزن، وليس من المرض، بل أبي من ذبحها بالسكين، ربما أنها أحببت رجلا آخر، وربما أنها هربت معه أو حاولت الهرب، حتى الآن، لم أستطع معرفة الحقيقة فالإشاعات متضاربة.

هل غضبت من أبي لقتله أمي؟ أم غضبت من أمي لأنها تركتني وذهبت؟ كم كل ذلك الآن بعيد وضبابي، كم جهدت لسنوات لإبعاد كل ذلك من حياتي، بل لا أذكر حتى إن كنت قد غضبت، على أية حال لا يمكنني الغضب بكل بساطة من بطلة حكاية لم أتعرف عليها قط، لم أرها شخصا حقيقيا أبدا كأم، أردتها واشتقت لها كملكة جمال. أما عن أبي، فقد كان قويا وعنيفا لا يكبح غضبه ولا يتوانى أبدا عن ضرب من يغضبه أيا كان، علمت من الآخرين بالحادثة إذ لم أستطع أن أسأله شخصا عما حدث لأمي، حتى لو كنت غضبت، فقد كظمت غضبي كما كظمت السابق وآثرت النسيان، كنت طفلا مطيعا، وأصبحت رجلا مطيعا.

مطيع.. أعتقد أن أشخاصا قليلون في الدنيا يُختصرون هكذا بكلمة واحدة، أنا رجل مطواع، لي حياة طيعة، هكذا حصل دائما. مع هذا، أستطيع أحيانا، أن أفكر بالتمرد، أتحدى نفسي

بشدة، إذ ليس لي من أحد سواي للتمرد عليه. أقول، سأنزل يوماً ما في أحد تلك المواقف.. وبشكل قطعي، صعود الحافلة كل يوم من أحد الأسماء المكتوبة عليها والنزول بالأخرى مرتين لا يكفي لإتمام دورة الحياة، لا يكفي تمضية أيام العمر بالعبور خارج خضم الحياة، لا يكفي أن تكون مثل رسالة لم تُقرأ وهي داخل قنينة تسبح في مياه النهر، يجب على تلك الرسالة الخروج من القنينة حتى لو تبللت ولم تعد في حالة يسهل قراءتها، بل حتى لو تمزقت وفنيت.

حتى لو لم أستطع العثور على صندوق جدتي المغبر في المتجر البالي، رغم أنه هناك، بل يجب أن يكون هناك، ما دامت الشماعة والمرآة والكرسي ذو الشكل الغريب هناك فالصندوق هناك أيضاً، سأنزل في ذلك الموقف، حتى لو لم يكن موجوداً، بل حتى لأعرف أنه غير موجود، أنا على يقين بذلك.

تقترب الحافلة من الموقف الآخر، سأنزل هناك أيضاً، رغم معرفتي أن الدمى بفساتين الزفاف لن تدب فيها الروح، ورغم معرفتي بأنني لست بقادر على ذبح امرأة دموية لا دم لها ليسيل، سأنزل.. بشكل قطعي.

سأكسر القنينة وأختلط بالسيل الجاري، هل ستصل الرسالة إلى حالة لا يمكن فيها قراءتها؟ هل ستتمزق وتنتشر وتفنى؟ لا أدري، لا أبالي، يجب أن أجازف، يجب أن أخرج إلى طريق آخر خارج مسيرتي اليومية سواء في مساء ذات صيف بألوانه البراقة وقد بهتت رويدا رويدا بفعل حرارته التي تسبب التعرق، أو في صباح ذات شتاء في برودته اللاسعة المرعشة، سأفعل ذلك ذات يوم.

شماعة هارمونية، مرآة معتمة، كرسي غريب، صندوق محتمل،
خلف واجهة مغبرة، في الأعلى أربع نساء صناعية بلا روح
باسطات أذرعهن على الجانبين وقد لبسن فساتين زفاف، كل
ذلك بلا روح، جميعها أشياء ميتة، لماذا أظن أنني سأجد حياتي
في أحد هذه المواقف، ذلك أيضا لا أعرفه.

نوفمبر - ديسمبر 1981

نازلي إيراي
NAZLI ERAY
1945

ولدت في أنقرا، تخرجت في الكلية الأمريكية للبنات ثم التحقت بكلية الحقوق في جامعة إستانبول، عملت مترجمة في وزارة السياحة، بدأت الكتابة وهي في سن السادسة عشرة، وكانت أولى قصصها «مسيو خريستو»، والتي نشرت في مجلة «الوجود» عام 1959، تحمل هذه القصة سمات النزعة السريالية التي تجلت لاحقا في معظم كتاباتها.

استمرت بنشر قصصها في المجلات الأدبية المختلفة إلى أن أصدرت أولى مجموعاتها القصصية عام 1975 بعنوان «آه يا سيدي، آه»، اختير العديد من قصصها بين المجموعات القصصية التي ترجمت إلى العديد من لغات العالم، ثم اتجهت لاحقا في مسيرتها الأدبية نحو الرواية والمسرح وقصص الأطفال، وعُرض العديد من أعمالها على خشبة المسرح والسينما والتلفزيون.

تعتبر أحد مؤسسي نقابة كُتاب تركيا وعضو اتحاد الكتاب العالميين، كما حصلت على عضوية الشرف من جامعة أيوا في

الولايات المتحدة الأمريكية بعد أن ألفت محاضرات فيها عن الكتابة الخلاقة خلال الأعوام 1977 - 1978 .

أعمالها في مجال القصة القصيرة والرواية والمسرح وكتب الأطفال: آه يا سيدي آه، محطة النوم، طابور تقبيل البنت، تنتزه في البي أوغلو، حلم كسرة خبز، نازل عند منعطف الأمانى، حانة الببغاء العاشق، العشق ما عاد مقيما هنا، منجم الأبراج، يوم اثنين على ضفة البحر، أجزاء ليلة قديمة، أيام الباسفيك، أحلام بخل اليد، النجوم تسطر الرسائل، العالم المبتدل، فراشات الضباب، ادخل دون أن تفرع الباب، نشرة شؤون الأحلام، صادح في قفص الطيور، رجل يتخفى بالعشق، مدينة الظلال الضائعة، شارع الأحلام المختلفة، أورفي، مشرب شاي الإمبراطور، آخر ليلة لمارلين - فينوس، تعرّفت على الليل، قصص مرّت من الطريق، مائدة ضوء القمر، إستانبول زهرة الليل، حانة الرجال الذين يحملون المرأة في قلوبهم، أسرار شقة فريج، كتاب العنكبوت، ناز ومصاص الدماء، ناز والحديقة المسحورة، القصر الساحر، القفص الذهبي المغبر. نالت عام 1988 جائزة خلدون تانر للقصة القصيرة عن قصتها «درس ليلي قرنفلي».

ونالت عام 2002 جائزة يونس نادي الأدبية عن روايتها «رجل يتخفى بالعشق».

ونالت جائزة أصحاب دور الكتب لأفضل كاتب رواية للعام 2009.

ونالت جائزة نادي الروتاري لعام 2010.

ونالت جائزة رابطة دور نشر كتب الأطفال لأفضل كتاب للأطفال للعام 2011 عن كتابها «أسرار شقة فريج».

صيدلية التخلف

في الحي حيث أقيم، عدد كبير من الصيدليات، صيدلية جديدة، تُفتتح كل صباح، على يمين ويسار طريقي، أتردد، باستمرار على عدد من تلك الصيدليات لصرف الوصفات الطبية الضرورية، أو لشراء بعض اللوازم كمستحضرات التجميل، وشامبو الشعر، والقطن، ومعجون الأسنان، والفوط النسائية، ومزيل رائحة العرق، أسماؤها متشابهة، كصيدلية القطن، أو صيدلية الميدان، أو صيدلية البجع..

هذا الصباح، وبينما كنت أسير بسرعة، كي لا أتأخر عن مواعيدي في نادي اللياقة الرياضي، وقع بصري على افتتاح صيدلية جديدة في نهاية الطريق، شاب برداء أبيض، يبدو أنه موظف في الصيدلية، كان يرتب الواجهة الزجاجية، عمال مهنيون قد أسندوا سلما على واجهة الصيدلية، كانوا يثبتون عددا من الأحرف المضيئة على الواجهة.

عندما خرجت من النادي الرياضي، ألقىت نظرة باتجاه الصيدلية، الأحرف لم تثبت بعد في موقعها، والصيدلية لم تفتح أبوابها.

قيل المساء، وعندما خرجت لشراء باقة من زهر الياقوتية، كي أضعها على مكتبي، لمحتُ نورا يضيء الصيدلية التي في نهاية

الطريق، الواجهة مفتوحة، كان اسم الصيدلية يلمع متوهجا، إذ كتب بزوج من أنوار الفلوريسانت، أمعنت النظر وقرأت: «صيدلية التخلف..».

نسيت سبب خروجي لشراء باقة من الياقوتية، أسرعرت الخطى ودخلت الصيدلية، الموظف ذو الرداء الأبيض بوجه بشوش يقف خلف الصندوق، سيد نحيل في منتصف العمر، بشارب رفيع، وملابس أنيقة واقف خلف النُضد، ويبدو أنه صاحب الصيدلية، رأيت عددا من سلال الزهور، يبدو أنها أهديت بمناسبة الافتتاح في الحي. صاحب الصيدلية لا بد أنه أخذ قرنفل بيضاء من إحدى السلال، وشبكها على ياقته.

استقبلاني بوجه بشوش، وسألاني عن مبتغاي. تتحننت برفق لأجلي صوتي: «أريد عقارا يحوي فيتامين ج»، قلت. قال الموظف بصوت مهذب: «سيدتي، نحن نقدم خدمة مختلفة لزيائتنا، للأسف، لا نبيع العلاجات والفيتامينات المتوفرة في الأسواق، فكما تعلمون فالحي عامر بالصيدليات التي تبيعها، الخدمة التي نقدمها مختلفة».

أصبت بالدهشة:

«ماذا تقصد، ما الخدمات التي تقدمونها؟ لم أفهم جيدا»، سألت.

تدخل صاحب الصيدلية بالحديث بأدب:

«أنت على حق يا سيدتي بجهلك لخدماتنا، إذ إننا لم نر ضرورة للإعلان عن نوعيتها في الصحف، لأنها لا تعني سوى فئة محدودة من الناس.

الخدمة التي نقدمها يمكن إيجازها على النحو التالي:

«كما تعلمون، نحن نعيش في بلد مازال متخلفا، جميعنا..

نحن، أنتم.. الناس الذين في الشوارع.. أليس كذلك، يا سيدتي؟»
كان صاحب الصيدلية ينظر إلى وجهي بتمعن.

«أجل، صحيح..»، قلت، وتابع:

«نحن شعب دولة متخلفة، لكننا سعيديون بحالنا في هذا العالم، ربما لا نسعى للتغيير، رغم حديثنا عن الكفاح اليومي، وصراع الحياة، لكننا نواصل حياتنا، سعداء أحيانا.. وغاضبون أحيانا أخرى، قد نُصاب بالقنوط أحيانا، ولكن في النهاية نتجاوزه ونمضي.. لكن فكري يا سيدتي، بعض الناس من بيننا، قد يذهبون يوما إلى دولة متقدمة، أمريكا مثلا، هناك كل شيء مختلف، النظام مختلف، الفرص المتاحة للناس كثيرة، الحقوق مصانة، وكأن العالم تقدّم مئة سنة. سيدتي، هذا الإنسان إذا ما رجع إلى الوراء، فسيظل تغيسا حتى نهاية عمره، إما أن يتخلى عن النظام بكامله، وإما أنه لن يستطيع نسيان ما رآه وما عايشه أبدا، سيظل يقارن باستمرار بين هذين العالمين المختلفين».

ما سمعته أوقفني في حيرة.

نبشت حقيبتي بحثا عن علبة سجائري، أخرجت سيجارة ووضعتها بين شفتي، صاحب الصيدلية، وبحركة مهذبة، أشعل سيجارتي واستأنف كلامه:

«تلك أشياء نعلمها، أليس كذلك يا سيدتي؟»، سألني.

«أجل هو كذلك، هذه حقائق، أشياء نعلمها ونعايشها»، قلت.

كنت أستمع إليه وأنا أسحب نفسا عميقا من سيجارتي.

«وهكذا الخدمة التي نقدمها تبدأ من هنا»، قال صاحب

الصيدلية.

«ماذا تعني؟»، قلت بدهشة.

«أعني»، قال صاحب الصيدلية:

«نستطيع بتأثير علاجاتنا، أن نجعل كل من عايش الحضارة والتقدم في بلد آخر، وغير قادر على التأقلم هنا، أن ينسى ذلك العالم نهائياً!».

أنهى كلامه، وعاد إلى مكانه خلف النُضد.

انتابني شعور بالفضول: «إذا لم أفهم خطأ، تبيعون علاجاً ينسى إنسان الدولة المتخلفة ما رآه وتعرّف عليه من حضارة متقدمة في العالم الخارجي!».

«نعم يا سيدتي! هو ذا صلب الموضوع!»، قال صاحب الصيدلية، «نحن بصدد تأسيس مركز تأهيل، لدينا لتحقيق هدفنا، ما يقرب من ثلاثين علاجاً أنتج بعناية، تلك العلاجات تختلف حسب بنية الإنسان وخصوصية البلد أو الحضارة المراد نسيانها. على سبيل المثال، إذا ما قام أحد ما برحلة إلى الجزر اليونانية ذات صيف، ولم يتمكن في الصيف الذي يليه من السفر خارج البلاد، ووجد نفسه منزعجاً من اضطراره لقضاء عطلته الصيفية في بودروم، نستطيع أن نقدم له جرعة علاج واحدة منخفضة، يصبح، عندئذ، سعيداً، ولن يفكر بعمل مقارنة».

لم أصدق ما أسمع!

«طبيعي، كان هذا مثالا بسيطا»، قال صاحب الصيدلية، «أما للأشخاص الذين زاروا بلاداً أكثر بعداً وتقدماً، ثم عادوا، فلدينا لهم علاج من ثلاثين جرعة، لقد نجحنا بتطوير مطعوم لعمالنا الذين عايشوا نمط الحياة في ألمانيا، كما لدينا حقنة للطلاب الذين درسوا في أمريكا، ثم اضطررتهم الظروف للعودة إلى الوطن، ومن لا يرغب بالحقنة، فعليه تناول الأقراص بانتظام».

أطفأت سيجارتي وأشعلت أخرى:

«حسن جدا، تقولون إن هذه الأقراص تُنسي، وفي الحالة المعاكسة؟ أقصد، إذا ما تناولت الآن جرعة معينة من العلاج لنسيان أمريكا، ثم رغبت باستعادة ذاكرتي من جديد، هل توجد أقراص أخرى لتذكر أمريكا ثانية؟»، سألت مستفسرة.

«بلا شك، يوجد يا سيدتي»، قال صاحب الصيدلية، «تقصدين ترياقا، يوجد، لكن على الرغم من وجوده، لكنه لا يتذكر كالسابق مئة في المئة، يُذكر على شكل خيالات».

«هل جريتم أنتم بعضا من هذه الأقراص؟»، سألت بفضول.
«نعم، جريت»، قال صاحب الصيدلية.

ازداد فضولي:

«اعذروني على فضولي، أي مكان أردتم نسيانه، واستخدمتم من أجله هذه الأقراص؟»، سألت مستفسرة.

«سيدتي، أنا تلقيت تعليمي في كندا، هناك أحببت فتاة، لم تسر الأمور كما أردت، وعدت إلى الوطن، وصلت إلى حالة، كدت أفقد معها عقلي، سمعت في حينه، عن وجود مثل هذا العلاج، أول مرة، استخدمته، وجدت فيه فائدة كبيرة، عندما أكملت المعالجة الأولية، انطفأت جذوة عشقي للفتاة، مع نهاية المعالجة الثانية، أصبحت أذكر بصعوبة اسم الشارع الذي يقع فيه النزل الذي أقيمت فيه لسنوات في كوبيك»، قال.

أشار إلى الموظف وأكمل:

«محمد، كان عاملا في فرانكفورت، اضطر للعودة بشكل نهائي، بعد ثلاث معالجات بالأقراص ومطعوم واحد، حقق تكييفا بنسبة مئة في المئة».

نظرت إلى الموظف باهتمام، في ضوء ما فوق الواقع لهذه الصيدلية، أحنى رأسه مؤكداً صدق كل ما قيل.

«ما التأثير الذي تفعله هذه الأقراص؟»، سألت مستفسرة.

«تُتسَّى، يا سيدتي»، قال الموظف، «كما تُتسَّى التخلف والتقدم». ففكرت ثم سألت مستفسرة:

«حسن جداً، أليس لهذا العلاج من تأثيرات جانبية؟».

«قطعياً لا تأثيرات جانبية له»، قال صاحب الصيدلية. كنت أفكر:

«لنسيان أمريكا مثلاً، أياً منها توصون به؟»، سألت مستفسرة. صاحب الصيدلية:

«لأمريكا برنامج علاج مستقل. لنيويورك، نطبّق معالجة خاصة من واحد وثلاثين يوماً» ثم أضاف:

«تدركون تماماً، أن نيويورك حالة مختلفة».

«أجل، أعلم»، قلت متممة.

وتابع كلامه:

«يتوفر لدينا لليابان، والفلبين، وهاواي، وهونج كونج كبسولات مطوّرة، لكن الغريب في الأمر، أن لا أحد يرغب باستعمالها، من يرى تلك البلاد لمرة واحدة، لا يشعر بقلق من عودته، لكن أمريكا حالة مختلفة»، قال.

«ما اسم الأقراص التي تعطونها لأمريكا؟».

«أنتامريكانا» قال الموظف.

«كم ثمنه؟».

«جرعة الواحد والثلاثين يوماً من أنتامريكانا بعشرة آلاف ليرة»، قال.

«أليس سعره مرتفعا قليلا؟».

«رخيص جدا»، قال صاحب الصيدلية، «بالعكس فهو رخيص جدا، لو حسبتم ثمن تذكرة الطائرة لأمريكا، بالإضافة إلى تكاليف الحياة هناك؟ كما أن سعر الدولار بارتفاع مستمر، وعملتنا تفقد قيمتها، بعد تناولكم لزجاجة العلاج بواحد وثلاثين يوما، ستسون الحالة الأمريكية بالكامل، وحقوق الفرد هناك من حزمة الحريات، والفرص المتاحة، والحياة المتطورة، عندئذ، ستصبحون راضين من واقعكم الحالي».

«أنا غير مقتنعة كثيرا بهذا الشيء»، قلت ضاحكة.

«إذن، نعرض عليكم تجربة أولية من ثلاثة أقراص»، قال

صاحب الصيدلية.

أنزل الموظف عن الرف علبة صغيرة، ولّفها بعناية.

«تفضلي»، قال صاحب الصيدلية ماذا العلبة نحوي:

«على افتراض أن الحضارة التي ترغبين نسيانها هي أمريكا، هذا العلاج أقدمه لك بلا مقابل، جريبه هذه الليلة، تناول قرصا واحدا بعد طعام العشاء. بعد ثلاثة أيام، إذا ما شعرت بالرضى، وترغبين بمتابعة العلاج، تفضلي، نحن بانتظارك...».

أخذت العلبة وخرجت من الصيدلية، ما سمعته شوش تفكيرى، عندما وصلت البيت، فتحت العلبة وألقيت نظرة على النشرة، هذا ما كان مكتوبا:

(أنتامريكانا

منسى الحضارة..

ثلاثة أقراص للبلع..

لا تأثيرات جانبية له..

عينة طبية، غير مخصصة للبيع..).

قلّبت الدواء بين يدي، إن أخذتها فسأشعر بعدم الراحة، وإن لم أخذها فسأشعر بنفس الشعور.

فكّرت، لفترة من الوقت، بنيويورك، ثم راودت سانت لويس مخيلتي، تذكّرت الأيام التي أمضيتها في مجاهل الغابات الخضراء لجزر الهند الغربية، وكلما أتذكّر ريودوجانيرو، أستعيد في مخيلتي جبالها التي تعانق السحاب، وسباق السيارات من الأحدث موديلًا في شارع أطلانتيك، و«واتوسي» وهو يغني حتى الصباح في ملهى ليلي عابق بالدخان.

عندما مرّت نيويورك بمخيلتي ثانية، أصبت بدهشة، إذ بدا لي تمثال الحرية يخرج لي لسانه ويغمزني بعينه، ثم لوح بالمشعل الذي بيده وقام بحركات بهلوانية، كنت أتابع تمثال الحرية كالمسحورة، وهو يقوم أمامي بآلاف الحركات البهلوانية، بواخر ضخمة، كانت تمر من خلفه وتدخل ميناء نيويورك. انتظرت عودة التمثال الذي أمام عيني، إلى حالته السابقة، لكن دون جدوى، ظل يتابع اللعب، حتى إنه شرع بتحريك أذنيه، أعطيته وعدا بعدم نسيان تلك اللحظة أبداً.

عدت إلى غرفتي مسرعة، وأخذت قارورة أنتامريكانا، وأفرغتها في المراض، ثم سحبت السيوفون.

أمر غريب، إذ شعرت بالراحة، تناولت مجلة وشرعت بتصفّحها.

قُرِع الباب، بعد فترة من الوقت، جاءت صديقتي، رويت لها وبانفعال كبير، ما شاهدته تلك الليلة من صيدلية التخلف، إلى الحديث الذي جرى هناك، وما قاله صاحب الصيدلية والموظف.

أصيبت بالدهشة، ظلت تصغي لي..
«تعالى»، قالت، «خذينى هناك».
خرجنا سويا، كان القمر يتوسط الغيوم، شاهدت من بعيد،
أنوار الصيدلية، فأمسكتها من ذراعها وأشرت لها.
اقترينا..

اللافتة تغيّرت، كان مكتوبا عليها: «صيدلة الفار»، أُغلقت
منذ فترة طويلة، نظرنا عبر الواجهة الزجاجية، يوجد مضادات
حيوية، وفيتامينات، وكريمات تسمير البشرة، ومنظفات أطقم
الأسنان..

«أمر يدعو للحيرة»، قلت، «شيء عجيب.. لقد تغيّر المكان كليا».
«أحسن..»، قالت هي.
شعرتُ بالضيق.

«لم تصدقيني، أليس كذلك؟»، سألتها.
«أصدّقك، أصدّق أنك هذه الليلة وقبل مجيئى، وبينما كنت
تتجولين هنا دخلت إلى صيدلية تُدعى صيدلية التخلّف، وأصدّق
ما دار هناك من حديث».

«سأكتب، عندئذ ستكون حقيقة واقعة»، قلت.
كنا نمشي في الطرقات، اقتربت الساعة من الحادية عشرة،
كان شارع تونالي حلمي⁽⁴⁾ خاليا تماما:
«سأقصّ عليك قصة بيزاده فائق بيه»، قلت.
«هيا اروي»، قالت.

شرعت برواية تلك القصة القديمة جدا لها، ومن جهة أخرى،
كنت أفكّر بما روتّه لي قبل يومين عن موت حصان، في تلك

(4) شارع تسوّق ومقاه ومطاعم في أنقرة (المترجم).

الأثناء، تبادر إلى ذهني شيء ما :
«أنت درست الكيمياء، هل سبق أن سمعت باسم مركّب يُدعى
أنتامريكانا؟»، سألتها.
شرعت بالضحك، وأنا أيضا كنت أضحك.
على القمم المقابلة، عند نهاية «تشنكايا»، طريق مضاء خال،
يمتد صعودا حتى السماء، كأنه ينتهي عند سحابة.
أشرتُ لها لترى ما أراه.
«أنا أيضا رأيت ذلك الطريق قبل أيام»، قالت.
انحدرنا من الشارع، نمشي ونتحدث.
أنقرا، أبريل 1985

فِيْزَا هِيْبْتَشِيْلِيْنغِيْرْلَر
FEYZA HEPÇİLİNGİRLER
1948

ولدت في آيفاليك/ باليكاسير، أكملت دراستها الثانوية في إزمير، ثم أكملت دراستها العليا عام 1971 في جامعة إستانبول - قسم آداب اللغة التركية.

عملت بتدريس الأدب التركي في عدد من ثانويات إزمير ومن ثم في جامعة 9 أيلول، عام 1983 منعت من العمل ضمن منطقة إيجه (ولاية إزمير) بموجب الأحكام العرفية التي أعلنت بعد استيلاء الجيش على السلطة، ونُقلت إلى جامعة البحر الأسود بموجب قرار صدر عن مجلس التعليم العالي، فقدمت استقالتها احتجاجاً على القرار.

عادت عام 1984 إلى إزمير وعملت بالتدريس في المعاهد الخاصة، ثم انتقلت عام 1992 إلى إستانبول حيث تعمل حالياً في جامعة يلدز في إستانبول.

بدأت حياتها الأدبية عام 1963 بكتابة الشعر، ثم كتبت القصة القصيرة والرواية والأدب وكتبت للأطفال، كما تُرجم العديد من أعمالها إلى العديد من اللغات، ومازالت تكتب في العديد من الصحف والمجلات، ولها زاوية يومية في صحيفة «الجمهورية».

أعمالها في مجال الرواية: كيف يذبل القرنفل الأحمر (1993)، الإلهة (2002).

وفي القصة القصيرة: مسافرو الصباح (1981)، راقصة باليه سابقة (1985)، الطيور المرتعبة (1987)، ثلاث نقط وخط واحد (1993)، الانزلاقات (1998)، صيف مردون سنونو (1998)، المحاكاة (2000)، ها أنا ذاهب (2009).

وفي مجال كتب الأطفال: ست مسرحيات للأطفال (1980)، طارت، طارت، بلين طارت (1986)، الأميرة القبيحة (1994)، ماذا لو أصبحت شجرة كمثرى (2007)، ماذا قلتم، لم أفهم (2011).

وفي مجال الأدب وقواعد اللغة: أخطاء شائعة (1997)، قواعد اللغة التركية للمعلمين والمتعلمين (2004)، من دون سؤال (2006)، التركية لغتي الأم (2007)، يوميات اللغة التركية 5 أجزاء (2005 - 2011)، كيف تصبح كاتباً شعبياً (2013).

نالَت عام 1979 جائزة وزارة الثقافة لأفضل عمل موجه للأطفال عن مسرحيتها «الأخطاء».

ونالت عام 1981 الجائزة الأولى لدار أكاديمي للنشر عن قصتها «مسافرو الصباح».

ونالت عام 1985 جائزة صدقي دوست لروايات الأطفال عن روايتها «طارت، طارت، بلين طارت».

ونالت عام 1985 جائزة سعيد فائق للقصة القصيرة عن مجموعتها القصصية «راقصة باليه سابقة».

ونالت عام 1989 جائزة يونس نادي للقصة القصيرة عن قصتها «إصلاح الخطأ».

ونالت عام 1991 جائزة بورسكي غرومان / ملتقى كتاب
البلقان عن قصتها «كم متُّ بشكل مريح».

ونالت عام 1997 جائزة سدات سماوي الأدبية عن قصتها
«الانزلاقات».

ونالت عام 2011 جائزة أفضل عمل مسرحي للأطفال خلال
الأعوام العشرة عن عملها «الأخطاء / ماذا قلتم، لم أفهم».

راقصة باليه سابقة

كلما فكرتُ بالخروج إلى الشارع، يتبادر إلى ذهنها ذلك اليوم الذي أصبح من الماضي البعيد، يوم عادي ككل الأيام، لا يحمل أية صفة مميزة.. خرجتُ إلى الشارع فشعرت بتقدمها في السن على نحو مفاجئ، أدركتُ تقدمها في السن، كمن يقع على رأسه شيء صلب بفتة، دون أن يتمكن من تفاديه. شعرت بالاضطراب الشديد في حينه، وكلما فكرتُ به لاحقاً تشعر باضطراب أشد، واست نفسها بأن التقدم في السن حتمية الحياة، لا يهرم المرء في ثانية واحدة، رددت نفس الفكرة وهي تتجول في البيت على مر الأيام: لا يهرم المرء في ثانية واحدة.

عاشت دون أن تولي اهتماماً للأمر الصغير، الأمور الصغيرة، كأن يناديها طفل «يا خالة»، أو ينصحها بائع الخضار «هذا الخيار طازج جداً يا أمي السيدة».

.. ذات يوم، أدركت فجأة كنه الشيخوخة الذي كان نائماً حتى ذلك الوقت، لم تكن تعلم ما الذي يحصل مع الآخرين ولم تسأل نفسها قط، لكن رغم مرور سنوات عدة، فلن تتسى ذلك اليوم الذي شاخت فيه بثانية واحدة، يوم أن عادت إلى البيت، جلست وبكت كثيراً، ثم غطت كبل ما في البيت من مرايا، وما إن احتست قدحين حتى أدركت حماقة تصرفها، فرفعت الأغطية ومزقتها،

وعندما قدم البواب لتوزيع الخبز، طلبت منه أخذ ما يجده من مرايا كبيرة أو صغيرة.

اعتادت الآن على المرايا مهما كان حجمها، لأن المرايا توقفت عن الابتسام استهزاء، سواء ما كان منها معلقا أو جزءا من الأثاث، كل واحدة منها، كانت تُظهر ما يقع أمامها من حائط أجرد، أو طرف إطار صورة، أو أوراق علوية لتعريشة لبلاب بدأت بالجفاف، أو تقويم حائط يمد لسانه، أو تحف ضاعت ذكرياتها ومناسباتها في غياهب النسيان، أو زخارف حائط، أو وسائد موشاة، أو قطع ونثرات مختلفة ككؤوس الزينة. ما عادت تعير للمرايا اهتماما، لكنها مازالت تتحاشى الخروج إلى الشارع، إما أن تطلب من البواب أن يؤدي لها أشغالها وإما أن تخرج عند الغروب بصحبة طالباتها القديمات، تمشي حتى الجزار والمتجر المتجاورين في آخر الشارع، لشراء احتياجات لا تقبل التأجيل، تشتري زجاجة نبيذ أو نصف كيلو من اللحم المفروم وتعود سريعا، هكذا أفضل.

رأت حبات رمان بقيت من الأمس في طبق فوق «الطاولة»، يبدو أنها قد جفت قليلا، لكنها بدت وكأنها تنتظر صحبة قده من النبيذ الأبيض لتتحرر من وحدتها، كان باستطاعتها أن تدير ظهرها لرغباتها، لكن ليس لرغبات حبات الرمان اليتيمة تلك. ملأت قدها على الفور، وجلست أمام طبق الرمان، اليوم يطول ويقاوم حتى لا يصل إلى الظهرية.. وبينما كانت تتقل في فمها الجرعة الأولى، وكما تفعل دائما، قالت «مرحبا يا أمي»، وجرعتها، «السيدة المبجلة، السيدة سليلة الحسب والنسب، ابنتك تحييكم باحترام عند كل أول قده».

يا ترى، هل كانت أمها تشرب كثيرا أيضا؟ زوارها من حين لآخر، من الأصدقاء المسنين، لا يكفون عن التأكيد وبإصرار، أن لا أحد يشبه «أنغرا بوكمان»، هي أيضا، تظن أنها ليست شبيهة بأمها، لكنها ضبطت نفسها مرات عدة وهي تحاول التشبه بأمها، في مثل تلك الأوقات، كانت تشعر بالغيظ من نفسها عندما تدرك أن حياتها ليست سوى نسخة رديئة عن أمها. ولأن أمها كانت من السيدات المغاليات في أناقتهن على امتداد ساعات النهار، أمضت هي سحابة نهارها في البيت بجينز كالج، وخرجت بنفس الجينز من البيت، ودخلت فراشها ونامت بنفس الجينز، هل كانت ستحب أحفادها لو رأتهم، يا ترى؟ أبناءها، أحفاد أنغرا بوكمان، كتجاعيد الوجه يعجلون من هرم المرء، نادرا ما يأتون لزيارة أمهم، لا يجدون هدية سوى سمكة أكواريوم، يقدمونها عند زيارتهم، ربما يريدون القول إني أم لها، حسنا، وللسمك أمهات أيضا، مع الفارق، فالأسماك لا تقدم للإنسان أحفادا، (لا داعي للخوف من تكاثرها، فما إن تلد حتى تأكل صفارها، ذلك ما قاله ابنها). على أية حال هي أيضا، لا تتلطف ليصبح لها أحفاد، ستبقى الأسماك مرتبطة بها، ولن تتركها وتذهب إلى مكان آخر، إذن، لن تسبب لها الهرم ثانية، ما أجمل ذلك، تشبه زوجها خلدون ذا العينين الجاحظتين، لكنها أكثر ودا منه، لا تتدخل بمأكلها ومشربها، لكن خلدون كان يتدخل.

قال بلال، يوم أحضر الأسماك «ها ستمضين وقتك يا أمي». «في الواقع، أمضي وقتي مع شيطان»، أجابت بدورها، وما إن صاحت أين شيطان، يا ترى؟ شيطان، حتى ظهر وأطل برأسه من الباب، ثم دخل، التفّ ونام عند قدميها، شيطان لا يفارقها

طوال اليوم، يتبعها دائما كظل أسود، حارسها وشرطيها بنفس الوقت، ولا يتوقف عن الوشاية بالفرياء، شيطان يحبها، وهي تحب شيطاننا أيضا، بقدر ما يحبها.

«ابنتي ستصبح أشهر راقصة باليه في العالم» قالت أنغرا بوكمان، مع أنها لم تستطع أن تحقق إنجازا مهما في حياتها، ربما خلدون أيضا، أدرك أن لا موهبة لديها لتحقيق إنجازا مهما في حياتها، حتى إنها لم تستطع أن تشبه أمها في كثير من الأمور، هكذا قال من شاهد وعلم. كانت أمها امرأة مفعمة بالحياة، وهي مفعمة بالموت، لا تجيد سوى الشرب والسكر، وليس في ذلك منفعة لا للأسماك ولا للشيطان ولا للأولاد، ولا يمكن القول إنه لا منفعة منه، سوى المساعدة على نومها.

تحت وقع نظرات شيطان المذهولة، تحدثت ليلة أمس طويلا مع الأسماك، كان بلال يحوم حول خلدون ويداعب ذيله المعقوف، أيام سعيدة يا سيد بلال، قالت، كيف حالكم؟ حسنا فعلتم بإحضار هذه السمكات، هل فعلا تعتقدون أنني قادرة على رعايتها؟ رعيتك في الماضي حتى نما جناحاك، عانيت كثيرا من أجلك، لكن حينذاك كان لي جناحان أيضا، لك الشكر يا سيد بلال، أنت طيب جدا، أنتم لا تستطيعون رؤية هذه السماء الفيروزية، تقولون لأختكم إذا ما تقابلتم بالمصادفة في مكان ما، إنني أحرق أصابعي عند إطفائي السجائر، لم يتحدث مع خلدون لحنقه عليه، سمكات حريرية الذيل، ومنتفخة الكرش، وردية، وحمراء وبلون الشمام، السمكة خلدون سوداء بعينين جاحظتين، أما السمكة ابنكم بلال بلون الشمام وبذيل معقوف، فلا تظهر ابنتها في الأكواريوم، لأنها خارج البلاد، هي

أيضا تؤدي رقصات الباليه بتورتها القصيرة الوردية الفاتحة، أداؤها لبحيرة البجع رائع، في «باكيثا» كانت خجلة قليلا ولكنها فاتنة. يجب عليك سماع الموسيقى بروحكن، وليس بأذانكن، كن أكثر رشاقة، وأكثر سرعة من فراشة تحلق ثم تحط على الزهرة بهدوء ودون إيذاء لوريقاتها، مرحى يا مدموزيل بابيون! كما أن تتورتك بالغة القصر، تطول لتصبح فجأة، كذيل السمكة اليابانية، آه وا حسرتاه.. جيزل كانت هنا، جيزل لا مثيل لها، رائعة الجمال جيزيل.

امرأة تعيش وحدها ليست بحاجة إلى أية تحضيرات مسبقة، اعتادت أن ترى نفسها دائما، ليس أمام الجمهور فحسب، بل في وسطه أيضا، ليس حنينا للتصفيق، ولكن لنمط الحياة الذي اختارته، ليست متأكدة إن كان ذلك حنينا للتصفيق، فكل ما تشعر به أنها تفتقد شيئا مهما، رغم محاولاتها ملء هذا الفراغ، لكنها لم تفلح، فكرت أن خلدون قد يملأ مكان الجمهور، لكنه ما كان جديرا لملء الفراغ، فكرت بأبنائها، الذكر منهم والأنثى، لكنهم لم يكونوا على استعداد لملء الفراغ، فقد انسحبوا وغادروا. في نهاية الأمر، لم يبق أمامها سوى شيطان وهذه السمكات، على الأقل فشيطان ينبج، أما السمكات فلا تصدر أي صوت، عدم توقفها عن السباحة وحدها في الحوض، ليس مسليا أبدا، (في الواقع، لم يحضرهن بلال ليكن مصدر تسلية لها)، يبدو للمرء أنه رغم شدة تعبهن لا يرتحن، ورغم رغبتهن بالنوم، لكن لا ينمن. كفى، لا تتعبن أنفسكن، هيا ارتحن قليلا، تقول لهن، بينما يخطر في ذهنها من حين لآخر، أن تضع لهن أسرة صغيرة ومراتب قطنية، تغطيهن بألحفة صغيرة، ثم تقول

لهن هيا ارتحن حتى الصباح. لكن يا للغرابة، فالأسماك لم تعدت على العيش خارج الماء، وهي أيضا لم تعدت على العيش خارج المسرح، إما فوقه وإما خلفه ولكن ليس بعيدا عنه، لم تشعر بصعوبة الابتعاد عن المسرح، قبل أن تأتي مدام مولينيه، كانت ترى نفسها في طالباتها وهي تتابع أعمالهن بإعجاب واعتزاز، لو كانت تعلم أن عملها سينتهي بعد مجيء مدام مولينيه، لكانت ضمّت يدي السيد توغرول وقبّلت على الطريقة التركية تلك اليدين المكسوتين بالشعر. كانت ستقول أنا لا أستطيع العيش بعيدا عن الباليه، ماذا في ذلك؟ يجب ألا يخجل المرء من قول ما يفكر به، هذا ما يقوله خلدون، وكأنه يقول ما يفكر به هو.. أنت مدمنة خمر يا زوجتي العزيزة، لماذا تتحاشى مواجهتي بذلك؟ في تلك الأوقات أصبح عيناه كدردور ثاقب. كلا، لست بدمنة خمر، كيف لك أن تدعي ذلك؟ لو تسأل الآن تلك العيون الثاقبة، ل قالت أجل، وما ضير ذلك، كل امرئ وأهواؤه، هل أعدد لك أهواءك؟ حينئذ كان خلدون سيقول أنا مولع بالمبادرة، ما إن يدرك أن الحديث أخذ بعدا جديا، حتى يدير الدفة وينقذ نفسه من أن يكون مستهدفا، دائما هذا ما كان يحدث، ما شأنك وسيجارتني، لست معنيا بصوتي، وهل ينسى المرء ما يقوله في تلك اللحظات، وتظاهره بدور الطفل المصطنع؟ لقد جازفت بترهل جسمي كي أنجب لك طفلين، ألم يكفك ذلك؟

تركت كأس النبيذ على الطاولة، وذهبت لترعى سمكات بلال، يجب إطعام السمكات التي تركت لرعايتها، إذ يجب إشباعها والاعتناء بها، كي لا تتهم بعدم الشفقة، ما أهداه ابنها لها كي تمتع ناظرها بها، متعة بالإكراه.. من قال لبلال إنها تستمتع بمشاهدة

الأكواريوم؟ ما إن ذرّت الطعام حتى رأت إحدى السمكات طافية على جنبها فوق سطح الماء، إحدى السمكات بلا اسم، إحدى المجهولات، لم تحتجّ إلى تفكير طويل بسبب ميلها على جنبها، يبدو أنها نفقت، هل نفقت؟ لم يذكر بلال ذلك، لم يقل إن هذه السمكات قد تنفق، هذا الرجل الذي هو ابنها كيف يظن أن باستطاعتها تحمّل رؤية الموت؟ بينما تجلس هنا وحيدة، وكأنها تستطيع رؤية الموت، يأتي أحدهم ويهددها جيفة سمكة، بل إنه ابنها، أنتِ أيضا ستموتين، لن يبالي أحد بك، مثل السمكات الأخريات إذ لم تبالِ بالسمكة النافقة، الموت دون أن يبالي بها أحد، أشد إيلاما من الموت نفسه، لا تريد التفكير بذلك، ولا أن ترى.. بل لا تريد أن ترى قطعيا، لا تريد، كيف تهرب من الموت، كيف يستطيع المرء الهروب من موته؟

دون أن تفكر بما ستفعله، ارتدت معظفا وحملت حقيبتها وانطلقت إلى الزقاق، وقد نسيت وجود شيطان تماما، عبرت الزقاق الطويل بخطوات سريعة، ووصلت إلى الشارع، ازدحام وأصوات لم تميز أيا منها، أصوات.. ركبت سيارة وقفت بقربها دون أن تعرف وجهتها، كانت سيارة «سرفيس»، إحدى سيارات السرفيس التي تخفف من سرعتها سعيا لالتقاط كل شخص واقف لا يعلم ماذا يفعل، جلست إلى جانب السائق، السائق رجل بشارب مثل كل الرجال، من الأفضل الذهاب معه دون أن تعرف وجهته، هناك شيء ما يمتد، يدعونه بالطريق، لكن لا بد أن يؤدي إلى مكان ما، ولن يتأخر بالوصول إلى ذلك المكان، ليكن يتفرع هناك إلى طريق آخر، ثم إلى طريق آخر، وآخر أيضا.. دائما المسير هكذا لا بد أن يوصل بسهولة وبسرعة إلى نهاية ما،

زواجها وانفصالها عن خلدون انقضى كغمضة عين، ولكن عاجلا أم آجلا ما كان سيتغير أي شيء.

بعد وقوف جديد ومفاجئ، ظهر وجه جميل جدا عبر زجاج السيارة، وضحكت ضحكة لا أجمل منها، قد تكون إحدى طالباتها القديمت، نظرت إلى السائق وأفسحت للبتن مكانا، تحلق مثل الفراشات على المسرح، ربما أصبحت راقصة الباليه الرئيسية في «جيزل» أيضا. عزيزتي السيدة بوكمان، كنت دائما ترغبين بأن تصبح ابنتك راقصة باليه رئيسية، لم تصبح، بل حتى لم تستطع المشاركة في «جيزل»، ولكن لعل طالباتها شاركن، بل ربما أصبحن راقصات باليه رئيسيات، ولم لا يصبحن، هل لأنه ليس لهن أم مثل أنغرا بوكمان؟ أنت أيضا لم تعرفي ماذا ستكونين يا أمي الحبيبة، لا بأس، عندما تكونين ليلي أو عائشة أو فاطمة، أي هراء هذا أن تفكري بأن تكوني «مليحة»؟ هل كان من الممكن أن أصبح خياطة ماهرة أو ربما مصففة شعر ناجحة، وربما أيضا عازفة تشيلو ماهرة، ولكن لماذا كان يجب أن أصبح راقصة باليه، ليس راقصة باليه فحسب، بل راقصة باليه رئيسية، أصبحت راقصة باليه نزولا عند رغبتك، لكن قدراتي لم تكن كافية لأصبح راقصة باليه رئيسية، وماذا سيحصل الآن؟ ما أجملها من ضحكة، ضحكتها كانت مثل نور ومض فجأة، فجمّل كل ما حوله، دافئة وبألوان قوس قزح، لو كانت تلك إحدى طالباتها ما كانت لتضحك على هذا النحو، ولكانت عايرت ضحكتها، وسعت لعدم تبديد ابتسامتها بلا طائل، لا شك أنها كانت ستقول بلهفة «كيف حالك يا معلمتي؟»، إيبه ها قد تقاعدت، دعينا نرّ.. ولكانت سألت «ماذا تفعلين الآن؟»، قبل

العرض كانت تشفي غليلها من التدريبات القاسية بهذا السؤال، كانت تحصل على رد فيه إثارة وسادية، ويحمل نغمة هي الأشد تهكما، تسأل وقد تهيات نظراتها لتقول يا للأسف، «إبييه، ماذا تفعلون الآن -لنرى؟».. لا شيء، وكان ردها «لا أفضل شيئا البتة»، (من قلة الحيلة وانعدام الخيار) وكما تتوقع الفتاة، إن لم تكن من طالباتها القديمات فمن تكون هذه الفتاة؟ في الواقع، ولا أي واحدة من طالباتها تعرف الضحك على هذا النحو، لم تعلمه لأحد، وما كانت لتستطيع تعليمه، هي أيضا لا تعرف مثل هذا الضحك المشع متعدد الألوان، إذن من تكون هذه الفتاة؟ ولماذا تضحك هكذا؟ هل من حقها إطلاق ضحكة فاتنة تخترق قلب الإنسان، بل في مكان عام كسيارة سرفيس؟ استدارت ونظرت ثانية إلى الفتاة، ضحكت الفتاة ثانية على نفس النحو، ما تريدونه أن يستمر طويلا كمظهر متقلب، لا يمكن إلا أن ينتهي.

كيف يستطيع المرء أن يضحك دون حساب، وبخاصة إذا كان صاحب ضحكة جميلة وصادرة من الأعماق.. حاولت تقليد الضحكة بينها وبين نفسها، لكن التوتر في شفيتها، تعلق على وجهها كتكشيرة، كأن حياتها ستتغير، لو تستطيع تعلم هذه الضحكة، حينئذ، لن تعود جيفة السمكة النافقة والطاقية على سطح الأكواريوم تشعرها بالحزن. مكرهة على التدرج بشدة على هذه الضحكة، كأنه رد مجرب يجب عليها إظهاره على وجهها من تلقاء نفسها، هكذا، يجب أن تضحك لبلال، ولنرى ماذا سيفعل، أما خلدون، فمن المؤكد أنه سيصاب بالذهول، وسيتبدل تفكيره، ستعمل عليها وتتدرج أمام المرايا في البيت، ولن تُهزم مرة أخرى في سيارات الأجرة، ماذا ستفعل لو بدت

مضحكة.. حاولت التفكير كيف ستتجح دون تحريك أي من عضلات وجهها.

حين أدركت أن الفتاة على وشك الترجّل، لم تكن قد توصلت بعد، إلى كيفية القدرة على الضحك، وجهت نظرات خجولة إلى الفتاة، كراقصة بالية أُجبرت على الصعود إلى المسرح دون تدريب مسبق، وضحكت من فورها، وعندما تلقت ردا بنفس جمال الضحكة السابقة، طار عقلها من الفرحة، ترجّلت الفتاة وذهبت، لكن رفرفة جناح الطير الذي بدأ في داخلها لم يتوقف، ما عاد قلبها يحتمل حفيف الجناح. لأنزل هنا، أنا أيضا، قالت للسائق، وأطلقت نفس الضحكة، ضحك السائق أيضا، إذن فهناك ضحكات دون بروفة مسبقة، وهناك ضحكات جميلة لأنها دون بروفات مسبقة. عبرت إلى الناحية الأخرى، بعد أن أصبحت قادرة على ركوب سيارة سرفيس أخرى، وأن تشير لسيارة أجرة وتستطيع أن تطلق للسائق ضحكة من القلب دون تكلف، أصبح بإمكانها العودة إلى بيتها، وأن تلتقط جيفة السمكة من الأكواريوم، وتلقيها بعيدا، وتستطيع اتخاذ قرار بمواصلة الحياة.

1985

فريدة تُشيتشك أوغلو FERİDE ÇİÇEKOĞLU 1951

ولدت في أنقرا، أكملت عام 1968 تعليمها الثانوي في أنقرا، وتخرجت عام 1972 في كلية الهندسة المعمارية من جامعة الشرق الأوسط في أنقرا، حصلت عام 1973 على درجة الماجستير من نفس الجامعة، ثم حصلت على درجة الدكتوراه من جامعة بنسلفانيا في الولايات المتحدة، عملت بين الأعوام 1977 - 1980 في جامعة غازي في أنقرا.

اعتقلت عام 1980 بعد استيلاء الجيش على السلطة وحكم عليها بالسجن أربع سنوات، أمضت سنتين منها في سجن «ماماك» العسكري وسنتين في سجن أنقرا المركزي، حيث اجتمعت هناك بطفل كان بصحبة أمه السجينة، فكتبت عنه أولى رواياتها «ليتهم لا يطلقون النار على الطائفة الوردية»، بعد أن انقضاء مدة محكوميتها عام 1984 خرجت من السجن لتعمل محررة ومديرة تنفيذية في عدد من دور النشر، بالإضافة إلى الكتابة والترجمة وكتابة السيناريو للسينما والتلفزيون.

عادت في عام 1998 إلى عملها الأكاديمي لتعمل في جامعة مالتيبا، ومنذ العام 1999 تعمل بالتدريس في جامعة بيلغي في إستانبول.

أعمالها في مجال السيناريو للسينما والتلفزيون: حيث ينتهي الربيع (1988)، ليتهايم لا يطلقون النار على الطائرة الورقية (1989)، رحلة نحو الأمل (1991)، الوجه الآخر للماء (1992)، إستانبول مدينة الذهب (1996)، بيت الملائكة (2000)، خلف القضبان (2007)، البنات الذهبيات (2009)، ترلاباشي ترلاباشي.

وفي مجال الرواية: ليتهايم لا يطلقون النار على الطائرة الورقية (1986)، الوجه الآخر للماء (1988).

وفي مجال القصة القصيرة: هل صادف أن مات أبوكم؟ (1991)، رسائل من مئة بلد (1996).

وفي الدراسات والأبحاث: الجاز موسيقى الحزن (1985)، 9 أيلول ما بين نيويورك وإستانبول (2003)، المدينة الموثقة (2007)، كما قامت بترجمة عدد من الكتب الأبحاث في مجال السينما.

نالت عام 1987 جائزة خلدون تانر للقصة القصيرة/ المرتبة الثالثة عن قصتها «الراكب الأخير».

ونالت عام 1988 جائزة يونس نادي لأفضل سيناريو عن عملها «حيث ينتهي الربيع».

ونالت عام 1988 جائزة عبدي إيكثشي للسلام والصدافة عن روايتها «الوجه الآخر للماء».

ونالت عام 1989 البرتقالة الذهبية لمهرجان أنتاليا للسينما لأفضل سيناريو عن عملها «ليتهايم لا يطلقون النار على الطائرة الورقية».

ونالت عام 1991 جائزة الأوسكار لأفضل سيناريو عن عملها «رحلة نحو الأمل».

ونالت عام 1992 جائزة مركز لوبون الثقافي للإداب عن مجموعتها القصصية «هل صادف أن مات أبوكم؟».

دعوى ضد مشع التدفئة

«هل هذه الفتاة لكمتك؟».

«هاجمتني، سيدي، هاجمتني».

طول الشاويش مئة وتسعون، ووزنه مئة وعشرة، طول الفتاة مئة وخمسون، ووزنها خمسة وأربعون.

نظر القاضي من خلف نظارته السميقة إلى الشاويش الواقف على منصة الشهود، وإلى الفتاة الجالسة على كرسي الاتهام، وجّه نظارته ثانية نحو الشاويش، خلع نظارته ووضعها فوق لائحة الاتهام، تلك، كانت الجلسة الأولى.

«احك، هيا احك بالتفصيل».

«ذهبنا لإجراء التعداد يا سيدي، أُخرجت المعتقلات من المهجع».

يثبن من أماكنهن مع طرق الباب الحديدي بالهراوات، هل حل تعداد الصباح؟ كم جاء سريعاً! حتى صواني الطعام لم تُقدّم بعد، تنظر عائشة إلى الساعة، الثالثة، وضّح الأمر، سيتم إخراجهن هذه الليلة مرة كل ساعتين.

الإضراب عن الطعام في يومه الرابع، لسنّ بوضع ليفكرن فيه بالجوع، يتم إخراجهن من المهجع وتفتيشهن، من خمس إلى ست مرات في اليوم، يُفتّش المهجع بكل دقة، عندما يعدن إلى

المهجع يجدن الأكياس المليئة بشتى بقايا وقطع الأقمشة التي يدعونها بالمراتب لتمدد على المصاطب الخشبية، مكوّمة في وسط المهجع، حتى الثياب والملابس الداخلية ومواد التنظيف ضمن هذه الأكوام، حناجير مزيل الشعر قد أفرغت، والشامبو قد سُفح، ومعاجين الأسنان قد أهرقت.

في بداية الأمر، كنّ ينظمن الفوضى، ويُعدن ترتيب الأسرة من جديد ولأكثر من مرة، بعدما تبين لهنّ أن ذلك لن يجدي نفعا، لجأن إلى أساليب أخرى. معلا خاقت ملابسها الداخلية ببعضها كصنارة صيد السمك، بحيث إذا ما سحبت طرفها سحبت معها بقية القطع من داخل الكوم. زهرة، لبست كل ثيابها فوق بعضها، تنام بها وتصحو. علاوة على ذلك، كنّ في حالة تهيؤ حرب بشكل دائم، عمّت سريعا هذه الطريقة المبتدعة، ارتداء كل الملابس الداخلية، تليها بدلة الرياضة، وفوقها البنطال، ثم طبقتين من التنانير القطنية، وكل ما هو متوفر، ثم كنزتين واحدة رقيقة وأخرى سميكة، ثم سترة، ثم معطف إن وُجد، كل من يستطعن احتمال الحر، على هذه الحالة صباح مساء، وعندما يتعرّضن للضرب بالعصي يصدر صوت مخنوق، كمن يضرب وسادة.

في اللحظات غير المناسبة، ينتاب الفتيات الضحك، يتماكن أنفسهن في الخارج، وبعد دخولهن المهجع مع ضماداتهن المتخلخلة يشرعن بالتقليد والهرج والمرج، «غولتشرين»، تحصد أكثرهن تصفيقا وضحكا بـ «رقصة التعداد»، شكّلت فرقة العساكر بالعصي مع السيدات المعتقلات حلقة رقص رائعة، إلى جانب ما قامت به آيتان من إيقاع الوسادة، المرح أفضل ترياق. «أسرعن يا بنات!».

يضرب شاويش التعداد القضبان الحديدية لكوة الباب بالعصا، لقبّنه.. لا داعي لذكره، لكنه لقب يتلاءم وضحامته، طوله مئة وتسعون، وزنه مئة وعشرة، من النوع الذي إذا قيل له اضرب، يقتل، واضح أنه اختير بشكل خاص.

«أسرعن، الباب يُفتح».

نسليةهان، الأقدم في المهجع إلى جوار الباب. اللاتي أكملن استعداداتهن يصطففن خلفها، يليهن من يستكملن جهوزيتهن.

«دورك الآن أنتِ بارتداء هذا المعطف».

«كلا، كدمات لالى أشد سوءا، لترتديه هي».

«إذن لا تقفي إلى جوار لالى يا نيفين».

نيفين، مصابة بالربو، وإذا ما وقفت إلى جوار لالى وهي مرتدية المعطف، فقد تتابها نوبة ربو، هذا المعطف كدرع واق من بين ألبسة المهجع، لكن كيف التقط هذا الكم من الغبار؟ أصبح في حالة لو نُقض أربعة أيام متتالية لا ينظف، ولا سيما في يومه الأول.. كم كان غائما! حتى العساكر انتابتهم منه نوبة سعال، فتأوبوا على ضرب الفتاة ذات المعطف بالعصي.

يُفتح الباب، يخرجن بصف واحد، يصطففن إلى جوار الحائط، هنّ، الآن متقابلات وجها إلى وجه مع العساكر، في ممر لا يتجاوز عرضه مترا ونصف المتر، لم يُحضروا كلابهم الذئبية، ذلك يعني أن هناك برنامجا مختلفا، في أول ليلة من أيام الإضراب عن الطعام، وقفن أنفا إلى أنف مع الكلاب الذئبية في هذا الممر الضيق، توقّعن إذا ما أظهرت اللاتي يخفن من الكلاب، أن يستمر استخدام مثل هذا الأسلوب، لكنهن استطعن تجاوز رهبن في ليلة وأحدة.

«إلى اليمين درًا معتدلاً إلى الأمام سرًا...».

مع أمر شاويش التعداد، ينعطف العساكر والمعتقلات إلى اليمين، يتقدم العساكر ببساطيرهم، والسيدات بكل أنوثته، ذلك نكاية بهم، لأنهن أكدن، منذ اليوم الأول، أنهن لسنّ عساكر ولن يقمن بأية تدريبات عسكرية.

«أين تجرون التعداد؟».

«دائماً، نجريه في الممر، سيدي».

يصطفن في الممر، وجها لوجه، العساكر والمعتقلات، في الأيام العادية، تأتي فرقة عسكرية واحدة لإجراء التعداد، في أيام الطوارئ لا سقّف لعدد أفراد فرقة التعداد، أيام الطوارئ أكثر من الأيام العادية، بحيث يتم التعداد طوال اليوم صباحاً ومساءً، وقد أعدّ وفق خطة ليكون نوعاً من العقاب، المجمع «أ» معتقل أقيم لهذه الغاية.

عندما أحضرت الأربعون سيدة المعتقلات إلى المجمع «أ» لغايات إعادة التأهيل، وسمعن صوت أول تعداد، أصبن بالذهول، كانت فرقة التعداد تركض بخطى عسكرية منتظمة، فتهز جدران المهجع. «من هؤلاء؟».

«صاعقة، قذيفة، على الأرض، في الجو، كوماندو».

كانت الساعة قد تجاوزت السادسة مساءً، عندما مرّت فرقة التعداد من أمام مهجعهم، متجهة نحو مهجع الرجال لإجراء التعداد، جاؤوهن بعد منتصف الليل لتعدادهن. في نهاية الأمر، تلقين عصي التأهيل بهن، لكنهن بعدما دخلن مهجعهم، شعرن بتحرر من الرعب، فالانتظار كان أصعب.

بعد اكتشاف البنات لهذا الترياق الناجع ضد المعاملة القاسية،

تحوّل انتظار ساعات التعداد كانتظار الحلقة التالية من مسلسل تلفزيوني. بعد طعام العشاء، يصفن مقاعد الأكل ويشكّلن مسرحاً صغيراً، رواية باللغة الإنجليزية، كانت الكتاب الوحيد في المهجع الذي تم تهريبه ضمن أمتعة إحداهن، ونجا دائماً من المصادرة في كل عملية تفتيش، ربما كان يحمل اسم «سر القصر الغامض»، رواية غموض ورومانسية، أجمل شيء فيها أنها طويلة، كل يوم، وقبل ساعة التعداد، تقرأ إحداهن، التي تجيد اللغة الإنجليزية، فصلاً واحداً وترويّه بشكل مسرحي، قد يصدف أحياناً ويستغرقن بالرواية، فينسين أنهن بانتظار ضرب عصا شاويش التعداد على القضبان الحديدية لكوة الباب.

في رهبة الأيام الأولى، تترك معظمهن أذرعهن ملفوفة بالضمادات والعصابات، يحمين كدمات ورضوض أفخاذهن ومؤخراتهن بالوسائد القطنية الصغيرة المخفية تحت تنانيرهن الواسعة.

مع مرور الوقت، أصبح التعداد يمر كأمر اعتيادي، كان على الواقعة في نهاية الطابور أن تقول «الأخيرة، سيدي!»، لكنهن بقين يعارضن قول «سيدي»، فينلن عقوبة الفلقة اليدوية، لا نصّ دستوري يلزم المرأة بالخدمة العسكرية.

تتاوبن على الوقوف في نهاية الطابور لنيل العقوبة بالدور.. ذات مساء كان دور دنيز، التعداد من اليمين: واحد - اثنان.. عشرة - أحد عشر.. ثمانية وثلاثون ويأتي الدور لدنيز، «تسعة وثلاثون»، «ما هو التسعة وثلاثون؟»، «التسعة وثلاثون هو عدد»، «كيف هو من عدد؟»، «عدد بخانتين..»، «فهمنا ذلك، ماذا ستقولين بعد تسعة وثلاثين؟»، «أربعون!».

ارتبكت دنيز فنسيت أن تقول «تسعة وثلاثون، الأخيرة»، يظن شاويش التعداد أن البنات قد خطون خطوة تمرد أخرى بتجاهل ترديد كلمة «الأخيرة» أيضا، بعد أن تراجع عن إجبارهن على ترديد كلمة «سيدي»، يسعى جاهدا لإجبارهن على ترديد كلمة «الأخيرة»، وإلا فكيف سيقدّم نتائج تعدادة للملازم؟ البنات يتلهفن للعودة إلى المهجع كي يستطعن الضحك على النقاش المضحك الذي امتد طويلا بين دنيز وشاويش التعداد.

سربيل، بطلة أخرى لعقوبة «الأخيرة» في حادثة أخرى، فتاة نحيلة هزيلة، تعاني من فقر الدم، كثيرا ما تُصاب بالإغماء، عند الخروج يوم دورها بعقوبة «الأخيرة»، تقول للبنات «يُغمى عليّ بعد العصا الثالثة»، تقابل بالمزاح، وجهة نظر جيدة، ليبتني يُغمى عليّ!» «آيسل، قفي إلى جانبي، لأستمد القوة منك».

يبدأ التعداد، لم تقل سربيل «سيدي» فيأمرها شاويش التعداد:

«مدّي يديك!».

ثلاث عصي لكل واحدة، يبدو أن سربيل برمجت نفسها.

«آي، سيُغمى عليّ، آيسل، هل تمسكين نظارتني؟».

لا يُغمى على سربيل إلا بعد أن تسلّم نظارتها.

كلمة «مدّي يديك» تؤلمهن أكثر من الضرب بحد ذاته، مدّ الأيدي والانتظار كأنهن يقلن «تفضلوا اضربوا».. كثيرا ما دعاهن إلى اتخاذ قرار:

«لن نمدّ أيادينا!».

ولكن، وجها لوجه مع عدد من فرق العساكر في ذلك الممر الضيق؟ عسكري لكل معتقلة، صديقة على اليمين وأخرى على

اليسار، لكنك لا تستطيعين رؤية وجهها لتستمدّي من عينيها الجرأة، بعد كل أمر «مدّي يدك!» تردّد وتلكؤ، عندئذ، تمدّ إحداهن يديها، تعقبها أخرى، ثم أخرى، وبعد قليل، تكون كل الأيادي قد فُتحت.

«هل أجريتم التعداد، تلك الليلة، في الممر أيضاً؟».

«كلا، سيدي، أجريناه في ردهة في نهاية الممر».

«لماذا لم تجروه في المكان المعتاد؟».

لأنه أوكل إليهم في تلك الليلة مهمة كسر الإضراب عن الطعام في مهجع السيدات، تركوا مهاجع الرجال التي بُدئ فيها إضراب جماعي عن الطعام، واستخفوا بناقصات الضلع، أعاجزون عن التعامل معهن؟

عند دخول المعتقلات الردهة ليجدن على الأقل ثلاث فرق من العساكر بانتظارهن، أدركن ماذا ينتظرهن.

اصطفت الفتيات على شكل حلقة، فأحاطهن العساكر بحلقة أخرى، عسكريان لكل معتقلة، وربما أكثر، اختار الشاويش مجموعة من عساكر الأفراد ضخام الجثة، واخترقوا الحلقة إلى وسطها، أعطى أمرا:

«أمُدُن أياديكن!».

لم تُمدّ ولا يد واحدة.

صاح الشاويش هادرا.

لم تصدر أي حركة، وهكذا، انتصرن!

بلا شك، ردة الفعل التي تعرضن لها كانت مروعة، لكن، عند عودتهن مع طلوع الفجر إلى المهجع، كانت البنات تشعرن بالزهو، ما إن أغلقت بوابة المهجع، حتى تعانقن جميعهن، اختلطت

الدموع بالضحكات، قليل من الضمادات وقليل من الأحلام، في تلك الأثناء، تقع عين إحداهن على وجنة سيفال:

«آآ، انظري إلى وجنتك يا سيفال!».

تقف سيفال على أطراف أصابع قدميها كي تصل إلى المرآة التي فوق المغسلة، هي الأصغر حجماً في المهجع، طولها مئة وخمسة وخمسون، ووزنها خمسة وأربعون.

على وجنة سيفال وذمة تكبر بسرعة تلحظها العين، لا بد أنها ضربة عصا جاءت مباشرة على العظمة الوجنية، «يبدو أنها سببت استسقاء داخلها» تقول ساكنة طالبة الطب. يعملن لها ضمادات، بلا فائدة، بعد قليل تصبح الذمة بحجم حبة البطاطا، فجأة تطلق سيفال صيحة فرح:

«غدا ستُعقد جلسة محاكمتي، المحامون والحضور، الجميع سيرى مدى العنف الذي أتعرض له، سيدركون ذلك، حتى لو مُنعت من الكلام».

المحكمة، هي الطريق الوحيد لإيصال الخبر إلى خارج المعتقل. في اليوم التالي، يودّعن سيفال إلى المحكمة بقلق، جميع من في المهجع ينتظرن عودتها على أحر من الجمر. سيفال، لا تعود، الأسئلة من دون جواب، أسبوع كامل، جميع من في المهجع في قلق، ومشغولات البال، يصلهنّ خبر أنها لم تُرسل إلى المحكمة، أهي على قيد الحياة؟ حتى لو كانت على قيد الحياة، أين هي، وماذا تفعل وحدها؟ لن تتراجع عن الإضراب عن الطعام حتى لو قتلوها، لكن ليس صعباً أن تكون وحيدة؟ بالنسبة لهن، فهنّ معاً بنفس الحال. يُحضرون سيفال في اليوم الذي ينتهي فيه الإضراب عن الطعام، فقدت على الأقل خمسة كيلوغرامات، ستطير لو يُنفخ

عليها، يعانقنها بحرارة.

وُضعت في الحبس الانفرادي لمدة أسبوع، لا بد أنهم انتظروا حتى تتعافى وذمة وجنتها، عندما لم تُودع في حينه إلى المحكمة، راجعت عائلتها ومحاميها كل من استطاعوا مراجعته، كانوا في خشية من أنها قُتلت، قيل لهم إنها عوقبت بالحبس في الزنزانة الانفرادية لعدم انضباطها أثناء إجراء التعداد، في نهاية الأمر، أُخبرت أنه رُفِع بحقها دعوى، وأُخرجت من الزنزانة الانفرادية، مازال على وجنتها ازرقاق خفيف.

تلوّح سيفال بلائحة الاتهام المؤلفة من صفحتين بيدها:
«رفعوا دعوى ضدي!».

لمعظمهن مع الإدارة دعاوى غريبة ضدهن، إحداها معروفة. تقرأ سيفال لائحة الاتهام في المهجع، عند قراءتها، يدركن أنها لن تكون أغرب من الأخريات، ينقطع الكلام مرارا من الضحك.
«بماذا يتهمونها، بماذا؟».

«بمحاولة ضرب شاويش التعداد!».

«عد إلى حادثة الضرب، كيف لكمتك هذه الفتاة؟».

«هاجمتني، سيدي، هاجمتني».

«أعطيت أمرا، سيدي، قلت إلى اليمين در، سرن جميعهن، عندما دخلنا إلى الرواق لإجراء التعداد، بدأت هذه البنت بالصياح فجأة: (فاشيون قذرون، لن تستطيعوا وقف نضالنا!) مثل هذه الشعارات هتفت، فحذرتها، كي لا تثير الفوضى أثناء عملية التعداد، هجمت عليّ، سيدي».

«هل هجمت هذه الفتاة عليك؟».

«نعم، سيدي».

- «وماذا فعلت أنت؟» .
«انحرفت جانبا، سيدي» .
«ولماذا انحرفتَ جانبا؟» .
«لأدافع عن نفسي، سيدي» .
«ألم تلمس الفتاة؟» .
«لم ألمسها، سيدي» .
«وماذا حدث بعد ذلك؟» .
«هي صدمت بشدة، سيدي» .
«ماذا صدمت؟» .
«صدمت وجنتها، سيدي» .
«بماذا صدمت وجنتها؟» .
«صدمتها بمشع التدفئة، سيدي» .
أنقرا 1986 - إستانبول 1990

عائشة ساريساين
AYŞE SARISAYIN
1957

ولدت في إستانبول، أكملت دراستها الثانوية في المدرسة الألمانية، تخرجت عام 1981 في كلية الهندسة الكيميائية بجامعة إستانبول، وعام 1986 حصلت على ليسانس الإدارة في كلية الاقتصاد بجامعة إستانبول، عملت في شركات صناعة الدواء.

جمعت عام 1984، قصائد كان والدها الشاعر «بهجت نجاتي غيل» قد ترجمها لعدد من الشعراء الألمان والنمساويين، وأصدرتها في كتاب بعنوان «الوحدة تشبه المطر». وأصدرت مع أختها عام 1999، كتابا بعنوان «زرقة النسيم» يضم رسائل والدها إلى أمها. وأعدت عام 2001، كتابا عن والدها بعنوان «أشياء كثيرة لم تكتمل بعد».

وأصدرت عام 2009، كتابا عن سيرة الكاتب إردال أوز بعنوان «إردال أوز فارس لا ينسى». وأصدرت كتابا عن إستانبول بعنوان «بشيكتاش على مدى

الطرقات والذكريات» وذلك بمناسبة إستانبول مدينة الثقافة لعام 2009.

وأصدرت عام 2010، كتاباً للأطفال بعنوان «قطتي اسمها تشامور».

كما ترجمت من الألمانية العديد من الكتب في مجال الشعر والرواية والقصة ولها كتاب لتعليم اللغة الألمانية.

نالَت عام 2004 جائزة يونس نادي للقصة القصيرة عن أولى مجموعاتها القصصية لها «البحار جدران أربعة».

ونالت عام 2005 جائزة سعيد فائق للقصة القصيرة عن مجموعتها القصصية الثانية «زمن الذكريات المتعبة»، والتي اختيرت منها قصتها ضمن هذه المجموعة القصصية.

ونالت مجموعتها القصصية «رسومات بقلم الفحم» على جائزة كتاب العام 2008 التي نظمتها مجلة عالم الكتاب.

يقتلون الأحصنة أيضا
«الحصان، محاكاة عشق في السماء
وأصل عرفه الأزرق الناصع»
جان بهادريوجي
لذكرى العزيزة لبيبة

لم أتكلم ذلك اليوم، لم أنطق ولا بكلمة واحدة، لم أتناول لقمة خبز واحدة، ولا جرعة ماء واحدة.. ارتاع الجميع كيف سأحتمل. حسب ما روته أختي الكبرى، كنت أهدق بجدتي بعينين مفتوحتين على وسعيهما، أتجول وأدور في البيت بوجه باك. لا أتذكر التفاصيل، لم يكن ما رأيته سوى حلم، مازال أمام ناظري، وكأنه فيلم رعب شاهدته أمس.

لكنني أذكر أنني شققت باب غرفة الضيوف بهدوء، وعندما لم أشاهد أحدا يجلس على الأرائك المخملية الخمرية، شعرت بالفرحة.

حتى المساء، انمحي من ذاكرتي ما فعلته كليا، وعندما هبط الظلام، سمعت صوت بائع العتيق: «بائع العتيبيق، أشتري العتيق، بائع العتيبيق...».

أخبروني فيما بعد، أنني هرعت إلى النافذة، وألصقت أنفي بالزجاج كالمسحورة ونظرت إلى الخارج، ثم شرعت بالنحيب، بعد محاولات عديدة من أختي الكبرى وأمي، أخبرتهما وأنا أشهق بالبكاء أن الحصان قد أكلني.

حين قالت أمي: «عندما تبكين يحمر أنفك وتصبحين قبيحة»، سكتُ على الفور!

أكلني الحصان في حلمي، حصان بائع العتيق. الباب يُقرع، «من القادم؟»، أعلم أن الأبواب لا تُفتح دون قول ذلك، لكنني أخجل جدا من هذا السؤال، فتخرج هذه الكلمات من فمي كهمس لا يكاد يُسمع، مستحيل أن يسمعه القادم ويجيب! في نفس اللحظة، أفتح الباب على الفور، وكما أفعل دائما.

قرعُ البابِ حَدَثٌ جميل، يعني الفضول، يعني الإثارة، يعني الفرح وأجمل ما فيه التغيير، كما أنني أهبُّ من مكاني مسرعة لأفتح الباب قبل الآخرين، قد يكون القادم ساعي البريد، فيرث على رأسي وهو يضحك، ما إن ألتقط الرسائل منه حتى أهرع إلى غرفة عمل أبي! أحيانا، ينفحني أبي شوكلاته، أصابع الشوكلاته أكثر ما أحب، بعد أن أكلها، أفرد لفائفها البراقة وأخبئها إلى جانب سابقاتها بين دفاتري، يحل المساء سريعا وأنا ما زلت أحسب عدد كل لون منها، ربما يكون خالي أسعد، من قرع الباب، فيحتضني ويرفعني في الهواء، ويقرصني من وجنتي، أكثرنا من يفرح بقدم خالي، هي جدتي، تواصل الابتسام طوال اليوم، حتى بعد ذهابه، وإذا ما قدم أحد خالي التوأمين أورهان وبرهان، ننزل إلى باحة المنزل في طابق التسوية ونلعب بالمدومة، غالبا ما يأتیان معا، حينئذ لا يلعبان معي كثيرا، أفضل أن يأتيا

منفردين، قد تكون القادمة ابنة جيراننا سيبل، فتقرأ وأختي الكبرى الفال بورق اللعب، يظهر في الفأل نجات: الفتى الأشقر المقيم في الزقاق المجاور. نجات، طالب ثانية ثانوي، يكبر أختي الكبرى بثلاث سنوات، «وسيم جدا»، تتهامسان ظنا منهما أنني لا أسمعهما، وتحاولان تشبيهه بممثل لم أسمع باسمه، «أوف، سيبل»، تقول أختي الكبرى، «يا لسوء نيتك! حتى إنني لا أفكر به!»، بعد ذهاب سيبل، أصبح خلف أختي الكبرى «نجات، نجات!» كي أغيظها، مجيء الغسالة غول هانم، أمر يسعدني، فقد كنت أتابع بفضول كيف يتم استخدام «النيلة الزرقاء» لتبييض الغسيل الأبيض، أما إذا ما جاءت صديقة أُمي الخالة مسرّت.. فلا بد أن تحمل لي في حقيبتها إما لعبة وإما قطعة شوكلاته.

لكن قارع الباب هذه المرة، لم يكن أيا منهم، مفاجأة كبرى! حصان بائع العتيق يقف أمامي، انتصب على قائمته الخلفيتين يصل.

سهيل.. هذا ما يقوله أهل البيت، تعلمت كل ذلك: الكلاب تتبع، والقطط تموء، والأسود تزار، أما الخيول فتصهل، لكن بالنسبة لي فهي تفرقر، كلما صهل الحصان بانت أسنانه الكبيرة القذرة والمائلة للاصفرار، عيدان تبين بين أسنانه، مقرف جدا! أتراجع إلى الخلف من الخوف، هل يقرع الحصان الباب؟ لكن ليس له يدان! ربما بائع العتيق قرع الباب وهرب، ذات مرة، حينما سمحت لي أُمي باللعب في الشارع، أطفال مشاكسون قرعوا بابا وهربوا، بينما بقيت وحدي أمام الخالة التي فتحت الباب! في الواقع، حين رأيتي الخالة أبكي، لم تفضب، لكن أُمي وبختني عند عودتي إلى البيت مساء؛ كيف عرفت! أعلم أن الأمهات يعرفن

كل شيء، لكن كيف؟ ذلك ما لا أفهمه أبداً، هل فعل بائع العتيق نفس الشيء؟ بائع العتيق الشرير الذي يلقي بالأطفال المشاكسين في عربته، ويأخذهم بعيداً.. وبشكل خاص، أولئك الذين يبقون في الشارع بعد حلول الظلام، ولا يعودون إلى بيوتهم رغم نداءات أمهاتهم، ماذا يفعل بالأطفال الذين يأخذهم يا ترى؟

أسمع من بعيد نقر عصا جدتي «طق، طق» ثم صوتها الناعم: «تفضلوا، تفضلوا، لا تقفوا بالباب...»، أختبئُ تحت طاولة الوسط في غرفة الجلوس، وأنتظر فترة من الوقت، لا أسمع صوتاً، أذهب بهدوء إلى غرفة الضيوف، فأرى من فرجة الباب جدتي والحصان لا يجلسان متواجهين فحسب، بل على الأرائك المخملية الخمرية التي تحرص أمي عليها كعينيتها! جدتي تسأله عن أحواله، تماماً كما تفعل مع الضيوف: «كيف صحتك يا بني؟»، يهز الحصان رأسه وهو يصهل، كما أنه يجلس واضعاً ساقاً على ساق! رغم أن جدتي لا تعجبها مثل هذه الحركات، لكن! لماذا لا يبدو عليها الانزعاج أبداً من طريقة جلوس الحصان هذه؟ «كيف حال أمكم وأبيكم، هل هما بخير؟ لقد نسيت اسم أخيك، أرجو المَعذرة، بسبب الكِبَر...»، يسهل الحصان ثانية، كلما سهل الحصان سال لعابه من حنكه، حتى كاد أن يقطر على الأرض! أنا متأكدة، أن جدتي لن تحتل إلى هذا الحد، تغضب كثيراً إذا ما دلقنا أي شيء على الأرض، على اعتبار أننا نُنْعِبُ أمنا، لم يبقَ إلا القليل حتى يُطرد الحصان الوقح وغير المؤدب! في اللحظة التي اقتربت فيها من الأريكة لأهزأ منه، أشارت جدتي بحاجبها: «ابنتي، قدّمي الحلوى! آه، لا يعقلون هؤلاء الأطفال ولا بأي شكل...»، أنهضُ من مكاني وقد خاب

ظنني، وبينما أمدّ علبة البورسلان البيضاء بالحلوى، «الضيوف أولاً»، تقول جدتي من بين أسنانها، «لم تتعلمي بعد!»، تُخطئُ، تعلمت ذلك منذ أمد بعيد، لكن الخيول لا تحب الحلوى، لا تأكل سوى التبن، صعب جدا أن أشرح لها ذلك، وبخاصة أمام الحصان! من الواضح أن الحصان ضيف جدتي، وأمام الضيوف، لا مجال للاعتراض على أي شيء أبدا، يقال بعد ذهابهم، إن كان مهما، الأفضل هو تقديم الحلوى للحصان، على أية حال، لن يأخذ، عندئذ ستدرك جدتي ذلك! أمدّ علبة الحلوى وأنا أقرب من الحصان مرتعشة، وتماما مثلما شرح لي، أنحني إلى الأمام وأتبسم، يمر في ذهني أن جدتي ستهمس بعد قليل قائلة «كولونيا!»، سأحضرها هذه المرة قبل أن تقول، ستندهش كثيرا. وهكذا في تلك اللحظة يحدث وينتهي كل شيء، الحصان يمدّ قائمته الأماميتين نحوي وينهض على قائمته الخلفيتين، يقبض عليّ بشدة ويرفعني في الهواء، فمه المفتوح إثر سهيل جديد، وأسنانه الكبيرة الصفراء، ولسانه وقد التصقت به عيدان من التبن، كل ذلك قريب جدا مني! فمه يتسع ويتسع ويتسع.. كل شيء يختفي ويصبح فمه العالم كله، جليفر في بلاد العمالقة، أليس في بلاد العجائب.. عقلة الإصبع، في أي حكاية كانت، هل في بيتربان؟ أنا الآن في فم الحصان، أتجول بين أسنانه، أمر عجيب، لا يسحقني رغم وجودي بين أسنانه، ربما لأنني صغيرة جدا. رحلتي تستمر، أتقدم في طريق يشبه ما نعبه بالقطار من أنفاق طويلة ومظلمة، بعد مضي وقت طويل داخل هذه الأنفاق حالكة السواد، نور يظهر من بعيد، وأخيرا، أنزلق وأسقط في فراغ، الجو حار جدا، خانق ويسبب

الإقياء! كأنني في مكان يشبه مخزنا للتبن، الموقف الأخير، لا بد أنها المعدة! أركض يمنا ويسارة، لا باب مخرج ولا حتى ثقب واحد، جميع الأنحاء مغطاة بالتبن. أمي العزيزة، أمي العزيزة، أنقذيني من هنا، أرجوك! كل ذلك أصابني بسبب جدتي، لن أسامحها أبدا. أمي العزيزة، أعدك، لن أسيء السلوك أبدا، ولن أغضب جدتي أبدا، لن أصيح «نجات!» خلف أختي الكبيرة، ولن أصيح «قشطة يا لبن!» عندما يمر بائع اللبن ويرن بجرسه، لن أحضر العابي وأبعثرها في غرفة الجلوس، كما لن ألمس التحف الموجودة في الخزانة الزجاجية، لن ألعب مع الأطفال الذين يقرعون الأبواب ويفرون، وعد! لن أزعج أحدا منكم، أرجوك، أنقذيني..

لم أكن أذهب إلى المدرسة بعد، فعندما رأيت هذا اللحم كنت في الخامسة أو السادسة من عمري، أول حلم أتذكره، التهام الحصان لي، كان أيضا، أول كابوس لي.

بقينا سنتين أخريين في ذلك البيت، غالبا، يمرّ بائع العتيق كل مساء، مع حصانه البني من أمام بابنا، كنت كلما سمعت صوت بائع العتيق وهو يصيح، أركض إلى النافذة، وأنظر خلسة من خلف الستارة التولية إلى الحصان الذي أكلني.

باعت أمي أشياء قديمة لبائع العتيق مرات عدة، تساوما أمام الباب، في تلك الأثناء، اقترب الحصان جدا من بيتنا، اختبأت في البداية، تحت الطاولة، ثم خلف فستان أمي، رغم شدة خوفي، لم أستطع منع نفسي من مراقبته.

نسيت حنقي على جدتي مع مرور الوقت، لكنني لم أنس أبدا أن إكرام الحلوى يكون للضيوف أولا، بل أحضرت الكولونيا أكثر

من مرة قبل أن ينبّهني أحد، «مرحى، حفيدتي الصغيرة كُبرت!»،
قالت جدتي فرحة.

في تلك الأثناء تعلمت أن جدتي تعرف أشياء أكثر مني كحب
الخيول للسكر، شيء واحد لم أتعلمه ألا وهو عدم الرهبة من
الأحصنة.

بعد ذلك رحلنا إلى بيت آخر وتركنا بائع العتيق وحصانه
الذي أكلني، وساعي بريدنا، وبائع اللبن ذا الجرس، وجارتنا
مليحة هانم وابنتها سيبيل، والغسالة غول هانم، وكل أطفال الحي
الذين يقرعون الأبواب ويفرون والذين لا أستطيع اللعب معهم
بعد هبوط الظلام، لم أرَ أحدا منهم بعد ذلك.

كان بيتنا الجديد يقع على شارع واسع، هنا، لا أطفال يلعبون
في الشارع، كما أصبح لجدتي كرسي بعجلات، رُفعت عصاها
الطويلة التي كانت ترعيني بصوتها «طق، طق» إلى الخزانة.
ثم أقمت في بيوت أخرى، على امتداد الطلعة ما بين
«بشيكاتاش» وحتى «تشفيكية».

بعد عدة سنوات، وذات صباح، تقابلت مع رجل مسن وحصان
أبيض يتسلق لاهثا أحد الأزقة الخلفية الضيقة حادة الميل.
هل كان الرجل في الحقيقة مسنا حقا، أم بدا لي بطيش ابن
العشرين؟ لا أدري.

بدا لي الحصان وصاحبه بنفس العمر لحظة رؤيتي لهما، كأن
على محياهما نفس الملامح، الشحوب والتعب.

عند خروجي على عجل للذهاب إلى مكان عملي ذات صباح،
وجدتهما أمامي فجأة، كانت العربة محملة بالخبز، وقوائم
الحصان كانت تنزلق على حجارة الطريق، كان الرجل المسن

يحاول مساعدة الحصان بدفع العربية من الخلف، صعدا الطلعة بصعوبة وتوقفا أمام بقال في الطابق الأرضي للبناية المجاورة، كان رجلا نحيلًا وقصير القامة، عظمتا وجنتيه ناتئتان، أحول العينين وبوجه دقيق، شعره أسود حالك وقد فُرق إلى الجانبين وصُفّف بعناية، أخرج قميصه الأبيض الذي يشبه مئزر طبيب الأسنان فوق مئزر البائع الأزرق المربوط على وسطه، أكمام إضافية من نفس قماش المئزر تغطي أكمام القميص الأبيض، كان مشهدا مثيرا للانتباه!

استدعى الرجل المسن في مخيلتي ثلاث شخصيات مختلفة: طبيب أسنان، وبائعا وموظف مؤسسة! أما الصفة المشتركة فيما بينهم، فملاح الوقار والحكمة كأحد أفندية إستانبول القدامى. بعد عودتي إلى البيت مساء ذلك اليوم، تذكرت أول حلم لي، حصان بائع العتيق الشرير، رويته لعلي وأنا ألهث، أمضينا الليل بالتحدث والضحك من أحلام الطفولة.

أقابل بائع الخبز وحصانه كل صباح، فيما عدا نهايات الأسبوع حيث أستيقظ متأخرة، يبدو أنه كان يأخذ الخبز بالجملة من الفرن ويوزعه على البقالين في الجوار. في البداية، بدأنا السلام بابتسامة خفيفة، ثم بتبادل التحية بالقول «صباح الخير!»، بعد مدة «أشغال موفقة!» أضفت إلى «صباح الخير!»، وتلقيت في كل مرة جوابه «ولكم أيضا!».

ذلك الصيف مرّ سريعا، مع ما صاحبه من بيتي الجديد وحرיתי والحماس نحو حياة بلا حساب من أحد، في ليالي الصيف الطويلة، تسكعنا على شواطئ البحر هربا من ضيق غرف بيتنا وضغط الأبنية المزدهمة المتلاقصة في الأزقة

الضيقة، أكلنا السمك والخبز من المراكب، وشربنا الجعة وغنينا حتى تعبنا، في صباحات الليالي البيضاء، كنا نتقابل وبائع الخبز وحصانه، كنا شبابا إلى الحد الذي لم نكن نأبه لا بالتعب ولا بانتهاء الصيف، كنا سعداء جدا.

بدأ بائع الخبز بارتداء معطف من الجلد فوق مئزره الأبيض، وعلى رأسه قبعة من الجلد والفرو تغطي أذنيه، أول ما رأيته بمعطفه الجلدي، بحثت عيناى عن لباس للحصان يتناسب لونه ولون مئزره الأبيض، حلّ الخريف وانقضى، وأقبل الشتاء.

لاحظت ذات يوم أنني لم أر بائع الخبز، لا أعلم متى لاحظت عدم ظهوره، شعرت للحظة، فقدان جزء من حياتي في الزقاق، بدأت بالتدقيق بشكل خاص، لكنني لم أره، أسابيع مضت ولم يظهر للعيان.

ذات صباح، وبينما كنت أستعد للخروج من البيت، ركضت إلى النافذة إثر سماع صوت عليّ يقول «انظري، لقد عاد!»، كان هناك غير بعيد عنا، يفرغ الخبز بالسلال.

شعرت بغرابة، بقلق لا أعرف سببه، بجو خانق كالذي يسبق مطرا مستعصيا، كأن الهاتف سيرنّ لسماخ خبر سيئ.. في ضيق لا أدري كنهه، كمثّل بعد ظهيرة يوم أحد رمادي لا أعرف ماذا أفعل.

ثم شاهدت الحصان، كان بني اللون، قميص بائع الخبز مازال أبيض.

مرّت من أمام عيني المشاهد الأخيرة لفيلم شاهدته منذ سنوات، حصان أطلق عليه الرصاص، فسقط أرضا وهو يصرخ من الألم.

يدان أحاطت كتفيّ من الخلف بحنان، همسٌ في أذني يقول
«لا تجزعي! يصبغون الأحصنة أيضا».

كما تتبجّر قطرات المطر بعد أن تشرق الشمس إثر أول هطول
صيفي.. جفت دموعي أيضا على الفور، رائحة النجيل عبقت في
كل الأرجاء، وازرقت السماء، ذهلت، هل للحب رائحة ولون؟
«هل ذلك حقيقي؟»، سألت، «لا يقتلونهم فحسب؟ بل في
الحقيقة يصبغونهم؟».

«بالتأكيد»، هزّ رأسه قائلاً، «أم نسيت أن والدي طبيب
بيطري؟ أنا أفهم بالأحصنة، لا داعي ليكائك، سيحمرّ أنفك
ثانية».

كم كان يبدو جديًا ووثاقًا من نفسه!

«حسنًا»، قلت، «هيا نخرج، سنتأخر عن عملنا».

لم أسأل بائع الخبز عمّا حصل للحصان الأبيض، حتى إنني
لم أسأله «أين كنتم؟ عساه خيرا، هل هناك مشكلة ما؟» لم أقل
ذلك الصباح سوى «عليك العافية»، بدلا من «أشغال موفقة!»،
«سلمتم، موفقون»، أجاب.

رحلنا بعد سنة من ذلك البيت، لم أعد أرى بائع الخبز ولا
حصانه الذي صبغه باللون البني، تماما مثلما لم أعد أرى بائع
العتيق وحصانه الذي أكلني.

صداقتي مع الأحصنة تدوم، وما زلنا معا أنا وعليّ.

مع أن رغبتني بالغناء في الأزقة قد تضاءلت، لكنني لا أمسك
نفسي عن الضحك، كلما رأيت حصانا.

فبراير 2004

نالان بارباروسوغلو
NALAN BARBAROSOĞLU
1961

ولدت في أضا بازاري، درست الفلسفة في جامعة إستانبول وتخرجت عام 1982، شاركت بتأسيس «يازكو» (تعاونية الكتاب والمترجمين) إثر استيلاء الجيش على السلطة عام 1980، كما شاركت بإصدار مجلة «يازكو سومت» الأدبية ودار يازكو للنشر. أصدرت العديد من المنشورات في مجال الفلسفة، وأصدرت أول كتاب لها بعنوان كتابات يازكو الفلسفية، ناقشت فيه مفهوم الأنموذج عند توماس كوهن، ثم يازكو في الواقع المادي، أغلقت التعاونية وكافة مرافقها بعد انسحاب العديد من أعضائها على خلفية نقاشات وسجلات حادة بين أعضائها.

كُتبت في العديد من المجالات وأدارت تحريرها، تعمل حالياً رئيسة تحرير مجلة «إشيكجني» الثقافية.

عضو في اتحاد الكتاب العالميين، كما تشارك في هيئات التحكيم الأدبية، تُرجم عدد من قصصها إلى عدد من اللغات العالمية، وتُرجمت مجموعتها القصصية «الليلة الفضية» إلى اللغة الألمانية. بدأت كتابة القصة في الثمانينيات، ونشرت أولى

قصصها في مجلات «أرغوس» و«نار» و«آدم»، وتعرضت في قصصها لأنماط الحياة المفروضة من خلال العادات المتوارثة، وأظهرت في شخوصها جرأة على مواجهة أنفسهم وحقائقهم في لحظات الحياة العصبية.

صدر لها في مجال القصة القصيرة: كم هو جميل الرحيل (1996)، لكل صوت نغم (2001)، دوّار الشمس (2002)، الليلة الفضية (2004)، أضواء الطريق (2009)، قصص قنابلذرور الفلفل/ مكان الحريق كل العيون (2014)، بريد القراء (2014). كما كتبت في التاريخ: نحو نهج تعددي ومتسامح في تعلم التاريخ. وكتبت للأطفال: السمكة التي تسعى للطيران (2014).

لم أجد هذا التبرير مقنعا، لكن لا أدعي أنني على دراية بالأطفال، أصطحبه معي عند ذهابي إلى الصيدلية، ينظر كما الآن إلى الشارع بسكون وصمت.

..جررررر

يلعب، من حين لآخر، أمام الصيدلية مع القط الذي أسميناه هوسين، كما يرغب، أحيانا، بالذهاب مع صبي الصيدلية إلى حديقة الحي العامة، ويلعب في حوض الرمال عندما يكون الجو صحوا، لم يألفني بعد، تشوب العلاقة فيما بيننا بعض الجفوة، في الحقيقة، هو غير ودّي مع الجميع.. بل حتى في علاقته مع أبيه.

..جررررر

لا طفل في محيطي القريب، معرفتي بالأطفال من الطريق فقط، أو في السيارات العمومية، والحافلات، أو من يحضر لأخذ حقنة في الصيدلية، فألاطفهم بالقول «كم أنت طفل ظريف!»، حتى دخل هياتي وستشكين إلى حياتي.

..جررررر

الفضى التي تعم البيت تثير أعصابي، وزادني حال الطفل الحزين توترا.. هياتي في أنقرا، ذهب منذ مساء يوم الجمعة، عنده جلسة صباح الاثنين، قال: «لأستغل هذه الفرصة وألتقي بأصدقائي القدامى».

- إذا شئت أفتح لك التلفزيون، قد نجد رسوما متحركة ..
- ليكن..

أفتح التلفاز، وأبحث عن قناة تعرض رسوما متحركة..
«ليكن..» لم يقل «كلا» أو «أجل» بل «ليكن!» وكأنني أنا من سيجلس

لمتابعة الرسوم المتحركة! هاه، وجدت واحدة، جلس على الأريكة المواجهة للتلفاز، أبدل قصارى جهدي كي يمضي أوقاتا سعيدة.. لو كان ابني، هل كنت سأتعامل معه هكذا يا ترى؟.. ماذا يجب عليّ فعله بصفتي زوجة أبيه؟.. هل يجب أن أجبر نفسي على أن أكون ودودة دائما؟ أم أتصرف على سجيتي، فأثور عند الغضب.. لكن كيف نغضب من طفل، حتى ذلك لا أعرفه، صورة زوجة الأب تعشعش في رأسي نتيجة تراكمات نظرية حولها لمئات السنين..

جرررررررر

دموع أمي.. تأثرها لزواجي من رجل له ابن بعد أن أضعت أكثر من فرصة..

جرررررررر

أمي: من جهة، الرجل مطلق وليس أرملا، ومن جهة أخرى، لم ترغب زوجته السابقة حتى من أخذ ابنها منه، لقد تخلصت من الاثنين. من يعلم كيف كان يعامل المرأة، حتى لم ترغب بطفله؟.. أية امرأة تلك التي تتخلص من زوجها وابنها معا؟..

جرررررررر

أنا: أرجوك لا ترددي كلمتي رجل وامرأة.. الرجل الذي تتحدثين عنه سيصبح صهرك قريبا.. كما أن من طلب الطلاق هي نوردان هانم وليس امرأة.. والرجل هو هياتي.. لم يستطيعا التفاهم.. ولم يستطيعا تقاسم حياة مشتركة.. ولم يستمر هذا الزواج رغم وجود الطفل..

جرررررررر

أمي: وهل سينفصل عنك أيضا، إذا لم تسر الأمور كما تشائين؟.. أهنئك زواج كل أيامه سمن على عسل؟.. لو انفصل

كل زوجين عند حدوث أي خلاف.. لما بقي في الدنيا زوجان معا، هذا زواج يا بنيتي لا لعبة أطفال.. انظري بعيني، سأذكرك؛ هذا الرجل سينفصل عنك أيضا.. لقد اعتاد على ذلك.. أنا على قناعة أكيدة، سترين!

جررررر..

أنا: كم أنت متحاملة عليه يا أمي!.. وقد لا تسير الأمور كما أرغب، أيجب على المرء أن يظل أسير زواج غير سعيد؟.. أيجبر اثنان على العيش معا حتى لو لم يتفقا، ولم تسر الأمور بينهما على ما يرام؟..

جررررر..

أمي: ماذا أقول، وما دمت أنت تفكرين مثله؟.. صدقيني فقلبي لا يحتمل، تعالي، انظري.. ضعي يدك وأصفي كيف يدق.. منك طفل آخر أيضا.. ومسؤولية الطفل من المرأة السابقة.. أووه.. والله سيتركك ويذهب.. وجد امرأة حمقاء مثلك.. لكن يبدو أن زوجته السابقة عاقلة، تخلصت من الطفل.. لكنك لا تستطيعين فعل ذلك، من مثلك يقعون دائما على وجوههم.. أعلم ذلك!

جررررر..

أنا: لا تتحدثي وكأنك تعلمين كل شيء يا أمي! كيف تستطيع امرأتنا المسكينة أن ترعى الطفل براتبها في قصر العدل؟.. وكم يبلغ وهي موظفة حكومية من الدرجة التاسعة؟.. كما أنها لا تريد المطالبة بالنفقة، قالت امرأتنا المسكينة: «إن راتبي لا يكاد يكفيني وحدي، وماذا عن مصروف ستشكين؟ سأصطحبه في نهاية كل أسبوع، وفي عطلاتي السنوية»، وماذا ستفعل أكثر من ذلك؟.. ما دام لا دخل آخر لها، هل تظنين أنه من السهل رعاية طفل بهذا الراتب؟!

ذلك ما كنت سأسأله عنه.. كي أنطلق غدا صباحا»، أجيب: «عندكم جلسة في أنقرا صباح الاثنين.. هياتي في أنقرا»، يسود صمت على الهاتف، ينتظر كل منا الآخر ليتكلم، يتدارك نعيم ويقول: «يا.. أجل، يا الله كيف نسيت ذلك، لقد أزعجتك»، هل سمع قولتي قبل إغلاق الهاتف «ليس مهما» أم لم يسمع، لا أدري، ستشكين يراقبني باهتمام من فوق الأريكة أمام التلفزيون، عندما تلتقي نظراتنا يدير وجهه نحو التلفزيون، يشاهد الفأر بالمصيدة التي أعدتها له القطة، لكنه بعيد عن المتابعة.

جررررر.. يُفتح في داخلي جرح.

أقول: «لو أفتح هذه الرزم التي أغلقتها وأجلس في داخلها سيكون جيدا»، أسأل ستشكين قائلة «هل تساعدني يا صغيري؟»، يقول، من دون أن يزيح عينيه عن التلفاز: «لم يبق سوى القليل حتى نهاية الفيلم»، لا أستطيع أن أرحل هذا الجرح الذي بداخلي مع كل هذه الأشياء إلى بيت جديد، ليكون أكثر راحة وأكثر سعة لثلاثتنا، يجب تأجيل موضوع تغيير البيت، على الأقل، أستطيع الانتظار لمدة من الزمن، سأقول لصاحب البيت الجديد: «واجهتني أمور لم تكن بالحسابان، لقد أطلت كثيرا، ليكن بدل الدهان والقصارة عن فترة التأخير.. كما يمكنك رفع أجره البيت، وهكذا لن تكون قد خسرت شيئا»، نعم أقول ذلك، يجب أن أقول، يجب أن أعيد التفكير بكل شيء، يجب أن أعيد خططي.

جرررررر.. يجب أن أداوي الجرح الذي في داخلي.

- لعنة الله عليّ!

أوقعت رزمة الأكواب من بين ذراعي.

- لا بد أنها كُسرت جميعها!

ينهض ستشكين من مكانه، ويهرع نحو ي راكضا، يقول:
«لا تحزني، سأجلب لك أكوابا جديدة»، أعانقه، أدفن رأسي في
عنقه الصغير وأنشج، أشعر بلمسات يده الخفيفة على رأسي،
أريد أن ألدّه! أريد أن ألدّه من جديد!

أصلي إردوغان
ASLI ERDOĞAN
1967

ولدت في إستانبول، أنهت دراستها في المدرسة الأمريكية في إستانبول عام 1983، وحصلت عام 1988 على البكالوريوس في هندسة الحاسوب والفيزياء من جامعة اليوسفور، حصلت على درجة الماجستير أثناء عملها البحثي في المجلس الأوروبي للأبحاث النووية، ثم أوفدت إلى ريوديجانيرو لإعداد رسالة الدكتوراه في الفيزياء النووية، لكنها اختارت طريق الأدب بعد أن أمضت عامين في أمريكا الجنوبية حيث أصدرت أولى رواياتها عام 1994 .

كُتبت المقالات والشعر والقصة في الصحف والمجلات، وترجمت معظم أعمالها إلى العديد من اللغات، وعُرض عملها «في صمت الحياة» على مسرح بيكولو في إيطاليا .

عملت كاتبة زاوية في صحيفة «راديكال»، ثم كاتبة زاوية في صحيفة «يوميات الحرية» حتى إغلاقها بتاريخ 24 مارس 2012 بدعوى قيامها بالدعاية لتنظيم سياسي محظور .

عضو في اتحاد الكتّاب العالميين، كما شاركت في لجنة «كتّاب في السجون» التابعة لاتحاد الكتّاب العالميين .

أعمالها في مجال الرواية: الرجل المستتر (1994)، مدينة بعباءة قرمزية (1998)، في صمت الحياة (2004).
وفي القصة القصيرة: الموظف المعجزة (1996)، بناء حجري وخلافه (2009).
وفي البحث والمقالة: نهاية رحلة (2000)، يوميات مجنون (2006)، مرة أخرى (2006).
نالَت عام 1990 جائزة يونس نادي للآداب/ المرتبة الثالثة عن أولى قصصها «ملاحظة الوداع الأخير».
ونالت عام 1997 الجائزة الأولى لمسابقة إذاعة صوت ألمانيا عن قصتها «الطيور الخشبية» وتُرجمت إلى تسع لغات عالمية.
أدرجت مجلة «لير» العالمية اسمها ضمن قائمة «خمسین كاتب مستقبل» بعد أن لاقت روايتها «مدينة بعباءة قرمزية» (1998) رواجاً واسعاً وترجمت إلى العديد من اللغات الأوروبية.
ونالت جائزة دار دنيا للنشر لأفضل كتاب للعام 2005 عن كتابها «في صمت الحياة».
ونالت عام 2010 جائزة سعيد فائق للقصة القصيرة عن مجموعتها القصصية «بناء حجري وخلافه»، والتي اختيرت منها قصتها ضمن هذه المجموعة القصصية.

الطيور الخشبية

فجأة.. فُتِح باب الغرفة، وامتد رأس أشقر من فرجة الباب،
سُمع صوت ديانا تلهث، وبصبر نافذ:

«هيا يا فليتشيتا! هل سننتظرك اليوم بطوله؟ أنزلي مؤخرتك
الكبيرة عن السرير، يبدو أن قلبك قد مات يا بنت، قلبك!».
أغلق الباب بنفس سرعة فتحه، فبقيت في الخارج، رائحة
ممر المستشفى العابق بالمطهر، وصوت ديانا الحاد، الذي رغم
أنه تهكمي لكنه عابر.

فلز، إحدى مريضات الرئة، والتي يدعونها فليتشيتا - أي
سعادة - من باب السخرية لشدة سوداويتها، كانت منطوية، وسريعة
الغضب، لاجئة سياسية، تحمل شهادة الدكتوراه في التاريخ،
وغرفتها تعج بالكتب والمجلدات، لكنها كانت في نظر المريضات
متحفظة غير ودودة، «أه من فليتشيتا»، كانت ديانا تقول، «أن أقرأ
كتابا في علم الأورام السرطانية، أحبُّ إليّ من الدردشة معها،
يُسحب الكلام من فمها بالملقط»، لقد قضت فليتشيتا تلك السوداء
الهزيلة، سنتين في سجون بلادها! دون أن ترفع رأسها عن الكتب.

فليتشيّتا، لم تستطع إتقان اللغة الألمانية لعشر سنوات، دون لكنة! نهضت فلز عن السرير بتثاقل، جعلتها الإصابة بالمرض منذ فترة طويلة - ذات الرئة المزدوج والربو المزمن - أن تستخدم قوتها بشكل شحيح، كانت دائمة التألم وتخضع لأهواء نوباتها الجسدية.

كانت ستخرج من مبنى المستشفى، أول مرة بعد ثمانية أشهر، كان اسم فلز كومجو أوغلو في قائمة أسماء المجازات يوم السبت لمدة ساعتين والخاصة بالمريضات اللواتي في مرحلة النقاهة. ديانا، كانت منذ يوم الاثنين، على علم بهذا الأمر، إذ استطاعت مفاولة الممرضة المناوبة ليلا، والوصول إلى ملفات المريضات، في أكبر مغامرة لها في المستشفى، أعدت لها «مفاجأة كبيرة»، إكسبرس الأمازون! نالت الحق بمشاركة مرضى الطابق الثالث سرهم: «ركوب إكسبرس الأمازون»! في الواقع، ما كانت فلز تتوقع ذلك، أكثر ما كانت تتوقع، أن يذهبن إلى قرية (ت)، التجمع السكاني الوحيد في محيط ثلاثين كيلو مترا، ويشربن عدة أقداح، لعلهن يقابلن شباب القرية أو رجال المصح المرضى المتعبين مثلهن، أي شيء آخر يستطعن فعله في وسط الغابات؟ عندما همّت فلز بالخروج من الباب، تذكرت فجأة، أمرا سبق أن سمعته قبل عشرين عاما، وظل دفيننا في أعماق ذاكرتها، في بدايات هذا القرن، وفي مصح هيبلي أيضا، كانت المريضات المصابات بالسل، يتسللن في الليل خفية إلى الغابة، ويضاجعن المرضى المصابين بالسل، نساء محكومات بالموت، بوجوه صفراء شاحبة، يسرن بالمنامات البيضاء، وهن يحملن المشاعل بأيديهن.. لم تعتقد بصحة الحكاية، لكنها وجدتها شاعرية وتراجيدية،

نسيت الشعر منذ زمن بعيد، واختفى من حياتها، بعد أن تكاثرت مآسيها الشخصية كالنباتات الطفيلية، وجفت جوهر كيانها .

أخرجني من الباب الزجاجي المزدوج! «مستشفى (ت)، خدمة الأمراض الصدرية»، دعي تلك اللوحة البغيضة المتجهمه الرمادية خلفك، وامشي سريعا، دون أن تلتفتي يميناً أو يساراً، حتى انتهاء خط الظل الضخم للمبنى، قفي هناك حيث حدود إمبراطورية الشمس واحبسي أنفاسك، ثم سيرى ببطء خطوة واحدة، تلك الخطوة الواحدة ستخرجك من الظل، دعي شمس الشمال تدفئ ظهرك في لحظة، واقنعي نفسك بأنك قادرة على محو كل ماضيك من ذاكرتك وتركه بعيداً!

دعي الشمس تداعب شعرك بحنان، وتغمر الغابة بألوان مبهرة وصافية، لتمحي خطوط العالم، ويتحول الواقع إلى نور خالص.

تذكرت فلز «ناديزدا» الحاملة بطيرانها في السماء إذا ما رفعت ذراعيها، ناديزدا البائسة التي في «مبارزة» تشيخوف، كانت تشعر وكأنها إحدى بطلات تشيخوف، ربما كانت، في تلك اللحظة، قادرة على التحول إلى طير، ولكن طيراً من خشب في الغالب، طير مضحك، عاجز، بلا روح، جناحاه لا نفع بالطيران يرتجى منهما، ولكن لإخراج ضجيج ميكانيكي فحسب، امتلأت بحماس مؤلم، تصارعت رغبتها في البكاء والضحك في نفس الوقت، في العيش والموت في آن معا .

«هيا يا فليتشيستا! تجمدت في مكانك مثل المومياء، سنتأخر». وصاحب صوت ديانا صوت غيردا الأجنس من تأثير التدخين والسل: «سنفوت إكسبرس الأمازون!».

ست نسوة، كن يجتمعن أمام باب الحديقة، «ثلاث أجنبيات، ثلاث ألمانيات، ثلاث مسلولات، ثلاث مصابات بالربو». هكذا صنّفتهن فلز على الفور، «جميع الألمانيات مسلولات، أما نحن اللاتي من العالم الثالث فمصابات بالربو، في حين، كان المفترض هو العكس تماما». رغم إصابة مارتا وغيردا الألمانيتين بالسسل لكنهما نجحتا بالاحتفاظ ببنية قوية، وكلتاها كانتا شقراوين طويلتي القامة، (في الواقع غيردا لم تكن طويلة جدا، كما لم تكن تعتبر شقراء، لكن عينيّ فلز غير المعنية بالتفاصيل الدقيقة، جعلتاها تراهما متشابهتين وتمثلان الطبقة العاملة في مجتمعهن الصغير)، كانت فلز تخشى قوتها البدنية وخشونتها وقدرتها على الدفاع عن نفسيهما، لكنها في نفس الوقت تغبطهما. أما بياتريس، الألمانية الثالثة، فكانت نحيلة مثل عود الطوطم، بخدين غائرين، انطوائية ومدمنة مخدرات قديمة، في العشرين من عمرها، تلك الفتاة بقوام المراهقات الذي يشبه شجرة جافة، وشعرها الكستنائي المقصوص دائما على نحو قصير جدا، وعيناها اللتان تنظران دائما بحزن وكأنها تبحث عن شيء فقدته، تسببان الكآبة لفلز. ديانا، ثعلب أحمر، حشرية ولعوب، لا تأبه بشيء، ولا شيء يغيظها، باستثناء دعوتها باليوغسلافية، بدلا من الكرواتية.

أما غراسيلا الأرجنتينية.. فكانت مستبعدة في المصح مثل فلز، بل ربما النزيلة الوحيدة الأكثر استبعادا، كانت امرأة متميزة منذ الولادة وموسرة، وتوصف بالإجماع بصفات مثل «متميزة، وحلوة الشمائل، ومثقفة»، وحتى رؤيتها بين مرضى الصدر كانت مثالا للعجب، كانت جذابة وذات قوام رشيق، وطولها بحدود

مئة وثمانية وخمسين (أي أنها أقصر من فلز)، يتدلّى شعرها بخصلات ناعمة، ولا يعيقها وجودها في المستشفى عن الاهتمام بتنظيم حواجبها مثل «مارلين ديتريش»، ومقدرتها على النظر بعينيها اللوزيتين بنظرات دافئة وباردة بآن واحد معا أكسبها لقب «إيفيتا»، كانت الأثرية لدى الأطباء والممرضات، ويعاملونها وكأنها تحفة فنية نادرة قابلة للكسر، في الواقع، كانت تعطي انطبعا حولها، بوجود التعامل معها برقة واهتمام، في حين إن فلز أبصرت صرامة في تقاطيع وجهها المثالية التي تشبه تحفة فنية لامرأة من البورسلان، كانت لها ابتسامة تخيف المرء، تستحضر في ذهن فلز سيدة جذابة تضع دائما وشاحا حول عنقها كمعلمة في المدارس الابتدائية لحظة دخولها الفصل كجلاد من الدرجة الأولى.

عندما رأتها أول مرة، ظنت أنها ضيفة دخلت بطريق الخطأ إلى مقصف المرضى، كانت غراسيلا تجلس إلى طاولة مفردة بجانب الواجهة الزجاجية، ترتدي تنورة ضيقة سوداء مخملية، وقميصا بأزرار لافتة للنظر، ومفتوحا حتى خط صدرها، قلادة على شكل قلب كانت تلمع بين ثدييها الفاتنين، كان يكمل هندامها، حذاء تانجو بكعب عال وإيزيم، وجراب من النايلون، وتبدو بشكل استثنائي كزهرة إستوائية لا تصادف مثيلاتها إلا نادرا، بين مريضات بشعر دهني، يتجولن بملابس وأحذية رياضية.

عودا لذات يوم، دخلت فيه غرفتها على عجل، محررة الإشارات في جريدة المستشفى ديانا، وكشفت لها سرا:

«هل تعلمين أن تلك الأرجنتينية.. إيفيتا، مثلك تماما؟».

«ماذا تقصدين بمثللك تماما؟».

«أقصد لاجئة سياسية، لكليكما نفس حكاية السجن والتعذيب، حالة رثتها بمنتهى سوء، يقال إن زوجها القديم دبلوماسي، وكلاهما ثريان جدا، وينحدران من عائلتين عريقتين، كما أن لديهما أصدقاء متنفذين، بيد أنه أغضب مسؤولا متنفذا، فصدر بحقه أمر اعتقال، فقد أثره في غضون ساعتين، تاركا زوجته وحدها، قاموا بالتحقيق مع غراسيلا طوال شهرين، لكنهم لم يستطيعوا إرغامها على الكشف عن مكان زوجها، ربما لا تعلم، هل يمكن أن تصدقي ما جرى لهذه المرأة الرقيقة؟ يجب ألا يُخدع المرء بالمظهر الخارجي!».

تلك كانت صدمة صاعقة بالنسبة لفلز، تمتّ السخرية بأعمق معاناتها، وكأن فلز أهينت بشخصيتها وتاريخها، خلقت بذاتها ومن نفسها بطلا ميثولوجيا وبالكاد استطاعت الاستمرار بالعيش من خلال الإيمان بهذا البطل، ذكرى ماضيها المرعب، كان ضروريا لإثبات وجودها وقد خبأته في زاوية قدسية من روحها، في حين تلك المرأة المتأنقة، بصقت في وجه الأيقونات، بأي حق تستطيع مشاركة نفس المآسي مع فلز القوية الجسورة، صاحبة المبدأ، والتي دفعت ثمن مبادئها (هكذا كانت تعرف نفسها)؟ كما أن ذلك باسم الحب لرجل متكرش، تافه وبعشيقتين!

كانت قافلة النسوة المريضات، مثل أفعى بنية اللون، شهباء، رمادية تتلوى، تمشي على طريق إسفلتي ضيق باتجاه وادي (ت)، طليعة المجموعة المؤلفة من ديانا والألمانيتين الضخمتين أمضين الوقت بالثرثرة، كن يتبادلن لغو عطفة السبب ويتقلن من حديث لآخر بمواضيع لا تعني فلز أبدا، خصوصيات الأطباء - يتدرن بغيره الطبيبات وتقربهن من الأطباء الوسيمين - طعام الكافيتيريا،

وتقززهن من قهوتها، برامج التلفزيون، مقارنة بين الممثلين بانديراس وبيت الخ.. وفي حين كانت الألمانيتان إلى جانب بانديراس، كانت ديانا المعجبة بالعرق الألماني، إلى جانب بيت، بعض من ذكريات الفترة ما قبل دخول المستشفى.. وُجِدت في المصنع حيث كانت تعمل مارتا قبل أربع سنوات، إحدى العاملات مذبوحة في عنقها وهي عارية تماما، أما غيردا فقد أخرجت قصة من جعبتها المليئة بقصاص الجرائم والتي تحتفظ بها في مجمدة عميقة وسخّنتها، لكن ديانا التي تعيش عائلتها في البوسنة، لم تتطرق إلى الفضائح، واختبأت خلف صمت يكبر باستمرار ككرة ثلجية.

بياتريس، التي لم تتمكن ولا بأي شكل من تحديد انتمائها، كانت تمشي وحيدة، كانت وحيدة مع عالمها الخاص، كانت تسعى لنهل ساعتين من الحرية في عصر سبتمبر غير الاعتيادي، في وادي بخضرة الزمرد يمتد أمامها، دون إضاءة ثانية واحدة، كانت تبدو سعيدة، مع أن تعابير الحزن التي تملأ هذا الوجه الفتى المحطم أشد تأثيرا.

تجاوزت فلز وغراسيلا، فحاولت عبثا إيجاد موضوع للحديث، الصمت الذي ساد بينهما كان طويلا وشائكا.

«في الحقيقة، رؤيتك في إكسبرس الأمازون مفاجئ جدا».

«لماذا؟» سألت غراسيلا بجدّة، كان في عينيها وهج صارم يلمع، كان ذلك انعكاسا لغضب مخزن مثل درة نفيسة لسنوات، «لم يقلن لك إلى أين نحن ذاهبات، أليس كذلك؟».

«كلا، وكأنه سر عظيم جدا يحتفظن به».

«في الحقيقة، إكسبرس الأمازون سر عظيم جدا، (بنغمة صوت

تهكمي ونفاق عميق، مضحوب بابتسامة كندبة) حتى أنت ستذهلين».

«ربما سنذهب إلى القرية».

وضعت غراسيلا إصبعها ذا الظفر الطويل المطلي بطلاء كحمر الكرز على فمها، «شيشت!»، قالت، كالممرضة التي على لافتة «اصمتوا!» في المستشفى.

ما عاد لدى فلز لا الرغبة ولا الجسارة باستئناف الكلام، ركزت على الاستمتاع بالرحلة، بعد ثمانية أشهر، هن الآن خارج المستشفى، يتمشّين في غابة كالأساطير، ساكنة كالماء، تستشق هواء عليلًا منعشا، كانت تملأ رئتيها المتعبتين بهواء يعالج كل أوساخ الماضي، شمس سخية ورقيقة، خضار ممتد حتى الأفق إلى ما لا نهاية وبلا حدود، واشتياقها إلى سعادة هنية، بسيطة، ورائحة.. قبل أن تظهر أمامها أبواب مغلقة.. أبواب مهاجع بقضبان حديدية، كُتبت فوقها أرقام الغرف، أبواب المستشفى العازلة للصوت بمفصلات مشحمة.. لن يستطيع الإنسان السليم الإدراك أبدا، ما تعطيه قدرته على تحريك ساقيه بحرية وقدرته على حمل جسمه، من سعادة لا حدود لها، شعرت فلز أن للغابة رائحة خاصة بها وفريدة من نوعها، ليست كرائحة نجيل حديقة المستشفى المقصوص حديثا، فهذه الرائحة ليست مألوفة ويانعة، بل كانت برية ووحشية، وتسبب الدوار. ربما أصاب ذلك السكون غير الاعتيادي رأس فلز بالدوار، وقد امتد وادي (ت) أمامها، كسجادة خضراء منسوجة بكثافة، وكأن التلال من فوقه تتغامز، أشعة الخريف المتغلغلة في الوادي، الشمس والظل، اشتبكا في حرب سرمدية للاستيلاء على الأراضي، كانت تميّز صليب كنيسة القرية اللامع كالذهب بعيدا، «كل شيء لامع ومبهج إلى درجة يبعث على الحزن» هكذا فكرت. اقتربت بياتريس بكفيها الممتلئتين بالفراولة البرية، من

مجموعة النسوة ذوات الشعر الأسود، يبدو أنها تجاوزت أزمة الهوية، وقررت أن مكانها بين «الأجنبيات»، تلك المحكومتان سابقا تجمعهما رابطة مأساوية، التقطتا بياتريس، مثل شبكة عنكبوت سام تبلع فريستها، علّمها الهيروين الوحدة، واليأس، والانهازم، ورغم أنها أكثرهن شبابا، لكنها كانت الأشد صلة بالموت، حملت الموت في جسدها شبه الطفولي، الأخريات كن ومازلن يناضلن للتشبث بالحياة وأن يكنّ جزءا منها، أما هي، ومنذ كانت في السادسة عشرة من عمرها، فقد تنكرت للحياة، تلقت ضربات مميتة الواحدة تلو الأخرى، هيرويين، دعارة، يرقان، سل.. ولكن في كل مرة، تنهض على قدميها كملاك، عند العد التاسع، وقبيل رنين جرس الضربة القاضية، تنتصب وتتابع تلقّي الضربات.

«هل ترغبين بالفراولة البرية؟» (كلا، كلتاهما لا ترغبان).

«عُرض ليلة أمس، على التلفزيون برنامج حول الأرجنتين، هل تابعتما؟» (كلا، كلتاهما لم تتابعاه).

«عرض بوينوس آيروس، مدينة رائعة، كم هي حزينة! تشبه قطعة من برلين، فن العمارة، المقاهي.. يوجد حي مليء بمنازل ملونة كقوس قزح: إل بكار...».

«إل بوكا»، صححت غراسيلا، «يعني فم، مكان ولادة التانجو».

«أجل، أجل، إل بوكا، حي البوهيميين، والرسامين،

والموسيقين».

«لكن، ما عاد النشالون وبائعو التحف التذكارية يقصدونه».

«أتجيدين التانجو؟» اندفعت فلز قائلة.

«كلا، أنا لست من بوينوس آيروس، أنا من مندوزا» (مع أنني

كنت واثقة أن هذه المرأة من بوينوس آيروس وتجيد التانجو).

«مندوزا؟».

«على حدود تشيلي، مدينة عند سفح أكونكاغوا».

«أكونكاغوا، أعلى جبل في أمريكا الجنوبية!» (ذلك الشعب

الألماني مثقف جدا حتى مدمنو الهيرويين منه!).

صمت، توقف الحديث المتكلف فجأة، وكأنه قُطع بسكين، كأنه

لا يوجد شيء مطلقا ليقال بين النسوة الثلاث، «انظرن، انظرن،

انظرن إلى الوهق الذي على ذلك الغصن الواطئ!» لم تستطع

بياتريس كبت الانفعال الذي بان على صوتها، نظرت المرأتان

اللتان في منتصف العمر بدهشة إلى قطعة الحبل التي لا ميزة

خاصة لها «لا بد أن قرّما انتحر هنا» تابعت بياتريس قائلة،

بتأثير خيال تسمم من جراء الهيرويين وعمرها العشريني، لكنها

سرعان ما احمرّت بعدما أدركت أن رفيقات رحلتها قصيرات

جدا، على أية حال، لا أحد أعطى للأمر أهمية.

انفصلت قافلة النسوة غربا عن الطريق المؤدية إلى الوادي،

ومع انحرافهن نحو القمم الشاهقة المغطاة بالغابات، شعرت فلز

بالارتياح، هذا يعني، أنهن لن يذهبن إلى قرية (ت)، ربما اخترن

ركنا سريرا، كما يدعو الأطفال أو السجناء بجنة عطلة السبت،

لكن، لو كان كذلك لما استدعى الأمر النظر إلى الساعة طوال

الوقت وحث الخطى، هل كن يقصدن بـ «إكسبرس الأمازون!»

الغابات المطيرة، أم محاربات الأمازون الأسطوريات، المتمرسات

في الصيد والقتال، واللاتي قطعن الرجال من حياتهن، كقطعهن

لأثدائهن اليمنى؟

ما عدن يمشين في طريق مشمس معبد وعريض، كنّ يتقدمن

داخل الأدغال، الواحدة خلف الأخرى، في مسار ضيق بين جذور

الأشجار، ومغطى بأعشاب لا تكاد تسمح بالمرور، حتى الشمس تغطّت بالخضار، بدأت رحلة الغابة الحقيقية.. رحلة مليئة بأزهار الخريف، وفطر خجول مختبئ في مناخ خفية، وفراشات بنية اللون تتطاير بين الأغصان، وخنشار كثيف، وشجيرات الخلنج، وأشواك بدت محذرة برفق في بداية الأمر، الرحالة الغريباء، ثم تحوّلت إلى عدائية مع تقدمهن، لآلئ مطر ترشح من أوراق الأشجار، وطحالب رطبة ملتصقة بجذوع الأشجار، وألوان تخطف ضوء النهار.. مياه جارية، بمثابة شرابين حياة الغابات، تقطع الطريق باستمرار.. مسارات تغوي ولا تعطي سرها إلى أين تذهب..

عاشت فلز في المدن الكبيرة دائما، وما كانت تعرف الغابات، في الواقع، دخلت منذ ثمانية أشهر مصحّبا للأمراض الصدرية في قلب الغابة السوداء، لكن هنا أيضا، غابة تحافظ على وعورتها، وغموضها المليء بالأسرار. كانت في عتمة الليل، تخيم أمام نافذتها كطير أسود، بعصف يصاحب كوابيسها، كحارس مهول، أصم وأخرس، يمنع خروجها وعودتها إلى حياتها الطبيعية، في حين، هي الآن داخل الغابة، وبينما تدخل قلب الغابة، كانت تراها واقعا أول مرة، كان أسمى ما في هذا التعارف: لقاء مخلوقين وجها لوجه فجأة، ولا يعلم أحدهما بوجود الآخر، لذلك كان وقعه مذهلا لفلز، كان أمامها روح بسيطة وبدائية، مهيبة وواسعة كالمحيط، أخرجها من قوقعة عالمها القاحل المغبر، وجعلها تستمع للحن وجود مختلف جدا، كان للغابة إيقاع ينبض بألوان متعددة ووحشية، محفوفة بظلال غريبة متباينة تسبب قشعريرة زعر، أسرارها مغطاة بطبقة كالتول من هواء ضبابي نابض، أشجار،

أشجار، أشجار.. أشجار معمّرة، ومهيبة، ووقورة، عالية، وكثيفة، وشامخة.. كانت عابسة بجديّة من واجه كل الآثام والمعجزات التي على سطح الأرض، أكثر قدما من الزمان.. ضربت جذورها في الأعماق، واندفعت في مسيرتها لا تستهدف سوى السماء، منتشرة يمينا ويسارا، لا قيود على حريتها.

عند تباطئن في المسير على منحدر حاد، جذبت ديانا فلز

جانبا:

«أعلم أن الوقت غير مناسب الآن» توقفت عن الكلام بضع ثوان، محاولة استرداد أنفاسها، «يجب أن نلتقي في المساء، لقد كتبت رسالة إلى هانس».

«ما كتبته آخر مرة.. هل أرسلت الرسالة التي كتبناها سويا؟». ما إن شرعت بالكلام، حتى أدركت فلز كم هي لاهثة وعطشى، لقد جف فمها إلى حد أنها تشعر بصعوبة تحريك لسانها الذي التصق بسقف حلقها، «بالتأكيد، في ذات اليوم، حتى الآن لم أتلق ردا، أظن أن تسعة أيام قد مضت، تأخر في البريد، كما أن هانس، بارد الطبع».

«تعتقدين أنه سيكتب جوابا، أليس كذلك؟».

برقت عينا ديانا ذات اللون العنبري، تغطى وجهها بسحابات ماطرة، «لا أعتقد، أتوقع».

منذ ما يقرب من شهرين، وأثناء عودتها من غرفة الطبيب، رأت ديانا في إحدى كبائن الهاتف في الدور الأرضي، كانت تمسك الهاتف بكلتا يديها وهي تبكي بلا توقف، ظنّت في بداية الأمر، أنها قد تلقت خبرا آخر مروعا من يوغسلافيا -كانت قد أُخبرت بوفاة أختها في البوسنة في إحدى هذه الكبائن من صوت

مخنوق على الطرف الآخر من خط متقطع مرارا وتكرارا - على أية حال، هذه المرة، الأمر كان مختلفا، حبيبها الأخير، هانس الوسيم وطويل القامة، أصابه الضجر من هذه المرأة المسلولة التي تحولت إلى خراب، يصاحب الصفير أنفاسها، وتوذم أسفل عينيها، ومن كثرة زيارته لهذه المستشفى الكئيبة، لقد كتبتا معا خمس رسائل لهانس، لكن قلم فلز المثير للعواطف والمشاعر، لم يجد نفعاً، ولم يصل منه أي رد.

«لو كنتُ مكانك لمحوته من عقلي ونسيته تماما».

كانت فلز على إدراك أن تصرفها جارح وقاس، لكنها كانت مرهقة جدا، غرقت بالعرق، وأصابها عطش شديد، وكانت ساقاها ترتعشان من شدة الإنهاك، لقد خارت قواها إلى حد ما عادت قادرة على الانشغال بمشكلات ديانا.

«كم أنت متحجرة القلب!».

«بالتأكيد، يوجد في قلبي عدد من الحجارة، لا بأس، لنحاول

أن نشير غيرته».

«أفي وسط الغابة؟ ربما لو تمطر الأشجار رجالا بدلا من

أكواز الصنوبر!».

«يمكننا التلميح لبيدات علاقة عاطفية بينك وبين أحد

الأطباء، لنختار أحدا بعكس صفات هانس تماما، (أصابع جراح

طويلة ورفيعة)، (نزهات في الغابة في الليالي القمرية) إلخ..».

تبسّمت ديانا، واستعادت مرحها في لحظة، في الواقع، كانت

لها ابتسامة لا مثيل لها، تعدّل كل وجهها غير المتناسق، كانت

واقعية وودودة وصريحة لتدخل إلى قلوب الناس. افترضت فلز

أنها لم تجد إفادة أخرى أكثر تعبيرا عن الشعور بالسعادة.

«أريد استعادته».. بدأت ظلال معتمة تغطي وجهها ثانية.

كان في صوتها رعشة واستغاثة غامضة، كأن عدالة إلهية ستعيد لها هانس، إذا ما أكدت صدق نيتها تجاهه، كانت ملامح البهجة والسكينة المختبئة خلف الظلال المعتمة، لا تبدو واضحة إلا في مثل تلك اللحظات، كانت ديانا تخبئ شخصيتها الحقيقية، في دهاليز سرية جدا، كوحش يجب ألا يرى نور النهار.

«أنا واثقة من عودته»، قالت فلز بتكلف، وقد شعرت بالكآبة، كان الكذب والحديث عن الرجال من أشد ما تكره، ما كانت تثق بالحب: في زمان مضى، وقبل ثلاثة وثلاثين يوما أمضتها في زنزانة مليئة بالدم والعويل، ما عادت تذكر إن كانت تثق أو لا تثق. «ديانا! ديانا!».

«نعم، ماذا حصل؟».

«لقد تأخرنا كثيرا! لن نصل بهذه السرعة، لنأخذ مسارا على نحو قطعي».

«انتظري دقيقة، سأأتي عندك، لنر ما علينا فعله».

ركضت نحو الألمانيةين بخطى مترنحة، شعرت فلز على حين غرة، بعيني غراسيلا مسلطة نحوها بتوهج، فاستدارت نحوها، نظرات حزينة، فضولية وعميقة تلاقت، تشكلت بينهما على نحو آني صلة عفوية لا يمكن التعبير عنها بالكلمات.

«إذا ما أردت قدرا يسيرا من السعادة في هذا العالم، فعليك أن تتحولي إلى فتاة صبية تنتطط هنا وهناك».

كان وجه غراسيلا خاليا تماما من التعبير، هل كانت تفهم؟ بلا ريب.

«هل سبق أن استمعت إلى باولينيو البرازيلية؟».

«كلا، في الواقع، لا أكاد أعرف شيئاً عن موسيقى أمريكا الجنوبية».

على نحو مفاجئ، شرعت غراسيلا بالفناء، كان أمرا أشبه بالمعجزة، غير متوقع، مذهلا، ومثيرا، ورائعا.. «الحياة جميلة..» (Vida e bonita...).

لحن رائع حزين وناعم يؤثر في صميم الإنسان، يبعث على الشجن والبهجة في آن معا، موسيقى تكوّن رابطة عاطفية ما بين الموت والحياة، كانت فلز تحبس الدمع في عينيها المغرورقتين، كي لا تُظهر بكاءها، ما كانت لتبكي أمام الآخرين، حتى لو صوبوا السلاح إلى رأسها، كما أنها ما كانت لتغني أيضا.

«هذا معنى كلمات الأغنية: الحياة جميلة، جميلة، جميلة.. مليئة بالشجن والبهجة، رغم ذلك فهي جميلة.. لا تخجل، لا تخجل من السعي أن تكون سعيدا..»، «باولينيو»، وُلدت في الشارع، تشرّدت في البؤس، وماتت في الثالثة والثلاثين من السل، سبب رواية كل ذلك، منعا للاستخفاف بالأغنية».

«إذا ما قال أحد ما، وهو في قاع الهاوية، إن الحياة جميلة، لا بد من التوقف والإصغاء، لكن، كي يستطيع المرء فهم هذه الموسيقى بكل عمق، لا بد من أن يعيش معاناة من نوع مختلف».

دخلت ديانا بينهما، «اسمعي فليتشيستا، نحن مجبرات على الانعطاف بمسار قطعي، لم يبقَ لنا سوى القليل من الوقت، هل أنت قادرة على تحمّل طريق جبلي من النوع الذي يقتل حصانا، كما يحتاج على الأكثر إلى عشرين دقيقة؟ ما حالة الكيرين؟».

«لم يبدأ أحد بالشكوى بعد، لكنني لا أفهم، إلى أين تأخرنا؟».

«في الواقع، هذا هو جوهر المهمة، ألا تعرفي أين نذهب حتى

تصلي، أنت مجبرة على اتخاذ قرار، وفي هذه اللحظة بالذات،
 إما المواصلة وإما العودة، لأننا لا نستطيع تركك في وسط الجبل،
 تدركين جيدا أننا غير قادرات على حملك على ظهورنا..
 «أنا آتية، أنا لا أراجع من منتصف الطريق».
 «هيا يا بنات، فليتشيئا معنا أيضا! طابور النساء! إلى الأمام
 سر!».

ارتفع من الجهات الأربع صراخ، ودعابات وتوجيهات، «هيا
 إكسبرس الأمازون! نحن قادمات.. انطلاق (Aventa).. الموت
 ولا العودة!»..

«يا إلهي! ما هذه الهيستيريا، ما هذه الحماسة؟»، فكرت فلز
 بذلك، «الآن نبدأ لعبة العساكر، قافلة نساء مسلوات نصف
 مجنونات، لا ينقصنا سوى الأجراس! تلك اللواتي يتفنسن بعناء
 في هذا العالم عديم الرحمة»..

انطلقت قافلة النسوة على طريق الجبل، يروعن ما حولهن
 بصياحهن وصراخهن، فرسكان الغابة، وسكنت الطيور،
 وانسحبت الطبيعة بهدوء جانبا، مفسحة الطريق لهؤلاء
 الحيوانات المستهترات والصاخبات، والخرقاوات، كانت ديانا
 تعرف الطريق جيدا، فتقدمت المسيرة سريعا مثل قاص أثر
 هندي أحمر، تستكشف الاتجاه، وتوضّح المسار، كان يمكن
 متابعتها من بين المناكب العريضة لمارتا وغيردا اللتين تسييران
 خلفها مباشرة، مناكب قوية، لا تستسلم، ولا تثق إلا بنفسها..
 تشقان الجبال بخطوات ثقيلة لكن ثابتة، تكسران ما يعترضهما
 من الأغصان والشجيرات، وتفتحان الطريق مثل طليعة وحدات
 مدرعة، وتمطران اللواتي في الخلف بالتوجيهات. بياتريس، كانت

تتسلق مثل قطة برية نجحت بالفرار من القفص، كانت هادئة وخفيفة الحركة كما عز جبل، بساقيها الرشيقتين الطويلتين وحادّتها الجبلي، وقبل كل شيء، بفضل قوتّتها، حتى إنها كانت تقف مرارا وتمد يد المساعدة لصديقاتها ذوات الشعر الأسود المتعثرات.

فلز، أمضت رحلة الغابة ذات الخمس والعشرين دقيقة، وقد تخضّلت بالعرق، تحاول الإمساك بالشجيرات الشوكية والجذور، وتبحث بذعر عن موطأ لقدمها على أرض صلبة، حتى كادت تفقد وعيها من الهلع والارتباك، كانت تتعثّر بالجذور، فتترلق وتقع على أوراق الشجر الإبرية مرارا وتكرارا، تفلت الشجيرات الشوكية من يدها فتترك أثرا ورديا، وتمطرها بصفعات عنيفة، تراخت عضلاتها من كثرة الاستخدام، وبدأت ترتعش مثل الشوكة الرنانة، كما لو كان على ساقيها كيسا ماء متقرحان، تتابها قشعريرة تصك أسنانها بفعل العرق الذي يسيل على ظهرها كثعابين باردة، كانت مخضّلة حتى ملابسها الداخلية، لذا، ما كانت قادرة على طرد هاجس أن تعرق أي مريض بالرتة بهذا الشكل، أمر قاتل، وبخاصة في أول يوم إذن له بالخروج. علاوة على ذلك، بدأت بسماع ذلك الصفير المخيف من رتتها والذي يُطلق عليه «صفارة المناوبة» بلغة نزلاء المستشفى، كانت تلعن نفسها، لأن مشاركتها بهذه المغامرة، ألقّت بصحتها إلى التهلكة، والتي اكتسبتها بجهد مضمّن، كانت على وشك البكاء من الإعياء والندم والقنوط، ما كانت تتذكّر ربها إلا حين وقوعها في ورطة شديدة، فتلجأ إليه وتتضرع بإخلاص، وتسلسل الأذعية.

مثل كل الأشياء المخيفة، ومثل الآلام الجسدية أو السجن، وصلت هذه الرحلة إلى نهايتها، فرفعت فلز عينيها عن دربها، لتستطيع تمييز موضعها، كان خوفها وصحتها ومسألة الحياة أو الموت في كل خطوة، يسيطر عليها طوال الدقائق الخمس والعشرين المحفوفة بالرعب، فلم تعر انتباها لما كان حولها. أما الآن، فترى وصولهن إلى مكان رائع، بعينين ترمشان بحرقه بسبب الغبار، ولهات، وقلب منقبض.

كنّ في أجمة على قمة جرف سحيق تطوّقهن شجيرات شوكية بطول الإنسان، وجذوع أشجار كشبكة صيد سمك ضخمة، في القاع أسفل أربعون إلى خمسون مترا، ويجري نهر غاضب يرغي ويزيد بعنف، ويضرب هادرا الصخور بلا هواده، ليحفر ثلمات فيها. درب مزين بأزهار بنفسجية تشبه قرنفلات ضخمة، ونهر يرسم قوسا حادا قبل اختفائه بين امتداد سلسلة صخرية تبدو كمقطع قرن نُقش كزخرف ناعم.

«طريق الأحلام البنفسجية»، هكذا فكرت فلز.

«من هنا سننزل إلى الأسفل يا فليتشيستا، يجب أن تكوني بمنتهى الحذر».

نظرت فلز بذهول إلى صديقات الطريق، بدّين جميعهن منهكات القوى، وجوههن اصطبغت بلون أرجواني، مخضلات بالعرق وملطخات بالوحل، ومليئات بالخدوش، شعرهن وقمصانهن التي خرجت من بناطيلهن كانت مخضلة؛ حلقات أثدائهن بدت واضحة، جميعهن وقعن مرارا وتكرارا، وجُرحت أنحاء مختلفة من أجسامهن، ما مشكلة هؤلاء النسوة؟ لمّ كل هذا العناء، والمجازفة، والجروح؟

«انظرن، طفح معي الكيل! ألم يكفينا كل ركض المجانين هذا داخل الغابة، حتى ننزل إلى أسفل الجرف! ما الذي يحصل؟»
 «لا تفسدي بهجتنا»، قالت ديانا باستهجان، «لقد قطعنا وعدا وستتابعين حتى النهاية».

«أنا، لم أقطع لا وعدا ولا أي شيء».

«دعيها تفعل ما تشاء» تلك كانت مارتا، كلا، بل غيردا.
 «رجاء فلز، تماسكي قليلا أيضا، صدقيني، تستحق المجازفة»،
 تلك كانت غراسيلا.

«هيا يا فلز رجاء!»، أمسكت بياتريس بذراعها، وسحبته بلطف.

«هيا يا بنات! الساعة الثالثة وثلاث وعشرون دقيقة! بقي سبع دقائق!».

نسيت الجماعة فلز، في لحظة، وبنقرة إصبع، بدأت الحركة مثل كوز صنوبر يتدحرج من كتف الجبل إلى أسفل، كانت النساء تهبطن نحو النهر، مستعينات بأخر قطرة من قوتهن، يمسكن بالأغصان، بالحجارة، وبكل ما تصله أيديهن، ينزلقن معظم الوقت على مؤخراتهن، ويساند بعضهن بعضا بمسك الأيدي، خطوة خاطئة واحدة تعني التهشم في قاع الهاوية. أصبحت فلز على الفور، إحدى حلقات السلسلة، من دون أي تفكير، وحتى من دون اتخاذ قرار.

أذعنّت لرأي الغالبية، وانضمت لركب رحلة الحد فيها بين الحياة والموت باتر، الخطر حفّزها، ووتر كل أحاسيسها، كانت مليئة بمشاعر إثارة كمرغبة جنسية، وكيف لا؟ وقد كانت في تلك اللحظة تتعلق بالحياة حتى الأعماق، وتشعر بجذالة وجودها

حتى النخاع، ما كانت تقبض عليه بين كفيها ليس حجرا أو شجيرة، بل كان القلب الكبير الجريح للغابة والعالم والحياة، اعترضت طريقها شجرة مائلة بوضع مواز للنهر، نجحت بالنمو على هذا الجرف العمودي، بفضل جذورها الأخطبوطية التي اخترقت الصخور الصلدة، بإصرار وعناد ومثابرة، كان ظلها يخيم على الهاوية، مدّت إحداهن أحد ذراعيها المنهكين إلى فلز، وفي لحظة قصيرة جدا، تشابكت الأيدي قبيل متابعة رحلتهم وحياتهن العابرة على امتداد لحظة قصيرة.

بعد نزول أشبه بعبور جهنم من طرفها إلى طرفها الآخر، وصلن إلى عالم مختلف جدا، أشجار ودودة، وأزهار أحلام مسحت من العين كل آثار الحياة، لا شيء هنا سوى الصخور، صخور مرعبة وباردة.. كانت أضخم بكثير مما بدت عليه من أعلى، امتدّت إلى السماء كخناجر سوداء لامعة، وهدير النهر المخيف، الغاضب بلا سبب أو هدف.. تراءى لفلز أن مجموعة من الدمى قد انطلقت نوابضها، واختارت هذا المكان ليكون خشبة مسرح من أجل دور غير معروف.

جلست ديانا على صخرة بعرض سرير مزدوج، أمام نظر فلز المحلقة عينيها من الدهشة، اتخذت وضعية خاصة بالمجلات المثيرة الرخيصة، وقد تثبت ركبتيها قليلا، وباعدت بين ساقها كحرف (V)، ووضعت يديها على عجانها، أبدت أيضا على وجهها تعبير الاستمتاع بما قبل النشوة الجنسية، أما مارتا، فقد تمدّدت بشكل استعراضي متوجهة نحو النهر، وضمت إحدى ركبتيها نحو بطنها، وأمالت رأسها إلى الخلف وقد ضمت يديها على مؤخرة عنقها، بدا على وجهها أيضا نفس

تعبير الابتذال لامرأة عاهرة تبيع الهوى. غيردا كانت في وضعية السجود تعرض مؤخرتها رائعة الجمال. بياتريس كانت واقفة على قدميها، وقد أسندت إحدى قدميها على الصخور، منحنية إلى الأمام ودلت ذراعيها إلى الأسفل، وضعت خدها على ركبته كأنها تتكئ على كتف رجل محب وشهواني، كانت تنظر إلى الماء بعينين زرقاوين حالمتين.. أمام هذا المشهد الذي يدفع العقول إلى الجمود، بحثت فلز عن غراسيلا، كأمل أخير، لكن هي أيضا شاركت باللعبة منذ فترة طويلة، كانت تقف وحدها نصف عارية بلا حراك، كتمثال إلهة فوق صخرة على شكل شرع، خلعت قميصها وألقته جانبا، يدها اليمنى مستندة على خصرها وقد رفعت ثدييها إلى الأعلى، بدت لفلز في وقفها تلك، فطرية، بريئة، ورقيقة كحمامة، آثار حروق تحاول الاختباء خلف قلادة فضية بين حلمتين بلون ثمر العليق، عيناها تحدقان في نقطة في السماء، أصابع يدها اليسرى الرقيقة تطوف فوق شفثتها نصف المنفرجتين وقد توذمتا من العطش، لا تتكلم، وكأنها لا تستطيع التعبير بشتى السبل عن رغبتها الحبيسة القاسية والمؤلمة، كل جسدها استدق وامتد كسهم مسدد نحو السماء، كان جاهزا للانطلاق والطيران لضرب الهدف، وجدت فلز نفسها في حلم لا يقبله العقل ولا يمكنها الاستيقاظ منه ولا بأي شكل، لكن حتى الأحلام قد تحمل معنى ومنطقا أشد عمقا مما تراه.

«ها يا فليتشيستا، ها خذي وضعية استعراضية، جدي شيئا مسليا».

فلز ظلت واقفة بصلافة كأبي الهول، فقدت المقدرة على فهم أي شيء، دقت الساعة الدقيقة لغيردا معلنة الثالثة والنصف،

لم يصدر، في بداية الأمر، أية حركة، خلال دقيقة مضت في الضباب الكثيف، حبست النسوة أنفاسهن وهن ينتظرن في وضعيتهن الاستعراضية المضحكة، الخرقاء والغريبة، أخيرا، ظهر كنو⁽⁶⁾ من بين الصخور، يقل أربعة شباب، يبدو من الشعارات التي على ستر النجاة التي يرتدونها، أنهم من فريق تجديد جامعة (ه) والتي تبعد سبعين كيلومترا، رياضيون أشداء بصحة جيدة، يقبضون على المجاديف بكل قوة، كانوا يبذلون جهدا فوق طاقة البشر كي يعبروا هذا النهر من ممره الضيق والأشد خطورة، حتى لا يتهشموا على صخوره الحادة، رأوا النسوة في نفس المكان حيث يرونهم كل سبت.

«أيا جنيات الغابة! ها أنتن هنا ثانية؟ سنعرّج اليوم على قريتك!». «يا بنات، تكشفن أكثر يا بنات!».

«سنركن الكنو ونأتي، لا تغادرن المكان، ابقين حيث أنتن!».

«يا ذات الشعر الأشقر، إن لم تخلي بنطالك فلن يكتمل المشهد!».

لم تجب النساء، ولم يصدر عنهن أي صوت، بقين متصلبات وساكنات، وصامتات كالدمى.

صغير، وضحك، ودعابات من تحت الحزام من دون خروج عن حدود اللياقة.. تعليقات جريئة حول نحافة بياتريس، وانفراج ساقى ديانا بطريقة غير مؤدبة، ومؤخرة غيردا، وثديي غراسيلا العاريين.. أما فليتشيتا فقد بقيت واقفة متجمدة في مكانها بلا حراك من الدهشة، دون أن تبعد عينيها عن ثديي غراسيلا

(6) زورق طويل ضيق يقاد بمجداف أو أكثر (المترجم).

المعروضين على الملأ وندب الجروح، وقد توقف تفكيرها وذاكرتها وأحاسيسها، وأخيراً، وبينما كان الكنو على وشك الاختفاء عن النظر والابتعاد، ارتفع ذراعاً فلز في الهواء ببطء، كطير خشبي نسي الطيران، بسط جناحيه جاهداً، لكنه سرعان ما تراخى من الوهن وانفلق على نفسه، كجناحين مكسورين تكوماً فوق بعضيهما وسكنا بلا حراك، ومن خلال هدير النهر والسياح المبتعد شيئاً فشيئاً، سُمع بصعوبة صوت غراسيلا القادم من عالم آخر «الحياة جميلة..» (Vida e bonita ...).

قطرتا دمع فاترتان، انبثقتا في عيني فلز، وسالتا على وجنتيهما فخلفتا أثراً كنهر أصفر، وموحد. الكنو، اختفى منذ وقت طويل، والنساء، بَقين وحيدات في قلب الغابة.

فريال تلماتش
FERYAL TILMAÇ
1969

ولدت في أضنا، بعد أن أنهت دراستها الثانوية في أضنا، درست علوم الإدارة والاقتصاد في كلية الاقتصاد في جامعة البوسفور - إستانبول.

أصدرت ثلاثة كتب أبحاث اقتصادية في مجال الصناعة الزراعية والنسيج وصناعة النبيذ، ونُشرت لأهميتها بدعم من غرفة تجارة إستانبول بين الأعوام (2002 - 2003).

دخلت الحياة الأدبية بنشر القصص القصيرة في المجلات الأدبية الورقية والإلكترونية مثل «أرتيمو» و«الوجود» و«إيشيك جني». تعمل حالياً في إدارة تحرير دار «ألت كتاب» للنشر الإلكتروني. أصدرت عام 2007 مجموعتها القصصية الأولى «الموت نوم بلفظة واحدة».

وأصدرت عام 2008 مجموعتها القصصية الثانية «دعوتُ فقلتم صيفا».

وأصدرت عام 2013 مجموعتها القصصية الثالثة «الرجل المتائب».

ونالت عام 2006 الجائزة الأولى لدار «ألتّ كتاب» للنشر الإلكتروني عن قصتها القصيرة «ثلاثة فصوص».

ونالت عام 2009 جائزة سعيد فائق للقصة القصيرة عن مجموعتها القصصية «دعوتهم فقلتم صيفا»، والتي اختيرت منها قصتها ضمن هذه المجموعة القصصية.

حبة التين

بعد مضي عدة أشهر، أنا في البيت حيث ولدت وترعرعت، هذا المنظر الذي كنت أشاهده لسنوات مضت، أراه اليوم بطريقة مختلفة، الشمس تلقي شظايا نارية على سطح الماء، وعلى نوافذ أبنية «غوموش سويو»، الضفة المقابلة.. الطرف الآخر، «برج البنت» يبدو وكأنه انبثق من الأساطير، الأميرة سيئة الطالع لدغتها أفعى انسلت من سلة مليئة بالتين.. حتى النوارس المحلقة في السماء، تطير وتحط على أسطح المنازل بسكون غير اعتيادي، ربما التوقيت للمجيء إلى هنا، مازال مبكرا، أعلم جيدا أن اللقاء لن يكون مريحا أبدا عند حضور الجميع بعد قليل، كنت أعرف ذلك منذ البداية، لحظات في حياة الإنسان لا مفر منها، مواجهات.. كلا، لست مدينة بالاعتذار من أحد، إن كان هناك أحد يجب الاعتذار له، فهي أنا، ببساطة فأنا هنا، وما سأقوله أمامكم، ربما ستتشنج معدتي وأنا أواجهكم ببرود، وقد يتصدع رأسي وبعثدئ ببساطة.. سينتهي كل شيء، سأستيقظ

في الصباح في بيتي ثانية، وسيتابع كل شيء الاستمرار من حيث توقف، أدخن سيجارة بأناة، وأنا أدير ظهري لكم، ها هم قادمون، تستبدل ناريمان منفضة سجائري بارتباك وتختفي، أمسك يد عاصم بهدوء، أصابعه غير راغبة، تتلامس أيدينا وتتباعد.

«أهلا بكم عزيزتي موعى».

أمي كحالها دائما متماسكة، شعرها مصفف بإتقان، كأنها خرجت للتو من عند الكوافير، ومكياجها متقن أيضا، ارتدت بنطال جينز كما تفعل دائما لتبدو شابة، ارتدت قميصا أبيض أنيقا وحذاء أسود بكعب عال، أقترُبُ بارتباك، تواجهني بوجنتها.

«مرحبا ماما».

أمسك عاصما من ذراعه برفق وأحاول دفعه إلى الأمام، كأن خرسانة قد صُبت على قدميه! دفعته بصعوبة:

«عاصم، زوجي».

«هلا جلستم؟».

أبي يتمتم، ليس ذلك بكلام، هو ارتدى بنطال جينز أيضا، «يريدون أن يكسروا عيني»، فهمنا أنكم ما زلتم شبابا! جعل قميصه ذا المربعات خارج البنطال، سيجار بين أصابعه، تعاجله ناريمان بمنفضة سجائر حيث يجلس، أسند ظهره ووضع ساقا على ساق، كان يسعى للقول لا تنظري إلى مظهري الشاب، إنني رأس هذا البيت، ليتهم يتحدثون بصراحة، حتى نرتاح جميعا، أه يا أبي، أضبط نفسي بصعوبة كي لا أعانقك وأقبلك، لكنني عاتبة عليك، لقد تماديت كثيرا هذه المرة.

«مرحبا بك يا موعى، أهلا وسهلا بكم».

براق، مثل حاله دائما، غير مبال، يقترب ويصافح عاصما، في

أعماق عينيه ابتسامة خبيثة، لا يسمح بتجاوزه من قلب الأحداث، رغم ذلك، فجليّ أنه نأى بنفسه بلباقة، يتمدد على الأريكة المواجهة للتلفاز، يمد يده نحو «الموجّه» ويشغلّ التلفاز غير مبال بنظرات أمه، يجد فيلما وثائقيا، فيشرع بالمتابعة، عُثر في أفريقيا على أحافير لكائن حي نصفه لإنسان والنصف الآخر لقرود، ربما نصفه الأعلى لقرود ونصفه الأسفل لإنسان، أو ربما العكس، أسمع بشكل غير مترابط، يُعتقد أنه لطفل في الثالثة من عمره، يتابع بكل جوانحه، ويصدر أصواتا تعبر عن الدهشة، كأن شيئا لم يحدث، كأن كل شيء كالعتاد، وكأننا نقوم بزيارة عائلية اعتيادية، يبدو أن نظرية التطور تثير اهتمامه أكثر من المسائل العائلية، لا لوم عليه، ليته ينتهي بأسرع ما يمكن! ليتنا ننفضّ لشؤوننا الخاصة.

«أهلا وسهلا يا عزيزتي موعى، أهلا وسهلا بكم يا سيدي».
تدخل جدتي من أبي الصالون، يتلملم أبي، يتراجع عن وضع ساق على ساق ويعتدل في جلسته، فلتعش جدتي! تقترب نحوي وتمد يدها، يجب عليّ تقبيل يدها، تبدو ندرت هانم مصممة على أن تُظهر من نكون لعاصم، وضعت على كتفها شالا من الكشمير، وغطت ساقيه المصابتين بالروماتيزم بجوارب حريرية، هذه المسرحية يجب أن تنتهي، كما فكرتُ فهي الوحيدة القادرة على الوقوف إلى جانبي، أقبل يدها، يفرز خاتمها ذو الماسة الهولندية الكبيرة الذي في إصبعها في ذقني ثم في جبيني، لا وسيلة أخرى لأعرّف عاصم من نكون!

«عاصم، جدتي ندرت هانم».

«كيف حالكم يا سيدتي؟».

ينحني عاصم قليلا ويقبل يدها برفق، بريك يا عاصم

لا تضع يدها على رأسك، تصرف بلباقة! لا يفعل، تبتسم جدتي، تلك ابتسامة غزلية، أمر لا يصدق، أخجل من زوجي، أعرف رأيه بما يتعلق بقصور الباشوات، مظاهر الحياة المبهرجة، والمتظاهرين بالأرستقراطية، لكنه يبدو ممتنا من وجود مُساند ذي سلطة، كانت ناريمان تنتظر تشريف جدتي، يبدو واضحا من استخدامها كؤوس الليكور الكريستالية الملونة والصينية الفضية، ليكور التين، إلى جانبه لوز أخضر بالثلج، ضيافة بيتنا التي لا تتغير، في الحقيقة، أدركت في لحظة، كم أحن إلى ذلك.

فقد براق اهتمامه بالقرود، يتأمل عاصما بلا اكرات، أخشى تأخر إعطائي الفرصة لأقول ما جئت من أجله، ما إن تبدأ بالقول «بُنية عظامكم مثيرة جدا، كأنها تحمل خصائص سلافية، وبخاصة عظام الجبهة والأنف..»، مرحى لمن يستطيع إسكاتها، كأن أمي أدركت فتأخذ المبادرة.

«قالت موغى إنك طيب».

جدتي وبوراك يندفعان بالقول معا:

«جيناكولوغ».

«نسائية».

«أجل، مختص بالنسائية والتوليد».

يتحرك عاصم بانزعاج، يبدو أن أبي كان ينتظر هذه اللحظة، بل أقسم إنه قد أعد كلامه سابقا،

«لا شك أنك اختصاصي في مجال الفتيات الشابات أيضا».

أنت البادئ يا أبي، لقد كشفت موقفك بوضوح! أشكرك،

أتحرر من حذري.

«بابا صورتكم في الجريدة بدت جذابة وجميلة جدا».

يحمر وجهه، حتى ذلك فقليل، ليته يعلم كم سبّب لي من حزن، أريد نسيان ذلك اليوم، كنا على مائدة الإفطار، عاصم يقرأ الصحيفة وأنا أقرأ ملحق السبت، ألاحظ بعد قليل عدم تناوله أي شيء، حتى إنه لم يلمس كوب الشاي فأسأله عمّ ألم به، وجهه شاحب، يحترق أين يخبئ الصحيفة، في النهاية، وتحت إصراري الشديد، يمدّها..

«رجل الأعمال عثمان ساران يعلن موت ابنته موعى ساران بسبب زواجها دون إذنه من الدكتور عاصم تزجان الذي يكبرها بخمس وعشرين سنة، ويقيم مولدا على روحها في جامع تشفيكية، تمت المراسم بحضور الأصدقاء والأقرباء، شخصيات مشهورة في المجتمع والعمل والجيران، بعد انتهاء المراسم عقد الأب المفجوع مؤتمرا صحافيا، وصرح: «بل إن الدكتور أكبر مني سنا، يجب ألا يتوقع مني قبول ذلك، لم تعد ابنتي، هذا المولد يندب فجيعة أب مكلوم»، أثار عثمان ساران الانتباه بشبكه لقرنفل حمراء وصورة لابنته على ياقة جاكيتته، كما أن عدم مشاركة جولين ساران أم البنت الشابة في المراسم، أثار بين الحضور تناقل الإشاعات، بعد انتهاء المولد وُزِعَ على الحضور علب تين مجفف بدلا من الملبس على لوز.

الجميع، قرأ ذلك! هذا أول ما فكرت به، أه! لو تتشق الأرض وتبتلعني، لو أفنى، لو أصبح هباء واختلط بهواء المدينة.. كلما أتذكر ما نُشر في الجريدة، ينكأ الجرح الذي في داخلي من جديد. اليرقة تتحرك بحرية، وحش تصفية الحساب ينتظر كلماتي بتلف، كي يخرج من القمقم وينطلق.

«توزيعكم التين المجفف على الحضور فيه ذوق رفيع، ووضعتكم

صورتني التي صورتها لامتحانات دخول المعهد على يافتكم،
سامحك الله! ألم تجدوا صورة لي أحدث منها؟».
الاحمرار الذي بدأ من أذنيه غطى منذ فترة كامل وجهه،
وينتشر سريعا حتى عنقه، وتضع قرنفة على يافتك، غير
معقول، ألم تفكر يا أبي كيف لي أن أتطلع بوجوه صديقاتي
وماذا سيكون موقفي أمامهن؟ وصورت عاصم كمنحرف؟ يجب
أن تفرح بأنه ناضج كفاية حتى جاء إلى بيتك، إذن ذلك يعني
أن الأصهرة المسنين يحملون ميزة حسنة، يضحك براق، عندما
يصبح أبي على وشك نفث كل حنقه تستدير أمي نحوه وتهرع
للنجدة.

«سيد عاصم، عثمان شديد الولع بموغي، لقد مر بصدمة،
رجاء لا تعتبروا ذلك موجهها لشخصكم، تعلمون كم هي غلاوة
البنث على الآباء».

واضح أن أمي توازن بين مهنة عاصم وتقدمه في السن، رغم
احتفاظها بنبرة صوتها، لكنها في الحقيقة، تبدو خجلة، يطيب
لي هوى الألقاب للمرة الأولى، تُغير الحديث بلباقة.
«تقيمون في نيشانتاشي، أليس كذلك؟».

«أجل يا أمي، نقيم في بيت عاصم، وجدنا أن لا معنى لتغيير
نظام قائم».

يتلمم أبي، يقدم سيجارا لعاصم، لا يدخن، ولا يدخن
السجائر أيضا، شعاره: انتبه لصحتك، كي تكون مطمئن البال.
كما انظروا أيضا، يبدو أنه أكثر شبابا منكم، الزمن لا يمضي
متشابها مع الجميع، لكن لكل امرئ أنشوطته الخاصة، متى
ستدركون ذلك؟ أبي يتحاشى النظر نحوي، أصبت بالندم، لو

قال ليّتي ما فعلت ذلك، فأنا مستعدة للنسيان، وكأنه ليس هو من أخزاننا وما زال يستمر بتقريع زوجي.

«هل ستلتحق موعى بمدرستها؟ أظن أن لا مشكلة عندكم بما يخص دراستها، بقي لها سنتان، كنت أفكر بإرسالها إلى فرنسا فور إكمالها لدراستها، إذا أردتم ما زلت..
جدتي لا تضيّع الفرصة.

«آه، كنت حريصة جدا على دراسة عثمان، أكمل دراسته بتفوق، لم يسبب لنا غما أبدا، لو كان جده الباشا حيا لشعر بالفخر به، عائلتنا دائما هكذا، عائلتنا...»
«أقدر ذلك، إذا رغبت موعى بإكمال دراستها، فأنا أدمع قرارها ذلك».

عاصم يُسكت جدتي بلباقة، حسنا يفعل، إذا ما توغلت في شجرة العائلة فلن تصل إلى نهاية.

«سأكمل دراستي يا أبي، لكن انسوا فرنسا، هل ستكون سعيدا لو تذهب أمي خارج البلاد للدراسة؟ أنا امرأة متزوجة، ولدي مسؤولياتي، عاصم لديه عمل يملأ جل وقته، وأنا من يتولى كافة الأمور».

لأول مرة، يبدو حزينا جدا، كأنه لو لمسناه لانهار بكاء، أبدو كأنني متّ في الحقيقة، يبدأ حنقي بالتلاشي، بالنسبة لي يزول من داخلي ويذهب، سأقتهم الأمر عندما يصبح لي أطفال، ربما بعد سنة، هل يا ترى سيستطيع عاصم الانتظار كل هذه المدة؟ سأنتقل وسط الصالون بحملي، أكثر سمنا حتى من جدتي، أرثدي ثوبا فضفاضا مكشكشا مثل ناريمان، بطني وساقِيّ تنتفخ وتتشقق، أذهب إلى الحمام للتقيؤ وأنا ممسكة

بوسطي..

«موغى!».

أعود إلى رشدي مع صوت أمي، وجهي أصفر على حد قولها، أشعر بتوعك، أريد العودة إلى البيت، أرتدي لباس النوم لأجلس في حضان عاصم، لأشرب الحليب الذي سخنه، ليروي لي أحداثاً مضحكة حول مرضاه، أتوسد صدره، ليربت على شعري، وأستغرق بالنوم، ما عاد بإمكانني التحمّل، ما بعد الظهر هذا، تمدد وتوسع، حتى كأنه استغرق في طوله هذا كل حياتنا، وتحول إلى عمر لا نهاية له.

أبي وعاصم، يتحاوران بمواضيع شتى، يتحدثان في الأمور السياسية، براق يقول شيئاً ما لجدتي بصوت خفيض، يضحك مغطياً فمه بيده، تذهب أمي إلى المطبخ، لعلها ستطلب من ناريمان إعداد القهوة، كم يشعرون بالراحة جميعهم، أشعر بالانقباض والتوتر.. رحماك يا ربي! لا أحد يبالي، أريد أن أصرخ قائلة: وَيَحْكَمْ انظروا، أنا أخطط لهذا اللقاء منذ أشهر، لحظة بلحظة، كلمة بكلمة، ما حدث لا يحل على هذا النحو، لا بهذه السرعة والبساطة، ولا بهذا القدر من السطحية، يسأل أبي عاصم هل تحب البريدج؟ سأفقد عقلي، تصرف بجلافة يا عاصم، لقد أهانك أمام مرضاك، لا تنس! تظهر أمي وخلفها ناريمان تحمل صينية القهوة، تملأ ناريمان أقداح الليكور ابتداءً من جدتي، يرن الهاتف المحمول لبراق، يخرج من الصالون ليتمكن من التحدث براحة، أحتسي جرعة من قهوتي وأشعل سيجارة.

«موغى، ستهرم بشرتك قبل الأوان يا صغيرتي، انظري حتى

زوجك لا يدخن».

تحت كل هذه الظروف تنتقد أمي سيجارتي، وكأنه لا يكفيني ما أعاني منه حتى تُظهر لي عاصما كمثال يحتذى، أسحب نفسا عميقا وأزم شفتي وأنفث الدخان، غمامة دخان صغيرة تحلق فوق طاولة الوسط، تنتشر في الفراغ وقد تباعدت ذراتها مثل أبابي البحر، يشعرني ذلك بالمتعة، ما إن تتلاش حتى أنفث أخرى، أمي تحاول أن تقول لا تفعلي بإشارات من حاجبها وعينها، تتدخل جدتي.

«كنت كذلك في طفولتك يا غولين، يجب ألا تقولي لا تفعلي، ستفعل ذلك عنادا، دعيها وشأنها، تشبه حماتي المرحومة عتيقة هانم، هي أيضا هكذا...».

أطفئ سيجارتي وأنهض.

«هل أستطيع رؤية غرفتي؟».

أنجح أخيرا بجلب انتباه الجميع، أبي وزوجي يتوقفان عن حديثهما وينظران إليّ كأنني أردت شيئا غريبا جدا، لا أحد ينبس ببنت شفة، تنظر أمي نحو البحر، جدتي تعدّل شالها، تبدو عليهم الدهشة، لا أبالي، أريد الذهاب إلى غرفتي، منذ أشهر أراها في أحلامي، عندما أستيقظ في منتصف الليل وأدرك أنني في غرفة أخرى.. باب غرفتي مغلق، أفتحه بهدوء، قلبي يدق، دائما مثل رائحة الصنوبر و«ريفغوش»، لم يلمس شيء البتة، أتمدّد على سريري، كتبي، حاسوبي، صوري، كرتي، أدواتي الموسيقية، أقراص المدمجة.. كل شيء في مكانه، ما عدا خزانة ثيابي قد أفرغت، كم بكيت يوم أحضرت ناريمان ثيابي إلى البيت في «نيشانتاشي» وقد رتبتهما بإتقان في حقيبة، قلت تعالي

اشربي قهوة، قالت «السائق أحضرني وينتظر في الأسفل»،
 وذهبت مسرعة، عندما جاء عاصم كانت عيناى كجمر النار، باب
 غرفتي يُقرع، حسنا! لم ينسوا قواعدي، تدخل ناريمان مترددة.
 «لا تبالي بهم يا بنتي، أصبح لك عش زوجية، اهتمي بتسيير
 أمور حياتك نحو الأحسن، ذلك أفضل لك، قال الأجداد إذا
 تزوجت الفتاة من شاب في مقتبل العمر ستعاني من أهوائه
 ونزواته، أما إذا تزوجت من رجل اعترك الحياة فستعيش على
 عرش في قلبه، أنا عمري كان بنصف عمر المرحوم، هل انعكس
 ذلك سلبا؟ ضيق اليد حالة عامة، لكنه لم يؤذني أو يسئ إليّ
 أبدا، على أية حال، ماذا تعني الحياة؟ قلب الأب حنون، وأنت
 أيضا سايريه، ألا توافقيني؟ لا تبتعدي عنه على هذا النحو بعد
 الآن، السيدة الوالدة أيضا حزنت كثيرا، كلنا نعلم أنها مفرمة
 بिरاق، لكنها لم تنقطع عن ذكرك قط، والدك أيضا ذكرك كثيرا،
 رغم أن عثمان بيه كان غاضبا جدا...».

«لتسلمي يا ناريمان، لا تحزني، سنتردد عليكم دائما من الآن
 فصاعدا، أمي تنادي، اذهبي أنت، سيقلقون الآن».

فكرت بما قالته ناريمان بعد أن بقيت وحدي، تقول: عشتُ
 سعيدة، مع أنني أعلم جيدا كم كانت حياتها صعبة، زوجها رقد
 مريضا لسنوات عدة، زوّجت ابنتها، لكن صهرها يستعين بها منذ
 أن تعرفتُ عليهم، ابنها لم يتعلم، إذن السعادة الزوجية أمر نسبي،
 حسن، هل أنا سعيدة؟ كلما جالت هذه الفكرة في رأسي أطردها،
 عاصم يفعل كل ما بوسعه، يفرقني بالهدايا، يذهب أينما أشاء، لا
 حاجة لطلب الإذن، ولا مساءلة، أنا حرة، نحجز في النوادي التي
 يرتادها أصدقائي للرقص والشرب والأكل، نصادفهم من حين

لآخر، ونتحدث وقوفا، يتوقون للتعرف على عاصم، يندهشون منا ومن بيتنا، أشعر بأنني مختلفة ومهمة، أريد الاحتفاظ أمامهم بالهيبه التي اكتسبتها بتمردتي على عائلتي، رغباتهم باللقاء ألتقاها بتثاقل، أصبحت الآن امرأة متزوجة، أحب هذه اللعبة، ظللت أحبها حتى جئنا إلى هنا، يشوشون تفكيرتي، عاصم يتقبل بأريحية تقلب أفكارني السريع وكل ما أفعل، أشعر بالضيق، أرغب النوم في غرفتي هذه الليلة، يُقرع الباب ثانية، تُطلّ ناريمان برأسها من الباب دون أن تدخل هذه المرة.

«غولين هانم قلقت يا موغى، يسألون هل مازالت في غرفتها، سيقومون للطعام، أعددت الطعام، ولأنك ستأتين، فقد أعددت المعجنات بالسبانخ منذ الصباح، إن كنتِ ترغبين شيئا آخر قولي لأعده في الحال».

«كلا يا ناريمان، لا أرغب بأي شيء، ماذا يفعل عاصم؟».

«الدكتور وأبوك يلعبان الشطرنج».

لا أرغب بالذهاب، كل ما أرغبه النوم، النوم بعمق، ثم أريد النهوض بعد النوم، أريد قهوتي بالحليب في غرفتي، أفتح حاسوبي، أرددش مع أصدقائي على النت، أعد برنامج اليوم، أقرر ما سوف أرتيه وأخرج سريعا من البيت، أدخل معترك الحياة، أعود موغى ثانية، أشعر براحة البال مع كل نفس أتففسه.. أخلع حذائي وأدخل فراشي، أمد يدي تحت وسادتي، أبحث عن كيس الخزامى في تلك الطراوة، تلامس أصابعي، في مكانها المعتاد، أستششق رائحة وسادتي، أشعر بتثاقل في رأسي، أفكارني تتراقص، أظن أنه لو نمت حتى موعد العشاء، فذلك لن يضير أحدا..

شبنم إشيغوزال
ŞEBNEM İŞİĞÜZEL
1973

ولدت في يالوفا، أكملت تعليمها الثانوي في يالوفا، ثم أنهت عام 1995 دراستها بقسم علم الإنسان من جامعة إستانبول. نشرت لها مجلة الزقاق عام 1990 سلسلة كاريكاتورية بعنوان «من نافذة امرأة»، ونشرت مجلة «الوجود» عام 1993 أول قصة لها بعنوان «عزيزتي السيدة أرفداه».

عملت بين الأعوام 1992 - 1994 مراسلة ومحررة ومراسلة في العديد من الصحف والمجلات ومحطات التلفزة، كما عملت كاتبة زاوية في صحيفتي «ميليت» و«راديكال» ومجلة «الثور».

أعمالها في مجال القصة القصيرة: بدر سيطلع على بيتك (1993)، من سيشرح قصتي (1994)، سيد قدرتي (2001).

وفي مجال الرواية: العنكبوت صديقي القديم (1996)،
اللبلاب (2002)، المزيلة (2004)، استعراض احتفالي (2008)،
ظلال أهدابي (2010).

جمعت عام 2000 مقالاتها التي نشرت في صحيفة راديكال
في كتاب بعنوان «بين النساء المرحات»، وصدر لها عام 2011
مجموعة قصصية للأطفال بعنوان «أمي والغريان وأنا».

تُرجمت روايتها «العنكبوت صديقي القديم» إلى الكردية،
وتُرجمت روايتها «اللبلاب» إلى الإيطالية والإسبانية، كما تُرجمت
روايتها «المزيلة» و«ظلال أهدابي» إلى الألمانية.

نالَت عام 1993 جائزة يونس نادي للقصة القصيرة عن أول
كتاب صدر لها بعنوان «بدر سيطلع على بيتك».

اختارت كلية التواصل في جامعة مرمرة مجموعتها القصصية
«من سيروي حكايتي» كتاب العام 1995.

بدرُ سيطلع على بيتك⁽⁷⁾

أرى السماء من حيث أنا مستلقية، السماء بلا نجوم، الطقس غائم غدا، ليس مؤكداً، أحياناً يكون هكذا في الليل وفي الصباح يكون النهار مشمساً، رائحة التراب تعبق، نسيت إغلاق النافذة، يأتي أحدهم الآن ويسأل على نحو روتيني: «هل زال صداد رأسك؟» لن أصدر صوتاً، سيظنون أنني نائمة، حينئذ يغلِق النافذة ويذهب.

يرفعون المائدة، أصوات الأطباق والسلطانيات والشُّوك والسكاكين تقطع أحشائي، التلفزيون شغال رغم أن لا أحد يتابعه، صوته يجلجل في الأرجاء، كأن كل الذين يعيشون في البيت صم، لا يخفضون صوته كي لا يزعجوا جدتي، تخفض أختي الكبرى صوته قليلاً كي تنام ابنتها، الصغيرة تصيح من حيث تنام:

«ارفعوا صوته، أنام وأنا أستمع إليه».

على أي حال، الأطفال يحبون الاندساس في ركن ما للنوم وسط تجمع الأهل وصخبهم، أنا كنت أحب النوم فوق الطاوالات

(7) مصطلح عند قراءة الفنجان بقدم مولود بنت والشمس تعني مولوداً صبيّاً (المترجم).

في حفلات الأفراح، كنت أشعر برغبة بالنوم بينما جميع الأطفال يجتمعون أغطية الكازوز والقصبات بحماس، كان صوت الفرقة الموسيقية والحضور يتحوّل إلى طنين، كانت أمي تطوي سترتها وتضعها تحت رأسي كوسادة، أصعب ما في الأمر، إيقاظي واضطراري للسير حتى البيت.

في أحد المرات قاومت كثيرا كي لا أنهض، أمسكتني أمي من كتفي وهزتي، أبي أيضا صفعني برقة، كم كان عمري في ذلك الوقت؟ هل ست سنوات.. أم خمس؟.. ألبستي أمي سترتي بعصبية وضجر، في ذلك الوقت كان أسفل عينيها متوذّما. في الواقع، لقد اضطرت ذلك الشتاء، لاستئصال إحدى كليتيها، تجاعيد عميقة بدأت تخطّ على جبينها حديثا، في تلك الساعة، أحمر الشفاه كان قد زال منذ فترة، وتحول لون شفثيها إلى بياض يميل إلى الوردى، أما التموجات النضرة لشعرها فقد هدأت منذ وقت.

عند الذهاب إلى حفلات الأفراح، كانت ترتدي فستانا بنفسجيا فاتحا بياقة تكشف صدرها، أطراف فستانها تغضنت من طول الجلوس، أما أزوار فستانها الصدفية، فأنا وحدي كنت من يميز ما يموج في داخلها من ألوان متعددة.

حدث ما فكرت به، طفلتنا الصغيرة تطلب رفع صوت التلفزيون، جاء أحد ما، لا بد أنه أخي، يكتب مع الشيوعيين شعارات على الجدران، في اليوم الفائت أشار إلى شعارات على جدار المدرسة، «الموت للفاشينين»، هو من كتب ذلك.

«ما معنى فاشي؟» سألت.

«لن تفهمي حتى لو شرحت لك»، قال.

ثم شعر بالندم لرده على هذا النحو.

شرح يشرح بكلام من كتب يقرؤها، نظرت ثانية إلى الكتابة
بتساؤل.

«كتبتها على عجل»، قلت.

«قد يأتي المأفونون فنشتبك معهم».

«هل الفاشيون مأفونون؟».

«مجرد شتيمة».

أبي يشتم، لا بد أن الطلاء لم يزل عن يديه تماما، أدرك
كتابة أخي لشعارات مع الشيوعيين، يقول كلاما بذيئا: «وأنت
أيضا كالحمار تتابع التلفزيون ثم تذهب إلى غرفتك وتستمني،
ماذا ستغيرون؟» يحقره. أبي يقول كلاما من هذا القبيل، لكنه
لا يتابع التلفاز، الله يعلم أنه لا يستمني، جدتي تحاول التدخل
لتهدئة النقاش، أما أختي الكبرى فتصرخ بأعلى ما عندها من
صوت، تنتاب أمي نوبة ألم كلى بعد قليل، تتلوى وتتشنج، تتمدد
على ظهرها فوق الأريكة الصلبة في الصالون، ربما تبكي أيضا..
هل دموعها التي لا تتوقف عن الانهمار هي من ألمها، أم على
أبنائها الأشقياء؟

كان يليق بأمها حياة أخرى:

وجب أن تقلب كتابا قيما كتب بخط اليد، بيدها ذات الأصابع
الطويلة الرقيقة، بائع الأنثيكا لا يستطيع مقاومة رائحة عطرها
التمين الجذاب.

«إلى أي قرن يعود هذا الكتاب؟» لا بد أنها أدركت ما يعنيه
من سؤاله للمرة الثانية.

عند استيقاظها لا بد أن تجد عند طرف رأسها ما تركه
حبيبها من بيتي شعر، تفرج ما بين أهدابها الطويلة، ومن خلال

غشاوة لا بد أن تقرأ بأناة الشعر المكتوب الذي كُتِبَ بقلم حبر أسود برأس مدبب، لا بد أن تتبسم، لا بد أن تري ابتسامتها على إناء السكر الفضي على صينية الإفطار التي أحضرت إلى سريرها، «كم أنا سعيدة»، لا بد أن يجول في خاطرها، لا بد أن تفكر على الفور: «متى كنت تعيسة آخر مرة؟».

لا بد أن محاولتها التذكّر ستأخذ وقتا ليس بالقليل، يوم انفرط عقدها اللؤلؤ وتناثرت حباته في الأرجاء.. كلا، انفرط عقدها اللؤلؤ لم يجعلها تعيسة، بل حزنت لعدم رغبتها الانحناء على الأرض وجمع حبات اللؤلؤ وسط هذه الزحمة.

يُسمع وقع أقدام أمي، لا بد أن آلامها قد توقفت إذن، ثم تقول يجب تغطية طفلة أختي الكبرى، أختي الكبرى على الهاتف ثانية، هذه المكالمات كمثيالاتها ستستمر طويلا وستشرح بلا كلل تعاسة زواجها، لا تستطيع إلا أن تشي عن أخيها الصغير الشيوعي ومدى حزنها لذلك، تهز ساقها اليسرى الآن بلا توقف وهي تتحدث، تحاول أمي جلب انتباهها بإشارات من حاجبها كي تنهي مكالمتها.

الجدّة، لا تكف عن قص مخالاب الشيطان (عرق الملح)، ما أقبحه من مصطلح، عندما كنت صغيرة، أنا أيضا كنت أعاني من مخالاب الشيطان.

أغلقوا التلفزيون، ستزعج جدتي بعد قليل، من حالة الهدوء، تطلب منهم فتح الراديو، عند سماعها أغانيها المحببة تشرع بالدندنة أيضا.

لباسها الأرجواني الباهت، تدير ذراع الجرامافون بعلامته التجارية «صوت سيده»، بنات البيت الثلاثة وصديقاتهن يحاولن

تعلم التانجو، أحذيتهاً جديدة، لونها أحمر خمري، كم تبدو أنيقة فوق السجادة المحاكة يدويا بألوان مبهرة، قلّمن حواجبهن حتى لا تكاد تظهر من شدة دقتها، كما طلين شفاههن قليلا، تغمض عينيها من حين لآخر وهي تتمتم بكلمات التانجو.. أمها، أو بالأصح أبوها، لا يسمح لها بقص شعرها، في حين، كم تودّ لو يكون شعرها قصيرا جدا، فجأة تلاحظ مخالف الشيطان، تترك التانجو، وتذهب لقص مخالف الشيطان.

هرمت الجدة كثيرا، بعد قليل ستبدأ بالتحدث عن بداياتها بتعلم التانجو في سنوات شبابها.

التقطت أمي صرصورا ثانية، مخبز قريب إلى جوارنا، لذلك كان البيت يعج بالصراصير، ألقت الصرصور الذي أمسكت به في المرحاض ثانية، سحبت السيفون، غضب أبي فقال: «هل يهدر هذا القدر من المياه من أجل حشرة؟».

ثم أصبحت أنا تلك الحشرة:

يد إنسان ضخم قبضت على جسمي، سقطت في حفرة ماء عميقة، كنت أعلم بعدم استطاعتي الخروج منها، هل الماء خطير إلى هذا القدر؟ درت آلاف المرات، تلك الحركة كانت ستدوم إلى ما لا نهاية.

استسلمت، الحركة تستمر، يجب أن أصيح، ها قد دخل أحد ما إلى غرفتي، يسأل ما يجب أن يسأل، الحركة تستمر، انحبس صوتي، يغلِق النافذة بهدوء، حينئذ ما عدت أشم رائحة التراب، أحد ذراعي يتدلى من السرير، أرفع ذراعي وأضمه إلى جانب جسدي، لقد استسلمتُ يا أمي، تقبليني من وجنتي وتربتين على شعري، ربما لم يبرد جسمي بعد، لكنني ما عدت أستطيع

التنفس، ألا ترين؟ أمي، ماذا حصل للوذمات أسفل عينيك؟ وخطوط التجاعيد العميقة على جبينك؟ هل سنذهب إلى حفل زفاف ثانية؟ كلا، يبدو أنكم عائدون من حفل زفاف، أطراف فستانك متفضنة، هل كان لون هذا الفستان أرجوانياً؟ أم كان أخضر فستقياً؟ لماذا فككت أزراره الصدفية؟ انحلت تموجات شعرك النضرة، لكن أحمر شفاهك مازال ظاهراً على شفتيك.

أمي، أقول إنني أستسلم، لا تسمعي..

علبة طلاء وفرشاة يحمل في يده.

«في غرفة أبي» يقول ضاحكاً؛ لا يستطيع الكلام من الضحك.

«كتبت شعارات على جدرانه، ما كتبه: (الموت للفاشين،

قريبٌ تحرُّرنا)، كتبت ذلك بطلاء أحمر قان على الحيطان».

مازال يضحك، ضيق عينيه، يتلوى قليلاً، «ثم أخرجت سكيناً»،

يقول، «يجب ذبح الكلاب الفاشيين أمثالك قلت، خاف، أسندت

جسمه البدين على الحائط، فتحت فتحة بنطاله وصحت به:

استمن، وضعت السكين على كرشه، استمنى أمام عيني، عندما

شرعت بالضحك توقف لحظة، ضغطت كرشه بالسكين ثانية،

واصل».

يخرج من الغرفة ضاحكاً، وبينما كان يصعد الدرج كانت

قهقهاته مازالت تصل إلى مسامعي،

تدخل الجدة الغرفة ويدها فنجان، لم تغلق سحاب ثيابها

الأرجوانية الباهتة، تضع فنجان قهوة على نية قراءة الفأل فوق

البوفيه ذات المرآة.

«أين المقص؟»، تقول على عجل.

تسحب الجوارير بسرعة وتغلقها، في النهاية، تجد المقص،

تقص قصيرا شعرها الأبيض الطويل دفعة واحدة، ثم تأخذ
فرشاة شعرها وتمشطه بعناية.

«كم أصبحت جميلة»، تقول، «لماذا لم يسمحوا لي منذ زمن
بقص شعري، أولا أبي، ثم زوجي، ثم ابني أيضا، انظري كم
أصبحت جميلة، انظري كم أصبحت جميلة».

ترقص الآن وحدها، ثم فجأة تضم يديها جنبا إلى جنب
وتمدهما نحوي.

«انظري، لقد قصت كل مخالب الشيطان».

تتذكر فنجان القهوة الذي وضعتَه فوق البوفيه:

«نويت هذا الفأل لأجلك»، تقول «قاع الفنجان أبيض ناصع،
بدر سيطلع على بيتك».

ثم تذهب مسرعة إلى جوار النافذة، تحقق ثانية في الفنجان
في الضوء الشاحب المتسلل إلى الداخل، تقول: «لا تفل قهوة
أبدا».

تحول عينيها نحوي بذعر: «يبدو أنك مت».

أرى السماء من حيث أنا مستلقية، السماء بلا نجوم، الطقس
غائم غدا..

صفوان عمر فائق الشلبي

- مواليد الأردن 1950
- حاصل على بكالوريوس في الهندسة الميكانيكية من إسطنبول / تركيا
- حاصل على الدبلوم العالي في الهندسة الصحية من فرنسا
- له عدد من البحوث والترجمات باللغتين التركية والفرنسية
- صدر له: لا وجود لما يدعى بالغد (مختارات قصصية من الأدب التركي) 2013.
- كما صدر له: رجل عديم الجدوى (مختارات قصصية لرائد القصة القصيرة التركية سعيد فائق) 2011.

محمد حقي صوتشين

- مواليد تركيا
- حاصل على شهادة ماجستير في اللغة العربية وآدابها من جامعة أنقرة / تركيا في عام 1998
- حاصل على شهادة الدكتوراه في عام 2004
- ترأس اللجنة التي أعدت مناهج اللغة العربية في المراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية في تركيا
- يشرف على إدارة ورشات الترجمة الأدبية بين اللغتين العربية والتركية
- من أعماله المنشورة:
 - ترجمة الأخبار بين اللغتين العربية والتركية، 2014
 - قواعد اللغة التركية للعرب، 2003
 - سماء باسمي للشاعر أحمد الشهاوي (ترجمة إلى التركية)، 2014

حقوق الملكية الفكرية

عنوان القصة	اسم الكاتبة	علامة حقوق النشر
عودة	سعاد درويش	Copyright ©Suat DERVIŞ The SAID WORK is protected by the This book is International Copyright convention. published with the arrangements of ONK Agency, Istanbul, Turkey, 2014
الهاربة	بريدة جلال	©Peride Celal
الأمل خبز الفقير	نزيهة مريش	@ Nezihe Meriç @ Yapı Kredi Kultur Sanat Yayıncılık Ticaret ve Sanayi AŞ All rights reserved
التوتر العالي	عدالت آغا أوغلو	Copyright © 1974 Adalet Ağaoğlu The SAID WORK is protected by the International Copyright convention This book is published with the arrangements of ONK Agency, Istanbul, Turkey, 2014
الريفية	فوروزان	@ Fûruzan @ Yapı Kredi Kultur Sanat Yayıncılık Ticaret ve Sanayi AŞ All rights reserved
القمر والماء	آيلا كوتلو	Bilgi Yayınevi, 1990 ©
الوداع أليوشا	أويا بايدار	© Oya Baydar / KALEM Agency
الغزلان وأمي وألمانيا	نورسل دوروال	© Nursel Duruel, Can Sanat Yayınları Ltd. Şti, 2006
هفوات صغيرة	تومريس أويار	@ Tomris Uyar @ Yapı Kredi Kultur Sanat Yayıncılık Ticaret ve Sanayi AŞ All rights reserved
إبراهيم الميكانيكي ونزله ذو الحقيقة	تزر أوزلو	@ Tezer Özlü @ Yapı Kredi Kultur Sanat Yayıncılık Ticaret ve Sanayi AŞ All rights reserved
مسافر لرحلة قصيرة	بينار كور	©1983, Pınar Kūr
راقصة باليه سابقة	فايزة هينتشيلينغيرلر	©1985, Feyza Hepçilingirler
دعوى ضد مشع للتدفئة	فريدة أوغلو	© Feride Çiçekoğlu, 1991
يقتلون الأحصنة أيضاً	عائشة ساريساين	© Ayşe Sarısayın, Can Yayınları Ltd. Şti, 2004

تأليف ، ليونيد أندرييف	314	حياة إنسان
تأليف ، ميخائيل بولجاكوف	315	دون كيشوت
تأليف ، كنيث ياسودا	316	واحدة بعد أخرى تتفتح أزهار البرهوق
تأليف ، خلدون طائر	317	ملحمة علي الكاشاني
تأليف ، جلال آل أحمد	318	نون والقلم
تأليف ، تشاندرا سيخار كامبار	319	سيرى سامبيجي
تأليف ، جورج أورويل	320	أيام يورمية
تأليف ، ايتالو كالفينو	321	ست وصايا للألفية القادمة
تأليف ، ت. س. إليوت	322	السكرتير الخصوصي
تأليف ، مجموعة من القاصين البرازيليين	323	قصص برازيلية
تأليف ، رولان بارت	324	شذرات من خطاب في العشق
تأليف ، جيمز ماكبرايد	325	لون الماء
تأليف ، أمريتا بريتام	326	وجهان لحواء
تأليف ، اليخاندرو كاسونا	327	المنزل ذو الشرفات السبع
تأليف مجموعة من القاصين الباكستانيين	328	من الأدب الباكستاني الحديث
تأليف ، مجموعة من القاصين الأتراك	329	مختارات من القصة التركية المعاصرة
تأليف ، بهرام بيضاني	330	مسرحية محكمة العدل في بلخ
تأليف ، بنانا يوشيموتو	331	مطبخ - خيالات ضوء القمر
تأليف ، جونتر جراس	332	الطباخون الأشرار - الجرة المكسورة
تأليف ، هاينرش فون كلايست	333	شمل تشابه ضائع
تأليف ، أندريه شديد	334	حكايات الهند الأمريكيين وأساطيرهم
تأليف ، فلاديمير هلباتش	335	زهرة الصيف
تأليف ، مجموعة من القاصين اليابانيين	336	طام - طام زنجي
تأليف ، ليوبولد سيدار سنغور	337	اليبروج
تأليف ، نيكولو ماكيافلي	338	منزل النور
تأليف ، جوهر مراد	339	كتابان النمل في السافانا
تأليف ، تشنوا أشيبي	340	أناطول وجنون العظمة
تأليف ، أرتور شنيتسلر	341	غرام ميتيا
تأليف ، إيفان بونين	342	آرنجنندن والحارس الليلي
تأليف ، فيمي أوسوفيسان	343	ورقة في الرياح القارسة
تأليف ، تنغ - هسنغ يي	344	مدرسة الدكاتور
تأليف ، إيريش كستتر - تيد هيوز	345	رسائل عيد الميلاد
تأليف ، سليمان جيفو ديوب	346	حكايات وخرافات أفريقية (1) - الطفل الملك

تأليف: فريدرش شيلر	مسرحية عذراء أورليان	347
تأليف: سليمان جيفو ديوب	حكايات وخرافات أفريقية (2)	348
تأليف: مجموعة من القاصين المتحدثين بالأسبانية	الأذغال والسهول العشبية تحكي	349
تأليف: وول سوينكا	القصة القصيرة الإسبانية الأمريكية في القرن العشرين	350
تأليف: أو. هنري	مسرحيتنا، 1- محنة الأخ جيرو	351
تأليف: ب. بريشت	2- تحوّل الأخ جيرو	352
تأليف: هنري برنل	روض الأدب (مختارات قصصية)	353
تأليف: لاوشه	مسرحية «أنتيجون»	354
تأليف: برايان فريبل	مسرحيتنا، 1- صناعة تاريخ	355
تأليف: ج. م. كويتتزي	2- ترجمات	356
تأليف: مجموعة من الشعراء المجريين	رواية «الشباب»	357
تأليف: إيجون وولف	مختارات من الشعر المجري المعاصر (شعراء السبعينيات)	358
تأليف: وليام سارويان	مسرحيتنا، 1- تلاميذ الخوف	359
تأليف: مجموعة من القاصين المتحدثين بالألمانية	2- الغزاة	360
تأليف: سيلافومير مروچيك	اسمي آرام (مجموعة قصصية)	361
تأليف: تحسين يوجل	حامل الإكليل (قصص مختارة)	362
تأليف: إيرينيوش إيريدينسكي	الصورة (مسرحية)	363
أندجي ماليشكا	الأيام الخمسة الأخيرة لرسول (رواية)	364
ستانيسلاف ليم (ستانيسواف)	سبع مسرحيات ذات فصل واحد (من بولندا)	365
سوافومير مروچيك	سبع نساء... سبع قصص	366
تأليف: مجموعة من القاصات الفارسيات	زمن الضحك	367
تأليف: نويل كاورد	(ملهاة خفيفة من ثلاثة فصول)	368
تأليف: روبرين دايشيد غونزاليس غاليفو	بالأبيض على الأسود (رواية)	369
تأليف: تيان هان	مسرحيتنا، 1- سهرة في المقهى	370
	2- موت ممثل مشهور	371

تأليف: مايكل هلمان	368	إمراة وحيدة، فروغ فرخزاد وأشعارها، سيرة حياة
تأليف: ييجي شانياهو سكي	369	«الملاح» (مسرحية من الأدب البولندي)
تأليف: بول أوتر	370	ليلة التنبؤ (رواية)
تأليف: نويل كاورد	371	هذا الجيل المحظوظ (مسرحية)
تأليف: أمادو همباطي با	372	لا وجود لخصومات صغيرة
تأليف: جيروم لورنس وروبرت إي. لي	373	الليلة التي أمضاها ثوروفي السجن (مسرحية)
تأليف: مجموعة من الشعراء الإيرانيين	374	مختارات من الشعر الإيراني الحديث
تأليف: بول بولز	375	العقرب وقصص أخرى (الجزء الأول)
تأليف: بول بولز	376	العقرب وقصص أخرى (الجزء الثاني)
تأليف: فروغ فرخزاد	377	«الأسيرة» (مختارات من ديوان شعر)
تأليف: مونيك علي	378	شارع بريك لين (الجزء الأول)
تأليف: مونيك علي	379	شارع بريك لين (الجزء الثاني)
تأليف: كورماك مكارثي	380	الطريق (رواية)
تأليف: مجموعة من الأدباء الأوزيك	381	مختارات من القصص القصيرة الأوزيكية
تأليف: مارغريت دوراس	382	عشيق الصين الشمالية (رواية)
تأليف: إرنست همنغواي	383	المجموعة القصصية الكاملة لإرنست همنغواي (الجزء الأول)
تأليف: إرنست همنغواي	384	المجموعة القصصية الكاملة لإرنست همنغواي (الجزء الثاني)
تأليف: إرنست همنغواي	385	المجموعة القصصية الكاملة لإرنست همنغواي (الجزء الثالث)
تأليف: آرافيند أديفا	386	النمر الأبيض (رواية)
تأليف: دوبرافكا أوجارييسك	387	موطن الألم (رواية)
تأليف: باسكال كينيارد	388	فيلا أماليا (رواية)
تأليف: جوليان بارنز	389	الاحساس بالنهاية (رواية)
تأليف: إيزابيل إبرهاردت	390	ياسمينية (وقصص أخرى)
تأليف: شيخ حامد كان	391	المغامرة الغامضة (رواية)
تأليف: أناندا ديفي	392	الرجال الذين يحدونني (رواية)
تأليف: مجموعة من الأدباء الإيرانيين	393	أنطولوجيا القصة الإيرانية الحديثة
تأليف: أمادو همباطي با	394	حكايات حكماء أفريقية وأسطورة نجدو ديوال
تأليف: نور الدين فرح	395	خرائط (رواية)

ما صدر من هذه السلسلة

تأليف: كريستن توروب	إله الصدفة (رواية)	396
تأليف: ألبرتو مينديس	أزهار عباد الشمس العمياء (رواية)	397
تأليف: تيه نينغ	الأبدية بعيدة جدا (وقصص أخرى)	398
تأليف: سوزانا تامارو	أذهب حيث يقودك قلبك (رواية)	399
تأليف: إدريس الشرايبي	الحضارة أمي (رواية)	400
تأليف: أنيتا ديساي	فنان الاختفاء (ثلاث روايات قصيرة)	401
تأليف: بزرگ علوي	عينها (رواية)	402
تأليف: ديبورا ليشي	السياسة إلى المنزل (رواية)	403
تأليف: دافيد فونكينوس	الرقة (رواية)	404
تأليف: يو هوا	على قيد الحياة (رواية)	405
تأليف: يورج أكليين	الأب (رواية)	406
تأليف: دافيد فونكينوس	إنني أتعافى (رواية)	407
تأليف: بينلوبو فيتزجرالد	الوردة الزرقاء (رواية)	408

سلسلة عالم المعرفة		مجلة عالم الفكر		مجلة الثقافة العالية		إبداعات عالمية		البيان
دولار	د.ك.	دولار	د.ك.	دولار	د.ك.	دولار	د.ك.	
-	٢٥	-	١٢	-	١٢	-	٢٠	المؤسسات داخل الكويت
-	١٥	-	٦	-	٦	-	١٠	الأفراد داخل الكويت
-	٣٠	-	١٦	-	١٦	-	٢٤	المؤسسات في دول الخليج العربي
-	١٧	-	٨	-	٨	-	١٢	الأفراد في دول الخليج العربي
٥٠	-	٢٠	-	٣٠	-	٥٠	-	المؤسسات في الدول العربية الأخرى
٢٥	-	١٠	-	١٥	-	٢٥	-	الأفراد في الدول العربية الأخرى
١٠٠	-	٤٠	-	٥٠	-	١٠٠	-	المؤسسات خارج الوطن العربي
٥٠	-	٢٠	-	٢٥	-	٥٠	-	الأفراد خارج الوطن العربي

الرجاء ملء البيانات في حالة رغبتكم في: تسجيل اشتراك تجديد اشتراك

الاسم:	
العنوان:	
اسم المطبوعة:	مدة الاشتراك:
المبلغ المرسل:	نقدًا / شيك رقم:
التوقيع:	التاريخ: / / ٢٠٠٠م

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب مع مراعاة سداد عمولة البنك الحوّل عليه المبلغ في الكويت.
وترسل على العنوان التالي:

السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص.ب: 28623 - الصفاة - الرمز البريدي 13147
دولة الكويت

الدولة	وكيل التوزيع الحالي	العنوان	تليفون	فاكس
الكويت	المجموعة الإعلامية العالمية	الشيخ - الحرة - ضيعة 34 - الكويت - الشويخ - ص ب 64185 - الرمز البريدي 70452	24826820/1/2 24613872 /3	24826823
الإمارات	شركة الإمارات للطباعة والنشر والتوزيع	Emirates Printing, Publishing & Distribution Company Dubai Media City/ Dubai UAE P.O Box: 60499	+971 242629273	+971 42660337
السعودية	الشركة السعودية للتوزيع	المملكة العربية السعودية - الرياض - حي المؤتمرات - طريق مكة المكرمة - ص ب 62116، الرمز البريدي 11585	+966 (01) 2128000	+966 (01) 2121766
سورية	المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات	سورية - دمشق - البرانكة	+963 112127797	+963 112128664
مصر	مؤسسة دار أخبار اليوم	جمهورية مصر العربية - القاهرة - 6 شارع الصحافة - ص ب 372	+202 25782700- 25782632	+202 25782632
المغرب	الشركة المغربية الأفريقية للتوزيع والنشر	المغرب - الرباط - ص ب 13683 - زنقة سلجماسه - بلقدير - ص ب 13008	+212 522249200	+ 212 522249214
تونس	الشركة التونسية للصحافة	تونس - ص ب 719 - 3 نهج المغرب - تونس 1000	+216 71322499	+216 71323004
لبنان	مؤسسة تنوع الصحفية للتوزيع	لبنان - بيروت - خندق الفيق - شارع سعد - بناية فواز	+961 1666314/5 01 653259	+ 961 1653260
اليمن	القائد للنشر والتوزيع	الجمهورية اليمنية - صنعاء	+967 2/3201901	+ 967 1240883
الأردن	وكالة التوزيع الأردنية	عمان - تلال العلي - بجانب مؤسسة الضمان الاجتماعي	+962 65300170 - 65358855	+ 962 65337733
البحرين	مؤسسة الأيام للنشر	-----	+973 17 617733	-----
سلطنة عُمان	مؤسسة العطاء للتوزيع	ص ب 473 - مسقط - الرمز البريدي 130 - العذبية - سلطنة عُمان	+968 24492936	+24493200968
قطر	دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع	قطر - الدوحة - ص ب 3488	+974 4557809/10/11	+ 974 44557819
فلسطين	شركة رام الله للنشر والتوزيع	رام الله - عين مصباح - ص ب 1314	+970 22980800	+ 970 22964133
السودان	دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع	السودان - الخرطوم - الرياض - ش المشتل - العقار رقم 52 - مربع 11	+2491 83242702	+ 2491 83242703
الجزائر	شركة بوقادوم للنقل وتوزيع الصحافة	Cite des preres FARAD, lot N09. Constantine. Algeria	+213 (0) 31909590	+ 213 (0) 31909328
العراق	شركة الظلال للنشر والتوزيع	-----	+964700776512 780662019 +964	-----
نيويورك	Media Marketing	Long Island City, NY 11101 - 3258	+ 1718 4725488	+1718 4725493
لندن	Universal Press	Universal Press & Marketing Limitd	+ 44 2087499828 + 44208 7423344	+44208 7493904
ليبيا	شركة الناشر الليبي	-----	+218 217297779	-----



الجلسة
الوطنية
للاقتناع
والفنون
والآداب

تأليف مجموعة من الكاتبات التركيات:

سعاد درويش

بريدة جلال

نزيهة مريتش

عدالت آغا أوغلو

فوروزان

سيفغي سويسال

آيلا كوتلو

أوبا بايدار

نوريسل دوروإل

تومريس أوبار

عائشة كولين

تزر أوزلو

بينار كور

نازلي إيراي

فيزا هيبتيشيلينغيرلر

فريدة تشيتشيك أوغلو

عائشة ساريساين

نالان بارباروس أوغلو

أصلي إردوغان

فريال تلماتش

شبنم إشيعوزال

إبداعات نسائية

تقدم سلسلة إبداعات عالمية في هذا العدد مختارات قصصية لمبدعات تركيات مع تعريف موجز يتضمن النشاط الأدبي والاجتماعي لكل كاتبة.

إن تخصيص هذا العدد للكاتبات فقط ليس من باب التصنيف الجنسي. بل للتأكيد على أن موهبة الكتابة ليست حكراً على الرجل وأن هذه الموهبة لا تعرف التمييز بين الرجل والمرأة. فالأدب خلاصة تجربة إنسانية لا تخص الذكر دون الأنثى ولا الأنثى دون الذكر.

تندرج كاتبات هذه المجموعة القصصية ضمن رواد الحركة الأدبية الحديثة تحت تأثير الحضارة الغربية خلال العصر الجمهوري: أكثر مراحل الأدب التركي أهمية. والتي هي ردة فعل ضد سطحية الأدياء القوميين والبعيدين عن الواقعية خلال المراحل الأدبية السابقة. وتمثل قصصهن إطلالة على واقع المجتمع التركي المعاصر. باعتبار أن القصة ديوان للحياة ونبضها. وبعد أن أصبحت المرأة شريكة للرجل وفاعلة في كل المجالات. فقد استطاعت إثبات نفسها في الوسط الأدبي أيضاً بهويتها الخاصة. كما شاركته بالحديث عن تأثير العملية السياسية على شخصية الفرد وصراعه الداخلي والنفسي وعن مشكلات المرأة بشكل عام والعاملة بشكل خاص. وعن التأثيرات النفسية على الطفل من خلال التحول الاجتماعي. بل وصلت إلى مستوى تفوقت فيه على الكاتبات الرجل. وذلك بفضل مساهمتها الكبيرة في سبر أغوار ما كان للرجل أن يكتشفها. فنالت جوائز أدبية مرموقة محلية وعالمية.